مِنْ وَرَاءِ الغيمْ

Ahmed Mady

يوسف السباعى

يوسف السباعي

مِنْ وَرَاءِ الغيم

دار مصر للطباعة
سعيد جودة السحار وشركاه

للمؤلف

- أطياف (قصص قصيرة ١٩٤٧)
- نائب عزرائيل (رواية ..... ١٩٤٧)
- اثنتا عشرة امرأة (قصص قصيرة ١٩٤٨)
- خبايا الصدور (» » ١٩٤٨)
- يا أمة ضحكت (» » ١٩٤٨)
- اثنا عشر رجلا (» » ١٩٤٩)
- أرض النفاق (رواية ..... ١٩٤٩)
- فى موكب الهوى (قصص قصيرة ١٩٤٩)
- من العالم المجهول (» » ١٩٤٩)
- هذه النفوس (» » ١٩٥٠)
- إلى راحلة (رواية ..... ١٩٥٠)
- مبكى العشاق (قصص قصيرة ١٩٥٠)
- بين أبو الريش وجنينة ناميش (» » ١٩٥٠)
- أغنيات (» » ١٩٥١)
- أم رتيبة (مسرحية .... ١٩٥١)
- هذا هو الحب (قصص قصيرة ١٩٥١)
- صور طبق الأصل (» » ١٩٥١)
- بين الأطلال (رواية ..... ١٩٥٢)
- السقا مات (» » ١٩٥٢)
- سمار الليالى (قصص قصيرة ١٩٥٢)
- الشيخ زعرب (» » ١٩٥٢)
- نفحة من الإيمان (» » ١٩٥٢)
- وراء الستار (مسرحية .... ١٩٥٢)
- ست نساء وستة رجال (قصص قصيرة ١٩٥٣)
- هذه الحياة (» » ١٩٥٣)

- البحث عن جسد	(رواية ..... ١٩٥٣)
جمعية قتل الزوجات	(مسرحية .... ١٩٥٣)
- فديتك بالليل	(رواية ..... ١٩٥٣)
- ليلة خمر	(قصص قصيرة ١٩٥٣)
- همسة عابرة	(» » ١٩٥٣)
- رد قلبى	(رواية فى جزأين ١٩٥٤)
- ليال ودموع	(قصص قصيرة ١٩٥٥)
- طريق العودة	(رواية ..... ١٩٥٦)
أيام تمر	(مقالات .... ١٩٥٧)
- من حياتى	(» ...... ١٩٥٨)
لطمات ولثمات	(» ...... ١٩٥٩)
- نادية	(رواية فى جزأين ١٩٦٠)
- جفت الدموع	(» » » ١٩٦١)
أيام مشرقة	(مقالات .... ١٩٦١)
أيام وذكريات	(» ...... ١٩٦١)
أيام من عمرى	(» ...... ١٩٦٢)
- ليل له آخر	(رواية فى جزأين ١٩٦٤)
أقوى من الزمن	(مسرحية .... ١٩٦٦)
- نحن لا نزرع الشوك	(رواية فى جزأين ١٩٦٩)
- لست وحدك	(رواية ..... ١٩٧٠)
- من وراء الغيم	(مقالات .... ١٩٧٠)
أيام عبد الناصر	(» ..... ١٩٧١)
ابتسامة على شفتيه	(رواية ..... ١٩٧١)
طائر بين المحيطين	(رحلات .... ١٩٧١)
- العمر لحظة	(قصة ...... ١٩٧٣)

مقدمة

هذه كلمات أطلقتها انفعالات ما بعد النكسة . كلمات تطلق من وراء الغيم .. وقتامة النكسة تخيم علينا .. وكآبتها تغمر نفوسنا .

ونحن نحاول أن نصلب عودنا ، ونلم شملنا ، ونشد أزرنا ، لنخطو إلى الأمام من جديد ، متجاوزين بالصبر والعمل الجاد كل أسباب النكسة وآثارها ، لننطلق فى أفق ينقشع منه الغيم ، وتشرق الشمس من ورائه ، لنحقق لشعبنا العربى انتصارا على كل عدوان على أرضه وآماله .. ونهيىء له الحياة الحرة الكريمة ، التى يشارك بها فى إقرار سلام العالم ، وإثراء حضارة الإنسان .

مع .. نفسى

الأحزان لا تزدرد .. وعندما نحاول أن نبتلع أوجاعنا فى المحن . ونروح ونغدو وسط الضجيج بوجوه منبسطة الأسارير لا تعبر عما يعتمل فى نفوسنا من مشاعر وما يصطخب فى قلوبنا من انفعالات .. ويخيل إلينا أننا قد بتنا بلا أوجاع .. حتى تنكأ جراحنا همسة أو لمسة .. وإذا بنا ننتفض فجأة .. وإذا بالأحزان التى خلناها قد ذابت تتلوى فى باطننا وتعتصر قلوبنا وتحاول أن تجد لها مخرجا .. فى دمعة تراق .. أو آهة تعلو .. ونحس أننا بشر وأن من حقنا أن نحزن .. ومن حقنا أن ندمع .. ومن حقنا أن نقول .. ولو مع أنفسنا .. آه .

الأحداث تجرفنى .. كما تجرف الملايين فى هذه الأيام .. وإحساس بالظلم لا أعرف ممن .. يملأ نفسى .. ولا أملك إلا أن أنطلق فى الزحام .. أكتب وأتحدث .. وآكل وأشرب .. وأحاول أن أنام .. وأن أفعل ما يجب أن يفعله الناس لأنفسهم وللآخرين .. وكل شىء يبدو كما هو .. وكأن شيئا لم يحدث .. قد لا تكون لى قابلية للطعام .. ولا قدرة على النوم .. ولكنى أحيا . وليس غريبا .. ألا نأكل أحيانا .. أو نأرق أحيانا أخرى .

كنت أبدو فى الصحو طبيعيا .. أمام الناس .. ومع نفسى .. وكأن ليس بى شيئا .. وكأن حزنا لا يرسب فى أعماق .

وفى ذات ليلة .. نكأ النوم من الجرح .. ما عجز عنه الصحو .. وفجر الحلم ما عجزت عنه اليقظة .. ووجدت نفسى أسير فى القاهرة .. وأبى قد مات .. ألقى الناس وأتحدث إليهم .. بغير عبرة ألم .. ولا تنهيدة حزن .. وكأن موته .. قد لقى من قلبى درعا من المقاومة .. عجز الحزن

أن ينفذ منها .. كتلك التى لقيتها الأحداث فى صحوتى ..

ورحت أجوب دروب القاهرة الحبيبة .. تضمنى طرقاتها .. بدورها تحنو علىّ .. وضجيج مارتها وحوانيتها يملأ قلبى سكينة .. أحمل موت أبى على كاهلى .. خفيفا بغير وجيعة ولا فجيعة .. وألقى الناس ويلقوننى بلا رثاء ولا عزاء ..

ووجدت نفسى أخيرا .. فيما يشبه حى باب الخلق .. فى منطقة تحت الربع .. بكل ما فيها من مصرية أصيلة .. أعرفها وتعرفنى .. وأجد فيها نفسى قريبة من الناس .. ورأيت « صيوانا » متسعا مكشوفا أبيض الجوانب ناصع الأعمدة يكاد يملأ الميدان .. ووجدتنى أتحرك فيه بثقة وكأنى صاحبه .. وأنزل بضع درجات فى جانبه .. لأجد أمى تقف فى انتظارى بيضاء الوجه رقيقة القسمات ملء وجهها الحنو والرقة والحب . تضمنى إلى صدرها وتهتف بى « لماذا لا تبكى » ؟

وفجأة .. تفجر كل ما فى صدرى من أثقال الحزن .. وأحسست بالدموع .. تجرف أمامها صخور المقاومة التى سدت طريقها .. واندفعت تهمى .. بحرية .. وانطلاق .. وأحسست للبكاء فى النوم متعة .. افتقدتها فى الصحو .. وكأن طائرا حبيسا تحطم قيده ورفعت قضبان سجنه .. فانطلق يهتف بترنيمة .. لا تعرف إن كانت شدوا أم نواحا ..

واستيقظت فى الصباح أخف عبئا .. وحملت بعض الزهور وملء عينى السيدة الرقيقة الوجه التى يفيض الحنان من عينيها .. والتى أطلقت بضمة ذراعيها سراح الحزن من سجن نفسى .

وانحدرت إلى مقبرة بالغفير .. وهرول ورائى رجل نحيل أسمر تنبئ عنه طرقات نعليه على أرض الطريق وهرولة جبته السوداء الفضفاضة .. وسألنى أن يقرأ .. ودفع حارس المدفن بالمفتاح فى الباب وأداره فأحدث

صريرا .. ودخلت والحارس والمقرئ ووراءنا امرأة بصفيحة مياه تسقى الصبار .

ووضعت الزهور على المقبرة وتمتمت بالفاتحة .. وجلست مطأطىء الرأس .. أرقب الأرض .. والمياه تتدفق فى أصص الصبار .

وبدأ الرجل يقرأ .. وأخذت أرقب .. عينيه تغمضان وجلد وجهه يشد من انفعال القراءة .

وشردت برهة ، ثم عدت أستمع إليه .. لم يكن صوته جميلا .. ولكن قراءته كانت مريحة وأحسست بشىء من السكينة .. زادتنى إنصاتا إليه ..

ووصل صوته إلى أذنى .. وبدا لى كأن إنسانا ما يسر إلىّ بحديث خاص وهو يقول : « ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين » .

وازددت إرهافا .. وعدت أحملق فى وجه الرجل المغمض العينين المشدود أعصاب الوجه وبدا لى كأن الصوت .. ليس صوته بل صوت أكبر وأعلى .. واسترسل يقول :

« إن يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله .. وتلك الأيام نداولها بين الناس وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء والله لا يحب الظالمين » .

عجيب .. هذا الذى قيل .. ما أظننى أحسست أنى فى حاجة .. إلى شىء حاجتى إلى مثل هذا القول ..

وزادت فى قلبى السكينة .. وزاد الإيمان بالله الذى لا يحب الظالمين ..

ووجدت نفسى أنهض من مكانى .. وأحسست بالوجه الأبيض الرقيق الذى يفيض الحنان من عينيه .. وكأنه يهتف بى من وراء الزهور كما كان يهتف دائما .. « لسه بدرى » .

وانطلقت من المقبرة .. وكأنى بالصوت الرقيق يسألنى عاتبا ..

« دايما كده مستعجل .. عامل زى اللى بتجرى والدنيا بتجرى وراك » .

مرة أخرى .. انطلقت وسط الناس .. أكتب وأتحدث .. وآكل وأشرب .. وأحاول أن أخلص من رواسب الحزن .. وأذكر الوجه الرقيق وأذكر كلمات الله .. ولكن بقايا حزن ما زالت ترسب فى أعماق .. لست أظن شيئا يزيلها .. غير أيام تمر .. وعود يصلب .. وسواعد تتآزر وتشتد وبناء يعلو واعتبار لوطننا الحبيب الكبير يرد .

٢١ يونيه ١٩٦٧

فى دوامة .. ما بعد النكسة

أشعر أننا نعيش هذه الأيام فى دوامة ما بعد النكسة . ونحن نعيش دوامة كلام .. نفرغ به كل ما فى نفوسنا من أسى ومرارة وضيق .. ونستقصى به عن علل وأسباب لكل ما حدث .. ونلقى به اللوم سياطا نقرع بها شخصا ما نحاول أن نحمله الخطيئة .. ونلقى عليه عبء الذنب .

وما يحدث الآن رد فعل طبيعى .. لما حدث ..

ولكن غير الطبيعى .. أمران .. أولهما .. أن يندفع البعض فى دوامة الكلام ليخرج ما فى نفسه من مرارة شخصية لينفس بها عن مشاعر خاصة مكبوتة .. وهذا الأمر .. رغم أنه يزيد من فوران الدوامة .. ويخلط الأمور بها .. ويغرقنا فى عملية تشويش للحقائق .. واهتزاز للرؤية .. فهو أمر لا يمكن تجنبه .. كتعبير عن طبيعة إنسانية .. لا مفر لنا من التسليم بها .. وهو على أية حال متنفس .. لمشاعر لا بد أن تجد طريقها إلى الخروج .

أما الأمر الثانى وهو الأخطر أثرا . فهو أن ننجرف فى دوامة الكلام .. وننساق فى تيار اللوم .. لوم النفس ولوم البعض .. بحيث ينتهى الأمر بنا إلى تجريد أنفسنا ككل .. من كل قدرة وميزة .. وإلى تأكيد الوهم الذى يحاول خصمنا أن يشيعه عنا .. بحيث ينتهى بنا الأمر ببساطة .. إلى أن نضع أنفسنا حيث يريد العدو أن يضعنا .

والذى يريد أن يؤكده العدو .. كنتيجة للنكسة .. هو هزال الفرد العربى .. وانعدام وزنه كمقاتل ..

وهو يدفع بكل ما يستطيع من أدلة ووقائع .. وهو يعلم فى كل ما يقول أنه مضلل .. كاذب .

ولكننا فى دوامة الكلام .. نندفع فى قرع سياط اللوم .. حتى نكاد نؤكد كلامه .. ونضيع ثقتنا فى أنفسنا ..

وأنا أومن .. بغير حد .. فى قدرة العربى .. فى كل شيء .. فى السلم وفى الحرب .. أومن به كفنان رقيق .. ومحارب صلب .. أومن بعقله .. وبقلبه .

أومن بأن هذه النكسة التى يحاول العدو بها أن يحط من قيمة الفرد العربى .. كانت دليلا أكبر على قيمته .. فلقد كانت النكسة العسكرية من صنع غيره .. وكانت للهبة العربية التى أكدت الوجود العربى .. الذى يمكن على الزمن .. أن يحقق أكبر الانتصارات وأبعدها .. من صنع إحساسه .. وإيمانه بالكيان العربى الكبير .

وعندما أقول إن النكسة العسكرية من صنع غيره لا أحاول أن أدفع عنه وزر الزلل .. أو الخطأ .. فنحن فى حياتنا لا يمكن أن نسقط احتمال الخطأ .. ولكن فارق بين الخطأ الذى أقصده .. والعجز الذى يحاول الخصم أن يلصقه بنا .. ونحاول نحن فى دوامة الكلام وتبادل اللوم .. وتوزيع الذنوب والتهم .. أن نسلم — بحسن نية — به .

وأول ما يمكن أن يبرز فى دوامة الكلام .. عن النكسة .. هو الحديث عن الطيران .

إن الأمر الذى يجب ألا يتطرق إليه الشك .. مهما قيل .. هو قدرة طيارينا وكفاءتهم وشجاعتهم .

ومهما جرتنا دوامة الكلام .. عن حرمان قواتنا المسلحة من معاونة طيراننا فى المعركة .. فلا يمكن أن يجرنا اللوم إلى تصور تقاعس طيارينا وعجزهم عن خوض المعركة .. وإذا كان القدر .. قد شاء أن توجه إلى طيراننا ضربة مفاجئة .. ساعدت عليها عوامل عديدة عجيبة .. شارك فيها عن غير قصد .. أصدق أصدقائنا وهم ينصحوننا بمنتهى الأمانـة

وحسن النية بضبط أنفسنا قبل أن توجه الضربة القاسمة ببضع ساعات . وكانت أمريكا العنصر الأساسى فى هذه الضربة .. بكل ما قامت به طائراتها من أعمال الاستكشاف وبكل ما قدمته من مساعدات بالطائرات والطيارين مما جعل الضربة تأتى بقدرة لا يمكن أن تكون إسرائيلية مجردة .. وبحيث يمكن بغير التواء أو مبالغة أن نعتبر أن الضربة المفاجئة هى ضربة — بكل ما قدمته أمريكا من عون سياسى وعسكرى ومادى لإسرائيل — أمريكية الإعداد .. أمريكية التنفيذ ..

كل شىء يمكن أن نرجع إليه أسباب الضربة .. إلا أن نقول .. إن الطيار العربى .. غير قادر .

فالطيار العربى .. فرد عربى وهو كفء .. وشجاع .

أما القوات الأرضية .. فكذب كل ما يقلل من قدرتها .. أو شجاعتها ..

والأمثلة على ذلك نستطيع أن نقدمها .. فى كل مكان من أمكنة القتال على طول الجبهة العربية .. رغم أن المعركة لم تطل أكثر من أيام قلائل .. ورغم أن القوات العربية ارتدت بعد قتال مرير .

فى سوريا .. قاتلت القوات العربية .. معاركها بكفاءة وبسالة .

وفى الأردن .. خاض الجندى العربى .. معاركه .. بقوة .. وشجاعة .

وفى مصر ضرب المقاتل العربى أروع الأمثلة فى كل المعارك التى خاضها .. واستطاع ثلاثمائة من قوات الصاعقة أن يصدوا لواء مدرعا .. وأن يدمروا منه ستين دبابة .. وعندما تسرد الوقائع .. سيعرف جيدا .. قدر الجندى العربى كمقاتل .. ويعرف أنه لا يمكن أن يوضع حيث يحاول أن يضعه العدو بشائعاته .

ولم يكن ارتداد القوات المحاربة .. أو خسارتها لمعركة .. دليلا على أن المحارب غير قادر أو غير كفء ..

وعندما تواجه القوات العربية بدعم أمريكا .. العسكرى والعلمى لا يمكن أن يكون ارتدادها دليل عجز المحارب العربى .

والحقائق التى نعرفها فى هذه الفترة القصيرة من المعركة .. تؤكد نوع الخصم الذى واجهته القوات العربية .

عندما نعرف أن أجهزة الاتصال بين الوحدات ورئاستها يمكن أن يعطلها العلم الأمريكى . وأن الأوامر يمكن أن تعطى للقوات المتقدمة .. عن طريق العدو .. وعندما نعرف كيف كانت ترش الدبابات بنوع من المسحوق الملتهب لا تكاد تسلط عليه قنابل النابالم حتى تصبح المدرعات قطعة من الجحيم ..

عندما نعرف كل أسرار المعركة غير المتكافئة التى خاضتها القوات العربية .. ضد أكبر محترفى العدوان العالمى .. ستتأكد لنا قيمة المحارب العربى وقدرته وشجاعته .. وتتأكد ثقتنا فيه . كما كان عبر القـرون الماضية .. الفارس العربى الشجاع فى صدر الإسلام وفى انتصاراته التى وصل بها إلى الأندلس . وعبر جبال البرانس إلى فرنسا . وفى معاركه مع الصليبين بقيادة صلاح الدين .

ولن يقدر الوجه المظلم للنكسة أن يضع ظلال الشك على قدرة الفرد العربى .. أو شجاعته .

أما الوجه المشرق للنكسة . فقد وضع العربى فى غمضة عين .. فى وحدة إحساس وفكر وعمل .. ورسم فجأة صورة الوطن العربى كما يجب أن يكون .

وإذا كان القدر قد أبى إلا أن يواجهنا بحقيقة القوة التى لا تستطيع أن تبقى إلا كقلعة معادية فى هذا الوطن وأن بقاءها قد منحنا فى ظلمة النكسة إشارة حمراء إلى هوة الخطر .. فليلعننا الله إذا لم نسلك الصراط السليم المستقيم .. صراط الوحدة الحقيقية .. الكبرى . التى تجعل منـا ، الولايـات المتحـدة العربيـة .. القـادرة مـع الزمن على صد عـدوان

الولايات المتحدة الأمريكية . وعلى إنهاء حماقتها فى الإصرار على دفع مجموعة من يهود العالم المشردين القادمين من كل حدب وصوب .. فى جزء من الولايات المتحدة العربية .

وإذا كان المستر براون قد صرح أخيرا بأن إسرائيل لا يمكن أن تبقى كقلعة فى وسط الوطن العربى وأن بقاءها لا يمكن أن يعتمد على القوة العسكرية فلقد كان عليه أن يعرف أنها لا تستطيع أن تبقى إلا كقلعة معادية فى هذا الوطن وأن بقاءها لا يمكن أن تكفله إلا قوة عسكرية .. ومعنى هذا أن على البريطانيين وغيرهم من قوى الاستعمار الذين وهبوا إسرائيل الوجود فى الأرض العربية .. أن يدركوا أنها لا يمكن أن تبقى ما دام بقاؤها مفروضا بطريقة لا يمكن أن يسلم بها أحد كأسلوب طبيعى للوجود .. وأن زوالها معلق .. حسب منطق المستر براون نفسه بزوال التفوق العسكرى .. الذى يمدها به الاستعمار .

إننا نقف الآن بعد النكسة لنزيل آثار العدوان ونعيد بناء القوة العسكرية .. ونواصل إنتاجنا بكل ما نملك من قدرة .

وبقدر إصرارنا على ألا نفرط فى شبر من أراضينا .. يجب أن يكون إصرارنا على ألا نفرط فى شبر مما اكتسبنا من ارتباط فى الطريق العربى الموحد وفى بناء الوطن العربى الكبير .. الذى نواجه به العدوان الاستعمارى فى معركتنا الكبرى الطويلة المدى .

إن هذا هو سبيل النصر المؤكد .

لنأخذ من وجه النكسة المظلم درسا لا تشوشه دوامة الكلام .

ولنجعل من وجهها المشرق .. استمرارا .. لوحدة كبرى .. نواجه بها كل ما يهدد المصير العربى من أخطار ونساهم بها فى تثبيت دعائم السلام وإرساء قواعد الحضارة .. التى كنا دائما أول وأكبر دعائمها .

٢١ يوليه ١٩٦٧

ليست .. معركتنا وحدنا

موقف الاتحاد السوفيتى الذى قدم به كل أنواع العون المادى والمعنوى والذى ألقى فيه بكل ما يملك من ثقل سياسى إلى جانب الشعوب العربية فى نضالها ضد العدوان الاستعمارى كان موقفا طبيعيا . باعتباره بلدا آسيويا إفريقيا شارك فى بناء التضامن الآسيوى الإفريقى الذى حشد كل جهده من أجل النضال ضد الاستعمار بكل أشكاله وبشتى مظاهر وجوده . من احتلال عسكرى أو اقتصادى أو ثقافى إلى أحلاف عدوانية وقواعد عسكرية إلى تفرقة عنصرية .

ولقد سبق أن أدان الاتحاد السوفيتى متضامنا مع كل الشعوب الآسيوية الإفريقية وشعوب أمريكا اللاتينية الوجود الإسرائيلى .. كقاعدة عدوانية استعمارية تهدد السلام فى منطقة الشرق الأوسط . وأيد حق الشعب العربى فى فلسطين فى استعادة حقوقه المشروعة فى وطنه السليب .

كما أقر الاتحاد السوفيتى — كبلد آسيوى إفريقى . يعتبر أن معركة الحرية فى القارتين معركة لا تتجزأ — أن الهجوم الغادر الذى شنته إسرائيل على الشعوب العربية والذى تم بمساندة القوى الاستعمارية الغربية الكبرى وعلى رأسها الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا قد أثبت بطريقة قاطعة طبيعة إسرائيل العدوانية وأوضح بما لا يدع مجالا للشك أنها هى القاعدة الاستعمارية الرئيسية فى الشرق الأوسط وأنها جزء أساسى من استراتيجية الاستعمار فى هذه المنطقة .

والاتحاد السوفيتى يقف كبلد آسيوى إفريقى إلى جانب كل شعوب آسيا وإفريقيا فى اعتبارها أن هذا العدوان قصد تصفية الثورة العربية وإعادة

الشرق العربى إلى منطقة نفوذه واستمرار استغلاله الجشع لثروات المنطقة وإيقاف المد التحررى . وأنه إحدى حلقات سلسلة من الهجوم الاستعمارى الواسع النطاق على الشعوب المناضلة من أجل حريتها والذى يعتبر امتدادا للعدوان الأمريكى الشائن فى فيتنام وفى الانقلابات الاستعمارية فى إفريقيا .

كما أوضح الاتحاد السوفيتى متضامنا مع كل شعوب آسيا وإفريقيا أنه لا يمكن أن يكون هناك تسوية للموقف إلا بالقضاء على الوجود الاستعمارى فى الشرق الأوسط وتصفية القاعدة الاستعمارية العدوانية التوسعية فى إسرائيل وغيرها من القواعد الاستعمارية .. وأن الهجوم الغادر لا يمكن أن يشكل أمرا واقعا وأن يفرض أوضاعا تمس الحقوق المشروعة لشعب فلسطين الذى اغتصب وطنه وسلبت حقوقه بسلسلة متصلة الحلقات من الاعتداءات الغادرة غير الإنسانية .

ولقد عبر الاتحاد السوفيتى بطريقة فعالة عن مساندته للشعوب العربية باجتماع موسكو الذى ضم الدول الاشتراكية والذى أدان العدوان الإسرائيلى وقطع العلاقات بينها وبين هذه الدول .

ثم ألقى بكل ثقله السياسى فى المعركة عندما قاد زعماؤه الثلاثة كوسيجين وبرجنيف وبودجورنى حملة كبرى ضد العدوان الاستعمارى الإسرائيلى .

الأول فى الأمم المتحدة حيث رأس كوسيجين وفد الاتحاد السوفيتى وأكد أن أمريكا هى المسئولة عن الحرب وأنها هى التى شجعت إسرائيل على العدوان ثم قدمت لها تأييدا من الأسطول السادس وطالب بإدانة إسرائيل وانسحابها إلى خطوط الهدنة ودفع تعويضات للدول العربية وأكد أن عدم انسحاب إسرائيل يهدد بتجدد القتال وذلك قد يؤدى إلى حرب نووية .

وفى لقاء كوسيجين لجونسون كان انسحاب قوات العدوان فورا وبلا شروط هو المطلب الأساسى لكوسجين .

ورأس برجنيف اجتماع اللجنة المركزية للحزب الشيوعى الذى انعقد من أجل مناقشة أزمة الشرق الأوسط والعدوان الاستعمارى الإسرائيلى على الشعوب العربية . وقد أكد الاجتماع وقوف الاتحاد السوفيتى إلى جانب الشعوب العربية وإدانته للعدوان الغادر ومطالبته بإزالة كل آثاره بغير قيد ولا شرط .

كما حضر بودجورنى رئيس المجلس الأعلى لاتحاد الجمهوريات السوفيتية لزيارة الجمهورية العربية المتحدة من أجل بحث الإجراءات اللازمة لإزالة كل أثر من آثار العدوان ودعم العلاقات الودية وزيادة التعاون المثمر بين البلدين .

وإن صداقة الاتحاد السوفيتى للجمهورية العربية المتحدة وللشعوب العربية ، ولكل البلاد الآسيوية والإفريقية وبلاد أمريكا اللاتينية . التى تكافح من أجل حريتها ورخائها ومن أجل إقرار السلام القائم على العدل — إنما هى صداقة أهداف مشتركة ومعركة واحدة — وهى النضال ضد الاستعمار الذى يشكل خطرا دائما على الأهداف والمصالح والمثل التى يناضل من أجلها كل الناس الطيبين الشرفاء فى عالمنا هذا وهى الحرية والعدالة والسلام .

والاتحاد السوفيتى يؤمن بوحدة النضال ضد الاستعمار . وبأن التكتل الاستعمارى الذى يوجه جهود المعسكر الاستعمارى ضد الحرية والاستقلال والسلام .. لا بد من مجابهته بتكتل نضالى من جانب البلاد المكافحة . وأنه بقدر ما يحاول الاستعمار تصعيد حربه الغادرة التى يشنها ضد البلاد المناضلة .. سواء فى فيتنام .. أو فى الوطن العربى .. فلا بد من تصعيد المقاومة ضد هذا العدوان وأن المعارك ضد الاستعمار طويلة ..

(من وراء الغيم)

ضارية ..

إن معارك الكونجو والمستعمرات البرتغالية وجنوب إفريقيا وروديسيا . وكوبا والدومنيكان وفيتنام .. والشعوب العربية .. هى معركة واحدة مستمرة .. متعددة الأشكال .. متفاوتة الدرجات .

وكما يلم الاستعمار فيها قواه .. فإن الشعوب المناضلة ومعها الاتحاد السوفيتى تقف جبهة واحدة فى مواجهته .

والذين وقفوا لمواجهة معركة الكونجو .. هم الذين وقفوا لتأييد فيتنام .. وهم الذين وقفوا فى جانب كوبا .. وفى كل معركة .. تبدو معالم المعسكرين واضحة .. معسكر الاستعمار .. وعلى رأسه الولايات المتحدة .. ومعسكر القوى المناضلة من أجل حريتها .. يساندها المعسكر الاشتراكى وعلى رأسه الاتحاد السوفيتى والصين الشعبية .

وإذا كان المعسكر الاستعمارى يستطيع بما يملك من قدرة على الغدر .. والانحطاط اللاخلقى .. أن يحرز بعض الانتصارات الأولية فى معاركه .. فإن العسكر الحر المناضل لقادر بوحدته وبوضوح حقه وبصبره على النضال أن ينتزع النصر لنفسه فى آخر الأمر .

ولقد خاض المعسكر الحر .. معارك كبرى .. مريرة .. فى السويس .. وفى الجزائر .. وفى كوبا .. وهو يخوض الآن معارك أخرى لا تقل مرارة .. فى فيتنام .. وفى الأرض العربية .. وفى إفريقيا .. فى أنجولا .. وموزمبيق .. وغينيا المسماة بالبرتغالية وجنوب إفريقيا .. وزمبابوى .

وفى كل هذه المعارك .. تقف كل قوى الشر فى مواجهة قوى الخير والمحبة والسلام .. وقد يشعر الإنسان بالمرارة تملأ حلقه وهو يحس بطعنات قوى الشر .. الخسيسة .. القذرة .. تدمى جانب العالم الطيب الخير .. الذى يتوق إلى إشراقة الحرية .. واستقرار الرخاء .. ولكن إيمانه

الشديد .. بأن قوى الخير والسلام .. أقوى على الزمن .. وأقدر بكل ما تملك من قدرة على النمو والازدهار على أن تقاوم الجراح .. وأن تطوى بمدها المستمر كل قوى الشر .. وأن ترفع رايات الحرية البيضاء بدل أسنة الرماح الدامية التى تزرعها قوى الشر والعدوان .

إننا نؤمن — نحن المناضلين من أجل حقوقنا المشروعة فى الحياة .. من أجل النسمة الحرة .. والمسكن الآمن .. والحياة الهانئة المحصنة ضد كل أنواع العدوان .

إننا نؤمن بقوة الخير ..

نؤمن بأن انتصار الاستعمار .. بريق مؤقت .. زائف .. وأن انتصارنا .. انتصار الحق .. انتصار الحياة .. إشراقة دائمة .

إننا نؤمن بالله .. وبالحق .. وبالخير .

إن المناضلين .. من أجل حق الحياة لا يقفون وحدهم ..

إنهم يقفون .. متساندين فى وجه خصمهم ..

يؤيدهم الأصدقاء الشرفاء .. المؤمنون بالحرية وبالسلام ..

المؤمنون بأن .. الخصم المشترك .. هو الاستعمار .. وأنه لا حرية ولا سلام .. إلا بالقضاء عليه .

لقد ساندنا أصدقاؤنا .. فى الاتحاد السوفيتى .. فى كل معاركنا ..

وهم سيقفون معنا .. حتى ندحر قوى الاستعمار .. ونحرز النصر ..

إن انتصارنا .. انتصار للحرية والسلام ..

.. انتصار لكل المحاربين من أجل الحرية .. المكافحين من أجل السلام ..

انتصار آت .. لا ريب فيه .

٢٨ يونيه ١٩٦٧

معركة من أجل الحرية

فى قاهرة الاستعمار .. فى معقل الحرية والأحرار .. اجتمع المناضلون من آسيا وأفريقيا عقب جولة من معركة من عشرات المعارك التى خاضتها معا ، بدأت فى الجزائر واستمرت فى شتى أنحاء أفريقيا حتى بلغت ذروتها فى فيتنام وانتهت بالعدوان الإسرائيلى الأخير . وعندما كانت الشعوب تلتقى فى مؤتمراتنا السابقة ، كانت تحاول بكل ما تملك من وسيلة أن تشرح دور إسرائيل الاستعمارى فى بلاد أفريقيا وآسيا . واتخذت قرارات بالغة الشدة أدانت بها إسرائيل كقاعدة عدوانية استعمارية ، ولكن إسرائيل قدمت من الأدلة ، ما هو أبلغ من كل ما قدمت الشعوب .. بهجومها العدوانى الأخير وتواطئها مع الاستعمار وقد التقت شعوب آسيا وأفريقيا هنا كبنيان واحد وكقوة واحدة سبق أن خاضت معا معارك عديدة . ومهما صادفها من نكسات فى كفاحها فقد كان النصر حليفها دائما فى النهاية . تشهد بذلك المعارك العديدة التى انتصرت فيها أنها تلتقى هنا وقلوبها أكثر امتلاء بالأمل ونفوسها أفعم بالثقة بتضامنها الذى يمكن أن يأتى بالمعجزات . إنها هنا تطلق صوت الشعوب ، ومهما بدا من خروج بعض الحكومات فى آسيا وأفريقيا لسبب أو لآخر تضامنها فإن اجتماعها هنا ليدل على أن هناك إجماعا بين الشعوب وأننا واثقون من أن صوت الشعوب هو الذى يسود فى النهاية .

ولقد انعقد اجتماعها داخل إطار النضال المناهض للاستعمار الذى يخوضه التضامن القوى العريض للشعوب الأفريقية الآسيوية .

والموقف الذى تواجهه الشعوب العربية اليوم — وتواجهه معها كل

شعوب العالم — هو النتيجة المباشرة للجريمة الاستعمارية المترابطة الحلقات التى ما تزال قائمة فى كثير من أنحاء العالم ، وهو الضربة الأخيرة ، حتى الآن ، من سلسلة الضربات التى يشنها الهجوم الاستعمارى ، فى مرحلة احتضاره ، على شعوبّ العالم كله .

إن الشعوب لا يمكن أن تنظر إلى هذا الموقف باعتباره ظاهرة جزئية منفصلة عن الاستراتيجية الاستعمارية الشاملة ولا يمكن أن تواجه هذا الموقف إلا فى نطاق الاستراتيجية الشاملة المناهضة للاستعمار .

وفى نطاق هذا الوضع وقف الشعب العربى ، فى كل الجبهات ، يرد العدوان ببسالة ، ودفع عن طيب خاطر ثمن النضال غاليا من دماء شهدائه ، و لم يتردد لحظة واحدة فى أن يخوض حرب المقاومة الباسلة فى كل الميادين العسكرية والسياسية والاقتصادية والمعنوية على السواء .

إن الهجوم الاستعمارى المضاد اليوم ، يمتد على عرض جبهات متعددة وإن كانت مترابطة .

لقد تلقى الاستعمار التقليدى ضربات متلاحقة فى الأعوام الأخيرة باتساع نطاق حركة التحرير القومى وتحقيق انتصارات لم يسبق لها مثيل . وبتدعيم أركان الجبهة الاشتراكية المتحالفة تحالفا وثيقا مع حركة التحرير الوطنى فى أفريقيا وآسيا .

وإزاء ذلك أخذ الاستعمار يجمع فلول قواه ويشن هجوما مضادا واسع النطاق فى أفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية .

ففى آسيا شن الاستعماريون الأمريكيون أشد الحروب المحلية ضراوة ضد شعب فيتنام وضاعفوا من حدة ضربهم العدوانى ضد فيتنام الجنوبية ، وحربهم التخريبية الجوية والبحرية ضد جمهورية فيتنام الديمقراطية مرتكبين أبشع الجرائم ضد شعب فيتنام بالرغم من إدانة العالم كله .

وفى أفريقيا تعاقبت الانقلابات العسكرية الرجعية وأسقطت بعض

النظم الثورية التقدمية ، وتتوالى مؤامرات الانفصال والمؤامرات التى تهدف إلى إثارة الاشتباكات القبلية وإلى زيادة الضغوط الاقتصادية والدبلوماسية ، وما زالت المؤامرات تدبر ضد النظم الثورية وضد تضامن النظم الثورية وضد تضامن ووحدة الشعوب الأفريقية .

كما حاول الاستعمار خلال الأعوام الأخيرة ومنذ أن شن النضال المسلح فى المستعمرات البرتغالية إعاقة نمو نضال التحرر الوطنى والانتفاضة الثورية للجماهير الشعبية .

كما طبق وسائل مشابهة كى يفرض على شعب زيمبابوى الأفريقى سيطرة الأقلية البيضاء .. وفى جنوب أفريقيا ضاعف الاستعماريون إجراءاتهم التعسفية ضد جماهير الشعب الأفريقى فى هذا البلد .. وأن وجود معقلى الاستعمار والإمبريالية فى الجزء الجنوبى من القارة الأفريقية يمثل خطرا شديدا على السلام ، وأن دور هذه المعاقل يتشابه مع الدور الذى تلعبه إسرائيل فى الشرق الأوسط .

وفى أمريكا اللاتينية ما زال الاستعمار الأمريكى يشدد الحصار حول كوبا ، بعد أن أوقف المد الثورى فى جمهورية الدومنكان ، وما زال الاستعمار الأمريكى يمد بتأييده السياسى والعسكرى والاقتصادى نظم القمع الفاشى فى أمريكا اللاتينية ويناهض زحف شعوبها نحو التخلص من نير التحكم والاحتكار والنهب الاستعمارى .

أما فى الشرق العربى فقد وجدت القوى الاستعمارية نفسها تواجه مدا جارفا يهدف إلى الحرية الكاملة والاستقلال الوطنى الحقيقى وإلى إرساء قواعد التقدم والبناء الاجتماعى المتين لصالح الشعوب العربية ، مما أصبح يمثل ضربة تهديد المواقع والخطوط الاستراتيجية الاستعمارية ، وحلقات الأحلاف العدوانية الموجهة ضد الشعوب .. كما أصبح يمثل تهديدا خطيرا بإجلاء القوات والمصالح الاستعمارية عن الأراضى العربية الغنية بثرواتها

البشرية والطبيعية ، وخاصة منها الثروات البترولية الهائلة التى هى من حق الشعب العربى وحده .

ومن أجل ذلك استغلت القوى الاستعمارية التقليدية مطامع ومشروعات الحركة الصهيونية الرجعية ، حتى تنفذ خطة خبيثة من خطط العدوان السافر ضد الشعوب العربية . وأضافت الدول الاستعمارية جريمة جديدة ، ما زالت مستمرة ، إلى السجل الحافل بجرائمها الاستعمارية ، واستخدمت إسرائيل باعتبارها قاعدة استعمارية فى قلب الأرض العربية عن طريق اغتصاب وطن كامل من أهله الأصليين الذين بنوا فيه حضارة عريقة تعود إلى آلاف السنين ، وعن طريق نهب ثرواته والاستحواذ عليها ، على نحو سافر ، وطرد مليون فلسطينى ، بالقوة والإرهاب والمذابح الوحشية والتنكيل البشع ، وتشريدهم خارج بلادهم ومدنهم وقراهم ، ثم محاصرة ما بقى فى أرض الوطن من أهل البلاد العرب الأصليين ، فى قطاعات محددة تفرض عليهم أبشع أنواع الحكم العسكرى وأساليب التفرقة العنصرية والاضطهاد والحرمان من أول حقوق الإنسان .

وهكذا تقوم إسرائيل كوجود مصطنع لا يتوافر له أى عنصر من عناصر البقاء الطبيعى القائم على أسس مشروعة وطبيعية .

لقد استخدم الاستعمار إسرائيل كأداة وصنيعة له .. وهى تعتمد فى وجودها بشكل مصطنع ، على كل أنواع التأييد غير المحدود الذى تقدمه لها القوى الاستعمارية والرجعية فى النواحى الاقتصادية والعسكرية والسياسية والفنية .

فإسرائيل ليست إلا أداة فى أيدى القوى الاستعمارية لتهديد استقلال الشعوب العربية ، ومحاولة سلب ثرواتها الطبيعية والروحية معا ، وتعويق تقدمها ونموها ، وتعطيل مسيرتها نحو الوحدة والبناء . وقد ثبت ذلك

بشكل قاطع من الحقائق التى كشفت عنها حرب السويس عام ١٩٥٦ ومن الاعتداء الإجرامى الأخير الذى نشهد آثاره اليوم .

وإن كفاح الشعب العربى فى فلسطين لاستعادة وطنه السليب واسترجاع حقوقه كاملة ، وتدعيم وحدة القوى الثورية فى كل البلاد العربية لزيادة الترابط المصيرى العميق بين كل الشعوب العربية — هذا الترابط الذى أثبت وجوده إثباتا فعالا قاطعا فى مواجهة العدوان الاستعمارى الإسرائيلى — إن هذا الكفاح — سوف يستمر بلا هوادة وسوف تواصل الشعوب العربية معركتها بكل ما تملك من أسلحة فى كل الميادين ، حتى يتحقق لها النصر ..

وإن الشعوب العربية بأجمعها تتسلح بوحدتها القوية وتصميمها الثابت على الكفاح حتى النهاية فى سبيل حقوقها الوطنية وهى إذ تثق فى التأييد القوى من جانب البلاد الاشتراكية وشعوب آسيا وإفريقيا وأمريكا اللاتينية وكل شعوب العالم التقدمية ، ستتغلب على كل المصاعب وتنتصر على المعتدين الإسرائيليين وسادتهم الاستعماريين الأمريكيين البريطانيين .

ولقد صممت الشعوب الإفريقية الآسيوية والشعوب المحبة للسلام وجميع القوى التقدمية والمناهضة للاستعمار فى العالم أجمع فى لقائها فى القاهرة على أن تتخذ كل الوسائل الممكنة لتحقيق إدانة العدوان الاستعمارى الإسرائيلى على الأرض العربية .

والعمل على إزالة آثار العدوان بانسحاب إسرائيل فورا وبدون قيد أو شرط من جميع الأراضى التى اعتدت عليها نتيجة العدوان الأخير مع فرض التعويضات اللازمة على إسرائيل لما سببته من خسائر نتيجة عدوانها، بالإضافة إلى أنه يجب ألا يسمح لبلد أن يجنى نفعا من ثمار عدوانه ، ويجب أن تعاقب إسرائيل كمعتدية .

كما أكد الأحرار الذين ضمتهم القاهرة تأييد حق الشعب العربى فى

فلسطين فى استعادة حقوقه المشروعة والعودة إلى وطنه السليب .

وتقديم كل تأييد مادى ومعنوى للشعوب العربية فى نضالها ضد العدوان الاستعمارى الإسرائيلى عن طريق التضامن النضالى الفعال .

وممارسة جميع الضغوط لمصلحة قضية الشعب العربى العادلة . ومساندته فى كفاحه ضد الاستعمار بكل أشكاله .

كما عزم المناضلون من أجل الحرية الذين ضمهم لقاء القاهرة التاريخى على مقاومة التسلل الإسرائيلى فى البلاد الإفريقية الآسيوية بكل صوره وأشكاله باعتبار إسرائيل أداة للتسلل الاستعمارى وشكلا من أشكال الاستعمار الجديد .

وأكدوا تأييدهم المطلق لتصميم الشعب العربى وقيادته الثورية على الاستمرار فى المعركة ضد الاستعمار والصهيونية . إن هذه المعركة هى فى نفس الوقت معركة الجبهة الشعبية العريضة لكل القوى المناهضة للاستعمار فى إفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية والقوى التقدمية والاشتراكية فى كل أنحاء العالم .

ومهما طالت المعركة .. ومهما بدا خلالها من نكسات فالنصر فى النهاية للشعوب الطيبة التى تكافح من أجل حقها فى الحياة الكريمة وفى الحرية والمساواة .. وفى السلام القائم على العدل .

يا رب أنت مع الحق ولست مع الظالمين فانصر يا رب أصحاب الحق على الظالمين .

٥ يوليه ١٩٦٧

إلى أين المسير .. وكيف ؟

سؤال حائر على الشفاه !! وبعد ؟ .. إلى أين المسير ؟. وكيف ؟ بعد أن فشلت الأمم المتحدة فى أن تثبت أنها أداة الشعوب فى دفع العدوان الواقع عليها .. ورفع آثاره من أرضها .. وعقاب المعتدى على جريمته ومنعه من قطف ثمرة عدوانه .. حتى لا يكون العدوان وسيلة للكسب ، والقوة المسلحة أسلوبا للتوسع وتحقيق الأطماع .

وعندما يتعثر الإنسان فى طريقه .. وينهض لمعاودة السير .. ويسائل نفسه إلى أين ؟ .. يتحتم عليه وهو ينفض عن نفسه غبار الطريق .. ويحاول أن يحدد موقع خطاه .. واتجاه سيره .. أن يسترجع فى وضوح .. هدفه الرئيسى .. الذى يريد أن يصل إليه .

وعندما نسأل أنفسنا .. ما هو هدفنا .. من رحلة الكفاح الشاقة التى نسير فيها .

الهدف ببساطة .. هو أن نحقق لوطننا العربى .. مجتمعا يمنح المواطن العربى كفاية فى العيش .. وعدالة فى التعامل .. وأمنا فى الحياة .. يمكنه من ممارسة وجود حر كريم .. يشارك به فى ازدهار العالم كله .. ورخائه وإقرار سلامه .

هذا هو حقيقة ما نهدف إليه فى رحلتنا الشاقة .

نحن لا نهدف إلى أذى الغير .. وإنما نهدف إلى تحقيق الخير لأنفسنا دون اعتداء على أحد .

وفى سبيل تحقيق هذا الهدف الكبير ..

كان علينا أن نزيل من طريقنا عقبات .. تقيد قدرتنا على السير ..

وتمنعنا من حرية الحركة .

وأولى هذه العقبات وأكبرها .. والتى حاولنا .. وما زلنا نبذل الجهود المتواصلة فى إزالتها هى قيد الاستعمار .. الذى يحاول به أن يستغل جهودنا ومواردنا من أجل منفعته .

ولقد حاولنا أن نزيل عقبة الاستعمار من طريقنا .. بكل ما نملك من وسائل .. واضطررنا أن نخوض معه معارك مسلحة فى شتى أنحاء الوطن العربى .. انتهت كلها .. بالانتصار .. وبتحرر شتى أجزاء الوطن العربى .. من قيود المستعمر .. وبدأت معظم شعوب الوطن العربى تمارس حرية حركتها فى بناء مجتمع يحقق للفرد العربى الكفاية ويقر العدالة والمساواة .. ويتقدم نحو الرخاء والأمن والاستقرار .

وفى جزء من الوطن العربى تعاون الاستعمار مع الصهيونية فى طرد الشعب العربى .. وسلب أرضه ودوره .. واحتلالها بواسطة غرباء من شتى بلاد العالم .

وواصلت الصهيونية مع الاستعمار .. عمليات عدوان على الوطن العربى .. انتهت بالعدوان الأخير الذى احتلت فيه مزيدا من أرض الوطن العربى .. وشردت المزيد من شعبه .

وأصبح علينا ونحن نحاول أن نحقق هدفنا الأصلى فى بناء المجتمع العربى .. دون أن نوجه عدوانا على أحد ..

أن نزيل عقبتين من طريقنا ..

عقبة أصلية .. وعقبة وضعها العدوان الأخير ..

أما إزالة العقبة الجديدة .. فهى إزالة آثار العدوان الذى يجب ألا يكون وسيلة لكسب .. أما إزالة العقبة الأصلية ، فهى باستعادة حقوق شعب فلسطين وعودته إلى وطنه .

هذا هو ما نهدف إليه فى سبيل تحقيق هدفنا الأصلى وهو بناء المجتمع

العربى المحقق للكفاية والعدل والرخاء والسلام .

ونحن لا نقصد الاعتداء على أحد .

وإذا كنا نستطيع أن نحقق أهدافنا .. العادلة .. المسالمة بوسائل السلم .. فلسنا أبدا هواة قتال .

ولكن عندما نصل إلى نقطة اليأس من إقرار الحق .. بالسلام .. فلا بد لنا من فرض الحق من أجل السلام .. بكل ما نستطيع من وسائل .. وبينها القتال .

وعندما نجد أن علينا .. أن نخوض معركة من جديد .. لأنه ليس هناك من سبيل .. سوى هذه المعركة ..

يصبح علينا أن نتساءل .. كيف ؟

وإذا سدت أمامنا جميع السبل التى تؤدى إلى حقنا فى الحياة .. إلا سبيلا واحدا .. هو الدخول فى معركة ..

فإن علينا قبل أن نخوض المعركة .. أن نزن ثقلنا .. ونحدد قدرتنا على خوض هذه المعركة .

ما هو سلاحنا الذى يمكن أن نخوض به معركة أصبنا فيها بنكسة .. جعلتنا .. نتعثر فى الطريق .

أبسط البديهيات ونحن نقدر موقفنا قبيل أية معركة .. يفرضها علينا حق الحياة .. هو أن نضع نصب أعيننا الدروس المستفادة من المعركة الأولى .. ونحن نقدر موقفنا فى المعركة الثانية .

وتقدير الموقف .. يبدأ (بعد تحديد الهدف الذى يجب ألا ننسى أبدا أنه أولا وآخرا .. بناء مجتمعنا العربى الجديد الكبير على دعائم الحرية والكفاية والمساواة) بمعرفة وثيقة بإمكانياتنا تجاه إمكانيات العدو .

أما إمكانيات العدو .. فهى ببساطة . إمكانيات أمريكا .. المسلحة .. بكل ما تملك من أسلحة متقدمة .. يمكن أن تخوض بها غمار

ما تسميه .. بالحروب الصغيرة .

أما إمكانياتنا وأعنى إمكانيات الوطن العربى .. فيجب أن تحدد بوضوح .. ولا تكون عائمة .. ولا غائمة .. أعنى ألا تتأرجح .. بين الكبر والصغر حسب الظروف والأمزجة والانفعالات .. وألا يضخمها ضباب التمنيات .

وعندما نحدد أن معركتنا هى مع إسرائيل بكل إمكانيات أمريكا فى الحروب الصغيرة .. فيجب أن نوجه كل إمكانياتنا المؤكدة المضمونة منذ البداية لخوض المعركة .. وألا نشغل أنفسنا بمعارك جانبية .. وأن يصبح التخطيط لهذه المعركة هو الأصل ..

وعندما نتحدث عن الإمكانيات المؤكدة المضمونة .. يجب أن نضع فى حساب التقدير .. وفى حساب الخطة .. القوى العربية .. الثابتة فى أرض المعركة فى الجانب العربى .. وليست المتأرجحة كبندول الساعة .. لا تكاد تستقر فى جانب حتى تثب إلى الجانب الآخر .. هذه القوى الثابتة .. وحدها هى التى يجب أن تكون أساسا لتقدير الموقف .. وأساسا لخوض المعركة .. إذا تحتم علينا أن نخوضها .

وإذا كنا وجدنا فى أنفسنا الشجاعة لكى نعترف بأخطائنا فى المعركة السابقة .. فيجب ألا تذهب بنا المبالغة فى الاعتراف بالخطأ إلى نوع من ظلم النفس يدفعنا إلى تجاهل مواجهتنا فى المعركة الأولى بإمكانيات حربية علمية جديدة تفوق ما نملك من إمكانيات .. ويمكن أن تكون هذه الإمكانيات سببا لتكرار النكسة .. إذا لم نواجهها بإمكانيات مماثلة .. أو أكثر تفوقا .

باختصار يجب أن نضع على بساط الدراسة والبحث كل أخطاء المعركة .. الأخطاء التى تسببنا نحن فيها .. حتى لا نعيد تكرارها .. والأخطاء التى فرضت علينا .. حتى يمكن للأصدقاء أن يعينونا عليها ..

وإذا كنا نؤمن بأننا أصحاب حق .. وأننا ندافع عن حقنا فى الحياة .. فإن الحق لا يضيع .

ويجب ألا يقلقنا الزمن .. فالزمن فى جانبنا .. والزمن يضيف إلينا ولا يأخذ منا .. ما دمنا نضع أمام أعيننا أن هدفنا الأصلى هو البناء .. بناء القوى الذاتية .. والمجتمع العربى الكبير .

إذا لم يكن اليوم .. فغدا ..

وإذا لم يكن غدا .. فبعد غد ..

كل ما نحتاج إليه مزيد من الصبر .. ومزيد من البناء ..

وألا نخوض المعركة .. إذا تحتم علينا أن نخوضها.. إلا ونحن قادرون عليها .

(١٢ يوليه ١٩٦٧) .

مهزلة .. فى الأمم المتحدة

يوما بعد يوم يزداد هزال الأمم المتحدة وعجزها .. فإن فشل الجمعية العمومية فى اتخاذ قرار بالنسبة لإزالة آثار العدوان وانسحاب قوات إسرائيل المعتدية .. قد شجع إسرائيل على الاستمرار فى هذا العدوان .. وعلى مواصلة تحدى الأمم المتحدة .. بعد أن اتخذت قرارا منذ أسبوع بأغلبية ٩٩ صوتا بطلب عدم ضم القدس إليها .. وتحدت إرادة الرأى العام العالمى وقامت بخطوات جديدة لتأكيد سيطرتها على القدس وتأكيد ضم القدس إلى أراضيها .

وإذا كانت الأمم المتحدة قد فقدت قدرتها على اتخاذ قرارات لوقف العدوان وإزالة آثاره .. نتيجة لوقوعها تحت سيطرة الولايات المتحدة .. التى تمارس العدوان فى شتى أنحاء العالم .

وإذا كانت الأمم المتحدة قد باتت عاجزة — إذا ما وفقت إلى اتخاذ قرار عادل يضع الحق فى نصابه — عن تنفيذ هذا القرار نتيجة لتحدى إسرائيل التى دأبت على تحدى الأمم المتحدة وعلى أن تضرب بقراراتها عرض الحائط .

إذا كانت الأمم المتحدة قد فقدت القدرة على أن تكون عنصرا فعالا يمنح هذا العالم القلق نوعا من الطمأنينة فإنها لم تفقد القدرة على أن تكون مسرحا عالميا تعرض فيه شتى أنواع المهازل والمآسى .. التى تعرض — على ما بها من سخرية — حقائق فاضحة .

ومن المهازل التى عرضتها إسرائيل أخيرا .. مهزلة القدس عندما وقف مندوب إسرائيل فى الأمم المتحدة وقال إن القدس يعمها اليوم شعور

أخوى . وأنه قد سمح للسكان العرب فى القدس بقدر كبير من الحريات .

وإذا كان الشعور الأخوى قد ساد فى القدس نتيجة لطرد أكثر من مائة ألف عربى من مساكنهم وتحويلهم إلى لاجئين .

فلا جدال أنه ممكن أن يعم الشعور الأخوى المنطقة كلها .. إذا رحل عنها أكثر من مليون إسرائيلى غرباء ليعودوا إلى بلادهم الأصلية لا كلاجئين .. بل كمواطنين أصليين .. يحصلون فيها على كل حقوق المواطن .. وليستقروا فى أرضهم ويمارسوا عملهم الذى يجب أن تهيئه لهم بلادهم الأصلية ويتركوا فلسطين لشعبها العربى الأصيل .

إن نظرية الشعور الأخوى التى طبقها اليهود فى القدس بالنسبة للعرب ستكون أنجح وأشمل .. لو طبقت فى إسرائيل كلها بالنسبة للصهاينة ..

وقال مندوب إسرائيل فى هزله على مسرح الجمعية العامة إن ضم القدس ما هو إلا وحدة أراض .

ورحم الله هتلر — الذى عذبهم وعلمهم كيف يكونون خلفاء له فى هذه الأرض — عندما ضم تشيكوسلوفاكيا وبولندا .. وقال بنفس التبجح الذى تتحدث به اليوم إسرائيل إن هذا العمل هو وحدة أراض .

إن إسرائيل — ربيبة هتلر بالتعذيب والتنكيل — (ولعل حبها لتقليد هتلر ناتج عن المثل العامى .. القط يحب خناقه) تتبع أساليب هتلر فى العدوان .. ومنطقه فى الحجج والأعذار .. وستلقى مصيره فى الدمار والضياع .

و لم تكن تلك آخر مهزلة عرضها مندوب إسرائيل .. فلقد قال — فى استعباط دولى — إن حكومته ستعمل على منح سكان هذه المدينة الوسائل اللازمة لنيل ثقافة أفضل وخدمات اجتماعية أفضل .. ونسى أن العالم ما زالت ترن فى آذانه تلك الحجج التى يبرر بها الاستعمار وجوده فى البلاد التى احتلها ونهب مواردها واستعبد شعوبها .. مبررا وجوده بنفس

الأسباب الهازلة التى تدعيها إسرائيل فى القدس .. نشر الحضارة .. وتقديم الثقافة والخدمات .

ولقد هزلت .. حتى باتت إسرائيل تدعى لنفسها القدرة على منح العرب — أسيادها فى الحضارة — ثقافة أفضل .. وعلى مدهم بالخدمات . وهى السبب الأول فى تشريدهم وحرمانهم من حقهم فى الأمن والاستقرار والحياة الطبيعية الكريمة .. وسلبهم من أبسط مقومات الحياة — بله الثقافة — وهى الأرض والمسكن .

الأمم المتحدة إذن .. ما زال بها بعض الفائدة .. وهى وإن كانت فائدة مسرحية .. إلا أنها بلا شك تثير الرأى العام العالمى وتمنح إسرائيل الفرصة .. بهزلها أن تؤكد كل ما رميت به من أنها نازية التعامل والمنطق استعمارية التفكير والأسلوب .

وإذا كانت الأمم المتحدة قد منحت إسرائيل فرصة أن تكشف نفسها للعالم .. فلقد منحت الأصدقاء فرصة .. أن يعرفوا إسرائيل .. كما عرفها العرب .. وأن يعبروا عن رأيهم فيها .. فإذا به رأى العرب الذى طالما حذرت به العالم كله من إسرائيل ومطامعها ..

لقد قال مندوب الاتحاد السوفيتى إن ضم القدس لا يمكن اعتباره إلا عملا من أعمال القرصنة الدولية .

ولقد قال العرب للعالم إن إسرائيل بنيت على أساس من القرصنة الدولية .. وإن استيلاءها على أراضى العرب وطردهم من بلادهم وتشريدهم كلاجئين هو قمة أعمال القرصنة الدولية .

وقال مندوب الاتحاد السوفيتى إن ما تقوم به إسرائيل ليس تهديدا ولا وعيدا إنما هو تعبير واضح عن سياسة إسرائيل تجاه العرب .

وإذا كان ليفى أشكول يقول اليوم إن إسرائيل بدون قدس يعنى إسرائيل بدون رأس فغدا سيقول إن إسرائيل بدون عمان ودمشق يعنى أن إسرائيل

بدون أيد   وأن من حقها طرد كل سكان المنطقة .

ولطالما أحس العرب بأن هذه هى مطامع إسرائيل التى تهدد أمنهم .. والتى تجعل المنطقة كلها فى حالة تحفز دفاعا عن النفس .. ضد أطماع إسرائيل ومن أجل استرجاعهم للوطن الفلسطينى المسلوب .

وقال المندوب السوفيتى إنه عندما تفقد الشعوب المظلومة صبرها فلا بد من أن تهب لا سترداد حقوقها .

ولقد قلت فى مقال سابق إنه عندما يصل العرب إلى نقطة اليأس من استرداد حقوقهم بالسلم .. فلا بد أن يخوضوا معركة .. تلو معركة .. حتى يستردوا حقوقهم .

وأخيرا .. وجه المندوب السوفيتى إنذاره موضحا به موقف الاتحاد السوفيتى والدول الاشتراكية بصراحة قائلا : إن مشكلة القدس رغم أهميتها يجب ألا تحجب المشكلة الرئيسية وهى احتلال إسرائيل للأراضى العربية .. الذى لا يمكن أن نسمح به .. وإذا كانوا فى تل أبيب يظنون أن الدول المحبة للسلام سوف تسمح للقوات المعتدية أن تجنى ثمار عدوانها فإنهم يرتكبون خطأ مميتا .. وستدفع إسرائيل الثمن غاليا .

وختم المندوب السوفيتى حديثه قائلا : إنه إذا كانت إسرائيل تعتقد أنها تستطيع أن تضم الأراضى العربية فإن عليها أن تعرف أن وجودها نفسه سيكون مهددا نتيجة أعمالها التى لا تقوم على أى تقدير للمسئولية .

وهكذا .. وضح العالم الحر .. على مسرح الأمم المتحدة .. موقفه من إسرائيل .. وإدراكه لحقيقتها .

وإذا كانت إسرائيل .. تمارس تبجحها .. مستندة إلى غرور أمريكا واستمرائها لعمليات العدوان فى العالم .. فإن العالم المحب للسلام .. وقد أعلن أن وجود إسرائيل نفسه ... قد بات مهددا ..

وإذا كانت الأمم المتحدة لم تردع إسرائيل ..

فلا بد أن تردع خارجها ..

وكما سبق القول ..

إن لم يكن اليوم فغدا ..

وإن لم يكن غدا .. فبعد غد .

إن الأيام تعرى إسرائيل .. والأدلة التى طالما ساقها العرب لكشفها .. تتطوع اليوم إسرائيل .. لتقديمها بنفسها للعالم كله .. والحق يتضح ويتأكد يوما بعد يوم فى نظر الأصدقاء .. حتى بات يهدد عندهم وجود إسرائيل نفسه .

ووسط هذا الصراع بين الحق والباطل .. يملأ الإيمان نفوسنا بالقدرة على استعادة حقوقنا .. وعلى رد العدوان .. بكل ما نملك من وسائل .. إن الزمن — الذى يعرى إسرائيل — يمنحنا ولا يأخذ منا ..

ولعل الأيام .. تمنحنا مزيدا من الثقة والقدرة على تحرير الوطن العربى الكبير وبنائه ووحدته .

١٩ يوليه ١٩٦٧

النكت المريرة

أسمع نكتا .. يطلقها البعض عن النكسة .

● ولست أدرى هل أفقدتنى الأيام القدرة على الضحك .. أم أن النكت فى حد ذاتها سخيفة .. أم أننى أحس أنها تنفذ إلى عظامى كلفحات البرد .. قبل أن تصل إلى ذهنى .

● كلما سمعت نكتة أحسست أنها موجهة إلىّ .. وأستعجب كيف لا يشعر صاحبها أنها موجهة إليه .

● هل تعبر هذه النكتة عن مشاعرنا الحقيقية .. أم أنها ضحكات مصنوعة مسمومة .. نتناقلها بحسن نية .. وبرغبتنا فى أن نسرى عن أنفسنا وعن غيرنا .

● إن هذه النكت تملؤنا إحساسا بأننا نحاول أن نفصل أنفسنا عن النكسة .. وأن نقف منها موقف المتفرجين .. الذين يتسلون بمشاهدة إنسان يتزحلق وينكفىء على وجهه .

● ونحن نتكلم كثيرا .. وننقد كثيرا .. وننكت كثيرا . ولكن لماذا لا نعمل كثيرا ؟!.

● أترانا نعتقد .. أننا نستطيع أن نصلح ما بنا .. بالكلام والنقد .. والتنكيت ؟ . فقط ؟!!

● إنى أشعر أن كل واحد منا مسئول بطريقة ما .. عن كل ما يحدث لنا من نكسات .. ومسئول بطريقة ما عن خلاصنا من آثار هذه النكسات .. ودفعنا إلى الأمام .

● إذا كان الكلام والنقد والتنكيت .. مجرد تنفيس عن النفس ..

فهو شيء لا مفر منه .. ولكن أن يصل إلى حد إضاعة الجهد وتشبيط الهمم فهو بلا شك أمر بغيض .

● ومهما كانت رغبة الإنسان فى أن يسرى عن نفسه .. فهو يكره النكتة التى تمس شخصه . وأنا أحس أن معظم النكت التى أسمعها .. تمس شخصى بطريق غير مباشر .. فهى تمس سمعة الناس الذين أشعر أننى فرد منهم ، والبلد الذى أحس أنى جزء منه .

● عندما ألمح النيل يتدفق . وفروع الشجر العالية تهتز فى مهب النسيم .. يصعب على أن أسمع نكتة من هذه النكت .. لأنى أحس أنها توجه إلى تلك الأشياء العزيزة .. وأتمنى لو ضممتها لأقيها .. سهامها اللاذعة ..

● لماذا لا نصمت قليلا .. ونفكر قليلا .. حتى نقى أنفسنا شر خفة الدم .. وتناقل النكت ؟ .

● إنى أحب خفة الدم .. ولقد كان أكثر ما يمتعنى أن أرى أو أكتب رواية مضحكة .. ولكن نكت هذه الأيام .. كرهتنى فى التنكيت .. وفى خفة الدم . حتى بت أرى ثقيلا صامتا .. خيرا .. من خفيف يروى .. نكت هذه الأيام .. السخيفة .

● مع اعتذارى لأصحاب النكت .

٢٦ يوليه ١٩٦٧

على .. طريق النضال

عندما نبدأ خطانا الأولى فى طريق النضال فإن على كل من يستطيع أن يضىء قبسا من النور أن يفعل .

وفى هذه الآونة أشعر أننا قد بدأنا نخطو على طريقين رئيسيين ..

الطريق المصرى الذى نعيد فيه البناء الذاتى العسكرى والسياسى والاقتصادى والذى نصلب فيه عودنا لصد أى عدوان مفاجىء من عدو غادر يتربص ببنائنا الداخلى ، والذى نحشد فيه قواتنا من أجل رد العدوان وإزالة آثاره واستعادة حق الشعب العربى الفلسطينى المسلوب .

وفى هذا الطريق يتحتم علينا أن نمارس فى يقظة وفى وقت واحد عدة أمور :

أولها : الإحساس الدائم بالمعركة وبأن العدو يقف على الشاطىء الآخر من القناة . وبأنه يمكن أن يضربنا أو يثب إلينا فى أية لحظة . وأن علينا أن نكون على استعداد دائم لصده بعنف وقسوة بكل ما نملك من قوات مسلحة تبذل الدولة أقصى ما تستطيع لإعادة بنائها ، ومقاومة شعبية يجب أن نجعلها على أكبر قدر من القوة والكفاءة بالتدريب واليقظة . وبالتصميم المستمر على وجوب إجلائه من الأرض العربية ..

ثانيا : زيادة الإنتاج إلى أقصى حد تملكه قدرتنا المادية والمعنوية . وهو سبيلنا الأوحد إلى امتلاك وسائل النصر . وأولها توفير سبل الحياة لأنفسنا وبناء القوة العسكرية ومواصلة التنمية مع مواجهة كل العقبات التى وضعها العدوان فى طريقنا الاقتصادى

وزيادة الإنتاج أمنيتنا جميعا .. وهدفنا جميعا . وقد نادينا به قبل

العدوان .. ونحن نلح عليه بعده .. كأمر حيوى .. يتوقف عليه مصيرنا .

ولقد عقدت له المؤتمرات .. ووضعت من أجله الدراسات .. واتخذت فى سبيل تحقيقه القرارات .. كإعطاء الإدارة السلطة الكاملة ، وتحميلها المسئولية الكاملة ، وتشجيع الحافز الفردى وغيرها من القرارات المفيدة ..

ولا جدال أن الجهود التى بذلت من أجل زيادة الإنتاج قد أتت فى بعض المجالات ببعض الفائدة .

كما أعتقد أن أية جهود تبذل ستأتى بثمارها فى مجال الإنتاج .. ولكن تبقى هناك وسيلة قد تبدو بدائية بعض الشيء .. ولكنها بغير شك .. مجدية فى مجالاتها بطريقة حاسمة مباشرة .

إذا كان لدينا جدار نود أن نبنيه . فكم من الوقت يمكن أن يبنيه عامل اليومية .. وعامل المقاولة ؟.

التجربة تؤكد أن نفس العامل عندما يتعامل باليومية .. سيبنيه فى ضعف الوقت الذى يبنيه بالمقاولة . لأنه فى الحالة الأولى يأخذ ثمن الوقت .. فمن مصلحته أن يطيل العمل .. وفى الثانية يأخذ أجر العمل فمن مصلحته أن يكسب الوقت لعمل آخر .

وإذا كنا نريد أن نحصل على أكبر إنتاج فى أقصر وقت فيجب أن تلتقى زيادة العمل مع مصلحة العامل . وأن نقدر لساعات العمل معدلا لوحدات الإنتاج .. إذا أنجزها العامل فى أقل منها فيجب أن يأخذ أجرا مماثلا عن عدد الوحدات التى ينجزها فى الساعات الباقية ، وإذا لم ينجزها فى ساعات العمل المحددة .. فيواصل عمله حتى ينجزها بنفس أجره .. فهو يحاسب عن العمل .. لا عن الوقت .

وهذه الطريقة بطبيعتها ستجعل العامل أحرص على أدوات الإنتاج .

وأكثر مسئولية عن صيانتها. لأنه سيشعر أن سلامتها وسيلة لمزيد من الكسب بدل أن يحس أن تعطيلها وسيلة للراحة ..

ولست أظنني فى عرضى البدائى هذا .. آتيا بجديد .. ولا أعتقد أن هذه الوسيلة فى زيادة الإنتاج يمكن أن تغيب عن الأذهان .. وهى واضحة جدا عندما يمارس أى عمل باليومية أو المقاولة .. ولست أدرى أى عقبات يمكن أن تحول دون محاولة تطبيقها على أوسع نطاق فى مجالات الإنتاج بحيث يكون ارتباط الأجر بكمية الإنتاج هو الحافز الأول على العمل .

وعلى أية حال .. وبأى أسلوب .. يجب أن نعلن حالة الطوارئ فى الإنتاج . وكما وضعنا للصرف ميزانية طوارئ .. يجب أن نضع للإنتاج .. أسلوب طوارئ للعمل .. فى الصناعة والزراعة والتجارة .. تصدير واستيراد وتسويق خارجى وداخلى .. وفى الخدمات . صحية كانت أو تعليمية أو اجتماعية ..

يجب أن نأخذ أنفسنا بأسلوب حازم حاسم .. لا يترك الأمر فيه للاجتهاد الشخصى .. بل للقواعد الضامنة للتنفيذ .

أما الأمر الثالث الذى يجب أن نمارسه بجوار الإحساس الدائم بالمعركة . وزيادة الإنتاج إلى أقصى حد . فهو مسئولية الوفر التى يجب أن نحملها لأنفسنا جميعا فى كل مجال .. سواء كان مجالا عاما .. أو خاصا . وهى مسئولية تقوم على الإحساس بأنه ليس هناك شيء بلا فائدة .. وأنه ليس هناك فارق بين الملك الخاص .. والملك العام . أى الإحساس بأن هذا الملك العام .. لنا فيه جزء مهما ضؤل .. يعتبر ملكا خاصا بكل فرد منا بطريق المشاركة .

أما الإحساس بأنه ليس هناك شيء يمكن أن يكون بغير فائدة فأنا أذكر فى الحرب العالمية أنه كانت هناك وحدات فى جيوش الحلفاء .. اسمها وحدات Salvage وكانت مهمتها أن تعيد كل ما ليس له قيمة إلى شيء ذى

قيمة . سواء كانت الملابس القديمة أو العلب الفارغة أو قطع الخردة .. وكانت هناك وحدة فى الإسكندرية تعمل فيها آلاف الفتيات المصريات اللاتى يؤجرن بماكينات الخياطة . لإعادة الخرق الممزقة إلى ثياب صالحة للاستعمال .. وكانت هناك وحدة لتجميع الصفيح والزجاج لإعادة استعماله .

ولست أظننا أغنى من أية دولة من دول الحلفاء . ولا أقل حاجة إلى مخلفاتنا لكى نوفر بإعادة استعمالها المبالغ التى يمكن أن نوجهها إلى إنتاج جديد . فزجاجات الدواء الفارغة والعلب الصفيح ، وكل ما يشعر أى إنسان أنه ليس فى حاجة إليه يجب أن يجمع ليعاد استعماله من جديد .

يجب أن نصل فى الوفر إلى درجة البخل . وأن نستغنى عن كل ما ليس له ضرورة حتمية فى المأكل والملبس أو فى أية وسيلة من وسائل العيش .

أما عن مشاركتنا فى الملك العام ، فيجب أن تكون عن إدراك حقيقى أن أى إتلاف لهذا الملك العام .. سينتج عنه ضرر يحيق بكل منا شخصيا . فما نتلفه .. لن نستطيع إصلاحه بسهولة .. وسنفقد إمكانيته فى خدمتنا دون أن نملك ما يعوضنا عنه . سواء كان فى ذلك وسائل المواصلات . أو المساكن الشعبية أو المدارس أو دور الحكومة .. يجب أن ندرك أنه علينا أن نصون الملك العام ليخدمنا أكبر وقت ممكن وأن نوفر لأنفسنا أجر إصلاحه أو تجديده أو استبداله لنوجهه إلى شىء أكثر حيوية .

إنها حقيقة مسألة مصير ..

ولن ينفعنا سوى أنفسنا .. ولن يتأثر بما نفعله — خيرا أو شرا — سوى أنفسنا . ومن الأشياء البسيطة التى نفعلها — والتى قد يتخيل كل منا أنها غير ذات جدوى .. تتكون أسباب النصر أو الهزيمة .

فلنتق الله فى أنفسنا وفى بلدنا .

ولنذكر دائما أن العدو يتربص بنا على الضفة الأخرى من القناة .. وأنه يعتقد

أنه سيبقى حتى نقول آه .. ونستسلم .

وأن واجبنا نحو أنفسنا ونحو أولادنا .. ونحو مصير أمتنا عبر التاريخ هو أن نصلب عودنا أمامه .. وأن نتسلح بالدأب على بناء القوة القادرة على مواجهته ورده على أعقابه .. وعلى إكراهه أن يكون هو البادىء بآه .. التى لن نقولها .

ذلك هو الطريق الذى بدأنا عليه خطانا فى الداخل .. والذى لاشك سيسير فيه كل شعب عربى لتأكيد سلامة الوطن العربى وسيادته ووحدته .

أما الطريق العربى فقد بدأنا فيه أول خطانا بعد العدوان بمؤتمر الخرطوم .. ومع كل دعواتنا بأن يوفق الله وزراء الخارجية العرب فى دفع العمل العربى الموحد فى طريق حاسم يستطيع العرب فيه أن يوحدوا جهودهم ويجمعوا إمكانياتهم من أجل إزالة آثار العدوان واستعادة حق الشعب العربى فى فلسطين أحس أن نقاطا أربعا يمكن أن تكون دليل عمل .. وأن تجعل من التجمع العربى حقيقة مثمرة منتجة .

أولاها تصفية كل ما يمكن تصفيته من خلافات جانبية لأن العدو الذى نواجهه لم يفرق بين عربى وعربى . بل ضربنا جميعا .. وكان العربى بصفة عامة — وبغير مواصفات معينة — هو خصمه الأول والأوحد . ومن أجل هذا يجب أن نواجهه بالعربى .. كعربى .. لنعيد للعربى اعتباره .. ونرد له كرامته .. وأرضه ولا جدال فى أننا قادرون على الانتصار الكامل النهائى .. إذا واجهناه كوحدة واحدة فى معركة طويلة .

ثانيتها أننا يجب أن نبذل كل ما نستطيع من أجل التكامل الاقتصادى العربى الذى يمكن أن يمنحنا القدرة على خوض المعركة الاقتصادية بكفاءة تامة وبصبر طويل وبحيث نستطيع أن نوجه أى هجوم اقتصادى على العدو وأن ننتصر عليه وبحيث نستطيع أن نقاوم أى هجوم اقتصادى علينا وأن نصمد فيه .

ثالثتها أن تكون خطتنا فى المعركة بجميع أبعادها الاقتصادية والعسكرية والسياسية مبنية على القدرة الحقيقية المستمدة من مقدرة كل بلد . وعلى الإمكانيات المؤكدة التى يستطيع أن يضعها فى المعركة . بحيث يكون حساب قوتنا فى المعركة قائما على أرقام حقيقية غير وهمية . وبحيث يكون تقديرنا للموقف فى المعركة تقديرا سليما . يمكن أن توضع على أساسه خطة محكمة لمعركة طويلة المدى متعددة الأبعاد ..

رابعتها أن نبنى حسابنا لمعاونة الأصدقاء على أساس الواقع لا على أساس الآمال ، وأن نضع فى حساب قوات العدو القدرة الحقيقية لمن يقف وراءه من دول الاستعمار بحيث تكون خطتنا مبنية على الحساب الحقيقى لقواتنا وقوات العدو فى شتى الميادين . سياسية كانت أم اقتصادية أم عسكرية .

على هذين الطريقين بدأنا خطا النضال .. الطريق المصرى .. والطريق العربى .. وبكل ما نملك من ثقة فى الله وفى الحق وفى النفس المؤمنة بكليهما .. سنسير فى طريق النضال حتى نحقق النصر .

٢ أغسطس ١٩٦٧

الثورة .. والقانون

● سؤال يدور فى الذهن ونحن نعيد بناءنا الداخلى ..

كيف يمكن الموازنة بين تأمين نظام الحكم الذى نؤمن بحتمية وجوده لكسب معركة المصير وبناء المستقبل وحمايته من أية طعنة غدر خرقاء أو ضربة خيانة تدبر فى الظلام . وبين حرية الفرد وتأمينه من القلق بحيث يحس دائما — فى قرارة نفسه — لحياته طعما .. ولوجوده معنى .. ولنضاله سببا .

إن الثورات تحتاج إلى إجراءات ثورية استثنائية لإرساء النظم التى قامت من أجلها .. ولتثبيت دعائم العدالة الاجتماعية .. التى هبت لتحقيقها .. ولمحو أسباب الظلم والاستعباد التى ثارت من أجل القضاء عليها .

وهى تحتاج إلى تدابير يقظة حاسمة لحماية وجودها لكى تحقق رسالتها السامية .

وهى تبذل كل ما فى وسعها حتى تحقق إراداتها .. وتمنح الفرد حقه فى حياة حرة كريمة آمنة من جميع أنواع العدوان ..

وهى فى سبيلها إلى تحقيق هذا .. توازن دائما بين ما تمنحه للفرد من حقوق .. وما تفرضه عليه من قيود .. ومع الزمن .. ومع تأكيد مكاسب المجتمع التى حققتها له الثورة من كفاية وعدل .. تتحول الإجراءات الاستثنائية .. إلى إجراءات طبيعية .. وتصب فى قوانين يشرعها المجتمع الجديد .. لتأمين مكاسبه .

إن الثورة تقنن نفسها بإرادة الشعب .. بحيث تثبت معالم المجتمع الذى

صنعته الثورة .. بقوانين يضعها الشعب .. لحفظ مكاسبه .. ولتأمين حريته .. بحيث يعرف الفرد حدود طريقه فى المجتمع الجديد .. ويعرف فيه واجبه وحقه .. ويعرف خط الصواب والخطأ بقوانين واضحة هو واضعها .. وهو منفذها .. إن كل ما حققته الثورة من مكاسب .. تصونها قوانين .. يضعها الشعب .. خير مما تصونها إرادة أفراد .. فنص القانون .. أرسى من اجتهاد الفرد مهما نبه .. وحسم القانون آمن من نوايا الفرد مهما كرم . وجزاء القانون أعدل من تقدير الفرد مهما رحم .

إن الثورة القادرة تصب إجراءاتها الثورية التى خلقت بها المجتمع الجديد القائم على الكفاية والعدل والتى تؤمن بها هذا المجتمع .. فى قوانين أبقى وأعدل وأبعث على الطمأنينة .. من تقدير الأفراد مهما حسنت نواياهم وخلصت ضمائرهم .

٩أغسطس ١٩٦٧

الاتحاد الاشتراكى .. والناس

● لست أظن هناك خلافا يمكن أن يقوم بين اثنين فى أن الجبهات الثلاث التى نخوض بها معركة المصير ضد الاستعمار والصهيونية هى :

١ ـــ الجبهة الداخلية .

٢ ـــ الجبهة العربية .

٣ ـــ جبهة الشعوب المناضلة ضد الاستعمار فى إفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية يساندهم أحرار العالم فى كل مكان .

وفى مرحلة ما بعد النكسة نقف لندعم بكل ما يمكننا من جهد وصلابة وتماسك هذه الجبهات الثلاث .

أما الجبهة الداخلية فأساسها تدعيم الاتحاد الاشتراكى لكى يكتسب أكبر قدر من الفعالية ولكى يحقق إيجابية الوحدة الوطنية فى العمل بكل ما نملك من وسائل لمواجهة العدوان ومحو آثاره ولحماية نظامنا الثورى وتدعيم ثورتنا الاجتماعية ولتحقيق أهداف الثورة الأصيلة فى بناء وتأمين مجتمع عربى يقوم على الكفاية والعدل .

والاتحاد الاشتراكى .. هو التنظيم السياسى الشامل الذى يضع أدوات الإنتاج فى يد تحالف قوى الشعب العاملة والذى يجعلها صاحبة الفائدة من عائد هذا الإنتاج .

والاتحاد الاشتراكى .. وهو تحالف قوى الشعب .. يدخل فى نطاقه كجزء منه .. جميع السلطات بما فى ذلك السلطة التشريعية .. والسلطة التنفيذية .

وتنظيمات الاتحاد الاشتراكى على كافة المستويات هى العصب الحى

الذى يصل الشعب بهذه السلطات . بحيث يجعلها فعلا جزءا منه شاعرة .. بأحاسيسه مدركة لمطالبه وبحيث يجعله — أعنى الشعب — متجاوبا مع أجهزتها معاونا لها على أن تؤدى واجبها نحوه . بحيث تكون تنظيمات الاتحاد بين الشعب والسلطات موصلا جيدا من وإلى .. بحيث لا تكون هناك فجوة بين الشعب والسلطة وبحيث يصبح الكل .. وبواسطة تنظيمات الاتحاد الاشتراكى .. وحدة واحدة هى وحدة قوى الشعب العاملة .. أو الاتحاد الاشتراكى نفسه ككل . وتكون منظمات الاتحاد — كما قلت — هى العصب الحى .. الذى يمكن أن يصل بين جسمين منفصلين ليجعل منهما جسما واحدا .. فى المشاعر .. وفى إرادة الحركة .

ولتحقيق الهدف المطلوب من هذه التنظيمات يجب أن يتوافر أمران :

أولهما التنظيم العلمى الدقيق .. الذى يجعل من هذه التنظيمات .. أجهزة ربط وتوصيل قادرة على نقل الحس وبعث إرادة الحركة .. فى أقصر وقت ممكن .. بحيث لا تكون هذه الأجهزة كالعصب المتبلد .. أو كالموصل الردىء .. ولا أقول العازل .

وأنا أعرف مما رأيت فى شتى المحافظات التى زرتها ومما رأيت أخيرا فى زيارة للمكتب التنفيذى للقاهرة مع الزميل عبد المجيد فريد أمين المكتب .. أن مستوى التنظيم . بلغ من الدقة والقدرة على الربط والوصل بحيث أضحت هذه التنظيمات أجهزة قادرة على إيجاد الصلة الحقيقية بين الناس وبين جميع السلطات . وبحيث أمكن شد مختلف الوحدات الشعبية .. وتكوين قناة أو معبر — أو كما قلت عصب — يربطها بمختلف السلطات بحيث لا يصبح هناك فراغ بين الاثنين .. يجعل كلا منهما بمعزل عن الآخر .

دقة التنظيم إذن وهى أحد العناصر الرئيسية فى فعالية تنظيمات الاتحاد

الاشتراكى ، قد بلغت فيما أعتقد من الكفاءة بحيث تمنحنا الطمأنينة على قدرتها فى تأدية واجبها .

بقى العنصر الثانى .. وأنا لم أضعه .. بعد العنصر الأول لأن أهميته تأتى بعده بل لأن عمله يأتى بعده .. ونتيجة لوجوده .

هذا العنصر هو الأسلوب الذى يعمل به التنظيم .. والعلاقة التى يجب أن يقيمها بين طرفى الوصل .. وهما الشعب والسلطات .

أعتقد أن الأسلوب يتوقف على التحديد الواضح للهدف المطلوب تحقيقه من هذه التنظيمات .. وعلى التعليمات المحددة لكيفية تحقيقها .. ثم على اختيار الأفراد الذين سيقومون بالتنفيذ .

أما تحديد الهدف .. والأسلوب .. فقد حدده الرئيس جمال عبد الناصر فى اجتماعه بأمناء الاتحاد الاشتراكى وحدده فى خطب كثيرة وهو ضمان سيطرة قوى الشعب العاملة على أدوات الإنتاج وعودة عائده إليها بأن تكون هى صاحبة السلطة وهى صاحبة الفائدة ، وذلك هو الهدف ، أما الأسلوب فهو التلاحم بالشعب .. والتعاون مع السلطات .

ولا جدال أن أسلوب تعامل تنظيمات الاتحاد الاشتراكى مع الناس والسلطات .. هو — مع دقة التنظيم .. العامل الوحيد الذى يمكن أن يجعل الاتحاد الاشتراكى ما يجب أن يكون عليه .. وما يجعل من تنظيماته عصبا حساسا يربط الناس بشتى السلطات ويجعل مع الجميع وحدة وطنية واحدة داخل الاتحاد الاشتراكى .. الشعب فيها هو صاحب السلطان وصاحب الفائدة .

وبجملتين مختصرتين يمكن أن يكون أقصى نجاح لتنظيمات الاتحاد الاشتراكى عندما يصل إلى المرحلة التى ينظر كل الناس فيها إلى تنظيمات الاتحاد الاشتراكى بحب ومودة وأمل ولسان حالهم يقول : « الاتحاد الاشتراكى دا بتاعنا .. دا أبونا » .. وأن ينظر الجهاز التشريعى إلى

الاتحاد الاشتراكى .. بلهفة ويقول : « الاتحاد الاشتراكى دا بتاعنا .. تنظيماته هى اللى بتعكس لنا رغبات الشعب .. اللى ممكن تبقى أصل التشريعات اللى بنعملها » .. وأن تنظر السلطات التنفيذية إلى الاتحاد الاشتراكى فى احتياج وتقول : « الاتحاد الاشتراكى ده بتاعنا .. تنظيماته هى اللى بتساعدنا فى كل حاجة .. هى اللى بتخلى الناس يطبقوا القوانين ويتفانوا فى العمل والإنتاج » .

تلك هى الصورة التى يجب أن تكون لتنظيمات الاتحاد الاشتراكى عند الجميع.

وهى حلم .. لا بد أن يتحقق .

وتحقيقه أول ما يكون فى طريق تكوين وحداته .. بحيث تكون عنصرا فعالا للخدمة .

وإذا كان اختيار الإدارة يجب أن تقترن فيه الكفاءة السياسية بالكفاءة الفنية فإن اختيار القيادة السياسية يجب أن يقترن فيه التفوق فى العمل إلى جانب التميز السياسى .

بحيث يكون وعى أفراد القيادة الإدارية بالعمل السياسى مع تميز أفراد القيادة السياسية فى عملهم أيا كان نوعه أساس الاختيار الذى يؤدى إلى التعاون والفهم المتبادل بين القيادتين الذى يصل بالإنتاج وبمصالح العاملين إلى أفضل مستوى .

وبحيث لا تكون وحدة الاتحاد .. عنصرا معرقلا مزعجا للإدارة .. أو تكون الإدارة عنصرا معاديا .. كارها .. لوحدة الاتحاد .

إن تنظيمات الاتحاد .. يجب أولا وقبل كل شىء .. أن تجعل من حب الناس لها .. حجرا أساسيا فى عملها .

فهى بغير حب الناس لها وثقتهم فيها .. تصبح أى شىء .. إلا العصب الذى يمكن أن يكون جزءا من الناس يربطهم بشتى الأجهزة التى تقوم على مصالحهم .. وترعى شئونهم .

(من وراء الغيم)

طمأنينة الناس .. كل الناس من قوى الشعب العاملة .. إلى أجهزة الاتحاد الاشتراكى هى أول ما يجب أن تسعى إليه هذه الأجهزة .. بحيث يستطيع الناس أن يفتحوا لها قلوبهم .. ويسروا إليها بمتاعبهم وآلامهم وآمالهم وبغير هذا .. تصبح تنظيمات الاتحاد الاشتراكى جدارا حائلا بين الناس وبين بقية أجهزة التنظيم والدولة .

يجب أن يستريح الناس إلى تنظيمات الاتحاد الاشتراكى .. حتى يستطيعوا الفضفضة إليها فهذه الفضفضة المخلصة الآمنة هى التى يمكن أن تتحول إلى تشريعات وتترجم إلى مشروعات .. عندما تحملها تنظيمات الاتحاد إلى السلطات التشريعية والتنفيذية .

إذا أفلحت تنظيمات الاتحاد الاشتراكى فى أن تكون الصدر الرحب الذى يتسع للناس ويضم الناس .

وإذا أفلحت تنظيمات الاتحاد الاشتراكى فى أن تكون عونا للإدارة من أجل تحقيق أكبر قدر من الإنتاج وتحقيق أكبر قدر من مصلحة العاملين .

إذا استطاع الموصل الجيد بين الشعب والسلطة فى أن يصل بينهما بالحب والتعاون وأن يجعل منهما وحدة واحدة هى الاتحاد الاشتراكى فلا جدال فى أننا نستطيع أن نحقق جبهة وطنية قادرة على الصمود أمام العدوان وإزالة آثاره .. وعلى تحقيق كل أهدافنا التى نسعى إليها .. هذا عن الجبهة الداخلية التى تكون فيها منظمات الاتحاد الاشتراكى عصبا حيا يصل بين حس الجماهير وإرادة الحركة فى القيادات ليجعل من تحالف القوى العاملة جسدا قويا صلبا متماسكا .

٢٣ أغسطس ١٩٦٧

رأى .. فى مسألة الحزب

ينادى بعض الكتاب فى هذه الأيام بتكوين الحزب .. وأن يؤخذ بنظام الحزب الواحد كما هو موجود فى غينيا التى يتولى الحكم فيها حـزب سيكوتورى وهو الحزب الديمقراطى الغينى . P. D. G وفى تانزانيا (وإن كان الحزبان الحاكمان هناك وهما تانو فى تنجانيقا والأفروشيرازى فى زنزبار واللذان يرأسهما نيريرى رئيس الجمهورية وعبيد كرومى نائب الرئيس ظل كل منهما محتفظا بكيانه دون أن يندمجا فى حزب واحد) .

ولا يستطيع المتابع لهذه الآراء أن يدرك ما هو التغيير الجذرى الذى يمكن أن يحدث إذا ما تحول الاتحاد الاشتراكى العربى إلى حزب .. فالمفهوم أن الاتحاد الاشتراكى العربى يمثل تحالف قوى الشعب العاملة من عمال وفلاحين ومثقفين ورأسمالية وطنية .. ويتخذ الاشتراكية سبيلا لوضع أدوات الإنتاج فى أيدى هذه القوى ويضمن عائده إليها .

المفهوم أن هذا الاتحاد الذى يضم الجبهة الجماهيرية العريضة صاحبة المصلحة الحقيقية فى البلد قد وضعت له التنظيمات التى تستطيع شد الجبهة الجماهيرية المتسعة ومنحها التماسك والصلابة والفاعلية التى تجعلها قادرة على الحركة فى اتجاه المصلحة الحقيقية لها .. وعلى مواجهة أى هجوم عدائى عليها والتى تمنح حشدها الهائل وتيارها الجارف القدرة على التوجه فى إرادة والتحرك بحساب لبلوغ الأهداف التى تنشدها من أجل تحقيق الكفاية والعدل والرخاء والأمان .. والتى لا تترك لأية قوى غادرة مخادعة القدرة على تضليلها .. واستغلال حركتها الانفعالية العفوية .. لسلب ما حققته من مكاسب .. أو لاستغلالها لتحقيق السيطرة لفئة لا يمكن أن تمثل الاتجاه

الحقيقى لجماهير الشعب العريضة .. ولا تنبع أفكارها من تقاليدها ولا تعبر عن مشاعرها وأحاسيسها ورغباتها .. ولا يمكن بحال أن تكون تمثيلا صادقا لجبهة الجماهير العريضة من فلاحين وعمال ومثقفين ورأسمالية وطنية .

إن تنظيمات الاتحاد الاشتراكى بقياداتها التى تشد جبهة الجماهير العريضة والتى تكون التنظيم السياسى هى الجهاز الذى يقابل قيادة الحزب وتشكيلاته .. والتى تجعل الاتحاد الاشتراكى قادرا على العمل السياسى والجماهيرى بنفس الكفاءة التى يمكن أن تكون لأى حزب لا فارق بينه وبين الحزب إلا أن الحزب يمثل طبقة معينة ويعبر عن مصالحها ويعمل من أجلها .

والمقارنة بيننا وبين البلاد التى تتبع نظام الحزب الواحد .. مقارنة تحتاج إلى مناقشة .. ففى البلاد الإفريقية وجد الحزب أولا وخاض صراعا طويلا ضد خصومه فى الخارج والداخل .. ثم انتهت معركته بالانتصار وتولى مقاليد الحكم ، وفى البلاد الشيوعية وجد الحزب ممثلا لطبقة البروليتاريا .. انتهت معركته بالقضاء على بقية الطبقات وتولى الحزب الشيوعى الحكم معبرا عن حكم الطبقة الواحدة أو ديكتاتورية البروليتاريا .

وواضح عندنا أن حزبا ما لم يستطع أن يقود الجماهير إلى الثورة التى قضت على الملكية والإقطاع ورأس المال المستغل .. وإنما قادها الضباط الأحرار بزعامة الرئيس جمال عبد الناصر ، وأن الثورة التى قضت على الاستعمار والاستغلال بدأت فى تنظيم تحالف قوى الشعب العاملة من أجل أن يتولى الشعب السلطة لحماية مكاسبه .. ودفع عجلة الإنتاج والتنمية من أجل تحقيق الكفاية والعدل .

ليس مفهوما إذن .. إصرار البعض على إيجاد الحزب لأن هناك اختلافا

جذريا للدوافع الموجدة للأحزاب فى بلاد الحزب الواحد عن الأسباب الخالقة للاتحاد الاشتراكى عندنا .. ولأن المرء لا يستطيع أن يلمس نتائج واضحة مفيدة يمكن أن تحدث إذا ما تحول الاتحاد الاشتراكى إلى حزب .. ولأن التنظيم السياسى الذى اتخذ شكلا راسخا وبدأ يمارس عمله فى مهارة وكفاءة .. والذى يوشك أن يستكمل بإيجاد اللجنة المركزية يمكنه أن يستغنى عن أية إضافة قد يضيفها إيجاد الحزب إلى التنظيم .

وكل ما يمكن أن تثيره الدعوة إلى الحزب .. هو تساؤل البعض ولماذا الحزب الواحد ؟ .. لماذا لا تتعدد الأحزاب .

والمرحلة التى نمر بها .. بغير ما شك .. تجعل كل هذه المناقشات .. فى الحزب .. أو الأحزاب .. مسألة غير ذات موضوع فنحن فى أشد الحاجة إلى وحدة الجبهة الداخلية .. وإلى شدها بقيادة حازمة .. يمكن أن تجتاز بنا هذه الظروف الأليمة التى نمر بها وأن تقف بنا صفا واحدا فى مقاومة العدو الذى يجثم على صدورنا ويكتم أنفاسنا .. ويهددنا .. كل لحظة بدقاته الأليمة .. ليس على بابنا .. بل على قلبنا .

ومع ذلك .. فإن المرء لا يملك نفسه أحيانا .. من التساؤل .. عندما يثير البعض مناقشة الحزب .. من الذى يطلب الحزب الآن ؟ ..

ويراود ذهنى خاطر غريب يسائلنى .. لو أننا فى ظروف طبيعية .. فلماذا لا يسمح لهؤلاء الذين يطالبون بالحزب .. أن يكونوا لأنفسهم حزبا ؟

ويمضى الخاطر فى إلحاحه المتسائل ؟

لماذا لا يكون البعض حزبا شيوعيا ؟

والبعض الآخر حزبا رجعيا ؟

ويواجهون جبهة الجماهير العريضة الممثلة فى حزب الاتحاد الاشتراكى .. ويتركون الحكم لها .. ويدخلون فى اختبار حقيقى يعرفون

منه قيمتهم .

إن بعض الاتجاهات التى لا تعبر عن الاتجاه الحقيقى للاتحاد الاشتراكى والموجودة فى الاتحاد الاشتراكى تستمد قيمتها من وجودها فى الاتحاد الاشتراكى .. ومن حمايته لها .

وعندما أقول الاتجاه الحقيقى للاتحاد الاشتراكى أعنى ذلك الاتجاه الذى حدده الميثاق .. والذى دأب الرئيس جمال عبد الناصر على إيضاحه فى كل خطبه .. والذى حدده بوضوح أكثر من مرة .. عندما أكد أن الاشتراكية ليست فلسفة تضيعنا فى متاهات وإنما هى بيت سعيد يبنيه القادرون على العمل تظلله مظلة العلم والصحة والأمان الاجتماعى .. وعندما قال إن مقياس الاشتراكية هو الإخلاص فى الإنتاج .. وعندما قال إن الدين هو أساس المجتمع .

إن اتجاه الاتحاد الاشتراكى قد رسمه الرئيس جمال بعمق وبساطة وتأكيد .. ولم يعد أحد من الناس تخدعه التفسيرات المضللة .. أو الفلسفات التى تدفع إلى المتاهات .

لقد كان هناك حزب شيوعى حل نفسه .

وكانت هناك أحزاب رجعية حلتها الثورة .

ترى هل لو أتيحت لها الفرص للوجود .. فهل يمكن أن تكون لها قيمة حقيقية ؟

إن الخاطر الذى يلح على ذهنى وأنا أقرأ المناقشات الدائرة حول الحزب .. يجعلنى أتمنى لو أننا .. عندما نخلص من آثار المعركة .. نتيح لها فرصة الوجود لكى تتضح قيمتها الحقيقية .

إن الذين ينتمون حقا إلى الاتحاد الاشتراكى .. كما أوضحه الرئيس جمال عبد الناصر هم الذين سيبقون فى الاتحاد الاشتراكى .. وسيجد الآخرون .. من الذين احتموا فى الاتحاد الاشتراكى بأحلام تراودهم أن

يفرضوا اتجاهم على الاتحاد الاشتراكى .. مجالا لممارسة اتجاهاتهم بحرية وصراحة .. ويواجهون الجماهير بها لتحدد قيمتهم عندها .

إنى أردد هذا الخاطر .. وأنا أعرف أن هذا ليس وقته .. ولكن أتمنى حقيقة أن يأتى وقته .. وأن تتاح الفرصة من جديد لكى يؤكد الشعب مرة أخرى ثقته غير المحدودة التى منحها للرئيس جمال عبد الناصر واتجاهه القيادى فى ٩ يونيو .. كما يؤكد رأيه فى أى اتجاه آخر يمكن أن يبرز صراحة .. ومجردا من أية حماية يستمدها من الالتصاق بالاتحاد الاشتراكى .

إن الخاطر الغريب يلح علىّ .. إننا فى حاجة قصوى .. إلى أن نعرف حقيقة كل منا .. بدقة وصراحة ووضوح .

١٣ سبتمبر ١٩٦٧

لتدعيم .. البناء العربى

● من البديهيات التى لا تقبل الجدل ولا تحتاج إلى مناقشة والتى أصبحت محاولة إثباتها .. نوعا من الثرثرة التى لا يحتملها تدافع الأحداث .. إن قيمة العرب وقوتهم — على أى مستوى وفى أى مجال — تتناسب تناسبا طرديا مع قوة وحدتهم وتضامنهم وقدرتهم على العمل الموحد فى كل ميدان .

● وإذا كانت قيمة الوحدة العربية للعرب مسألة لا تقبل الجدل فإن القدرة على تحقيق هذه الوحدة .. والمدى الذى يمكن فيه تحقيقها وتفاوت احتياج العرب إليها فى مختلف العصور .. هى التى تشكل مشكلة حقيقية .

● وليس هناك مجال سرد تطور أشكال الوحدة التى ضمت الوطن العربى ولكننا نستطيع أن نؤكد أن إحساس العرب بحاجتهم إلى هذه الوحدة وإلى إمكانية الوجود العربى الموحد والعمل العربى المشترك فى وضع الأمة العربية فى مكانها الكريم بين أمم العالم وفى تحقيق آمال الشعب العربى .. قد جعل هذه الوحدة مطلب الشعب العربى كله وجعل الجهود الضخمة تبذل فى محاولة تحقيقها .

● ولقد اصطدمت هذه الجهود بعراقيل مختلفة بعضها من الداخل وبعضها من الخارج .

● وهكذا حلت وحدة القوى الثورية مؤقتا محل الوحدة العربية الشاملة .. بغرض أن تنمو هذه القوى الثورية حتى تشمل جميع البلاد العربية فتكون فى وحدتها الوحدة الشاملة .

● وخلال هذه الجهود كانت إسرائيل دائما كقاعدة عدوانية ورأس حربة للاستعمار هي أخطر ما يسدد إلى الوطن العربي ككل .. ولقد حاولت الجمهورية العربية المتحدة كرأس للقوى الثورية فى عدة مراحل .. أن تلم شمل العرب فى نطاق يتسع للثورى وغير الثورى .. بحيث يتضامن العرب لمواجهة الخطر الأصيل الذى يهددهم جميعا .. ولكن افتقاد الثقة وإحساس بعض الحكومات بأن النظام الثورى الاشتراكى هو أقرب إلى تهديدهم وأخطر عليهم من إسرائيل أضاعا كل الجهود المبذولة من أجل توحيد الصفوف لمواجهة الخطر الحقيقى .

● ولكن .. الواقع المرير — ومن غير حاجة إلى شرح أو إسهاب — قد أثبت أن الخصم الحقيقى .. هو إسرائيل .. وأنها هى فعلا أخطر ما يواجه الأمة العربية .

● ولقد أوضح العدوان الأخير .. وجه الحقيقة ناصعا .. أن العرب جميعا .. يواجهون خصما واحدا .. ولا يميز بين عربى وآخر .. بل يفتك بهم جميعا .. ويدمرهم جميعا .

● و لم يعد هناك بعد ذلك وجه لفقدان الثقة بين بلد عربى وآخر .. والخطر الحقيقى يواجههم جميعا .. ويؤكد ضرورة إزالة أية عقبة تعترض وحدة الصف بعد أن تأكدت وحدة الهدف وهى مواجهة الخصم الحقيقى والقضاء على كل آثار عدوانه وتأكيد حق الشعب العربى فى أرضه .

● إن تصفية الخلافات الثانوية قد أضحت عملا حتميا لأنه ليس هناك وقت نضيعه فى خلاف بيننا .. ولأن جميع الطاقات العربية يجب أن تحشد لأجل تصفية العدوان والاستمرار فى العمل من أجل قوة الوطن العربى ورخاء الشعب العربى .

● إن الأسبقية الآن للوحدة العربية .. المبنية على الثقة الكاملة المتبادلة بين البلاد العربية .. مع استمرار تدعيم البناء الاشتراكى فى البلاد

العربية الثورية .. ومع تأكيد أن هذه البلاد لا تصدر ثوراتها .. وأن الشعوب هي التي تصنع الثورات ولا تستوردها .

● إن الاشتراكية ليست محدودة السبيل .. ولكل بلد سبيله إلى الاشتراكية .. التي هي كفاية وعدل .. وإذا كانت البلاد الاشتراكية لم تستورد اشتراكيتها و لم تنقلها .. فهي بداهة لا تصدر الاشتراكية ولا ترغم أحدا أن ينقل عنها .. ولكل نظام طريقه إلى الكفاية في بلده وإلى العدل بين مواطنيه .

● يجب أن يكون الهدف الأكبر .. هو تدعيم البناء العربي كله .. فإن البناء العربي المتكامل هو في حد ذاته .. تقوية للنضال ضد الاستعمار وقضاء بديهي على مطامع الصهيونية .

● إن الشعوب دائما هي صاحبة الأمر .. وهي الحاكمة في أوقات الاختبار الحقيقي للسلطان .. وإذا كانت الضربة قد وجهت إلى العرب جميعا .. فإن الشعوب العربية قد فرضت أن يواجه العرب جميعا خصمهم الحقيقي .. دون تفرقة بين عربي وعربي .

● هذه كلمات يشارك بها مواطن عربي كل العرب في دعائهم إلى الله أن يوفق المسئولين عن الوطن العربي الذين يجتمعون في أحلك الساعات لعلهم يستطيعون أن يوقدوا في الطريق ضوءا .. يسدد خطانا إلى إزالة آثار النكسة والاستعمار

٣٠ أغسطس ١٩٦٧

مؤتمر الخرطوم

● نجاح أى عمل يتوقف على مدى تحقيق الغرض منه .

وقبل أن نتساءل عن نجاح مؤتمر الخرطوم يجب أن نسائل أنفسنا ماذا كنا نريد أن نحققه من هذا المؤتمر .

أعتقد أن أول أغراض المؤتمر هو الكشف الكامل عن حقيقة الموقف العربى بكل تفاصيله ودخائله وأسبابه ونتائجه .. وأصوله واحتمالاته .. والمصارحة بموقف كل بلد واستعداده وقدرته على المشاركة فى تحمل أعباء الموقف .

وبهذا الكشف والتوضيح والمصارحة والفهم لموقف الجميع بوضوح وصراحة .. يمكن تحديد الخطوات العملية لخطة العمل فى المستقبل .

وقد تحقق هذا الغرض بما قدمه الرئيس جمال عبد الناصر من عرض للموقف بكل تفاصيله وشرحه للظروف المحيطة بالموقف قبل العدوان والموقف خلال العدوان والنتائج المترتبة عليه وتعليق الملك حسين والرئيس عبد الرحمن عارف بالتأييد ، وقبول الملك فيصل لتقدير الموقف الذى قدمه الرئيس جمال كأساس لقرارات المؤتمر .

وكان الغرض الثانى للمؤتمر هو تأكيد وإبراز التضامن العربى فى مواجهة الموقف ووقوف البلاد العربية كلها صفا واحدا إزاء الخصم المشترك .. وقد تحقق هذا بالتجمع العربى أولا .. وبالاتفاق على توحيد الجهود للتصدى للاستعمار ومؤامراته . والاتفاق على الوسائل التى يواجه بها العدوان وتصفى بها آثاره ، وأهمها دعم الإعداد العسكرى وتصفية القواعد الأجنبية .

وكان الغرض الثالث للمؤتمر هو أن يقدم كل بلد بطريقة عملية ما يستطيع تقديمه من مساعدات لزيادة قوة العرب فى مواجهة العدوان بحيث يمكن ممارسة الحل السياسى من مواقع القوة .

ولقد استطاع العون المادى الذى قدمته البلاد القادرة للبلاد التى اهتزت قدرتها الاقتصادية أن يهيىء لها فرصة الصمود وطول النفس بحيث تستطيع أن تقف فى صلابة أمام جميع الضغوط وبحيث يكون الحل السياسى غير مفروض بل مختارا من مواقع القوة وبحيث يمكن للعرب جميعا ممارسته على المبادىء الأساسية التى أقرها المؤتمر . وهى عدم الاعتراف بإسرائيل ورفض أى صلح أو مفاوضة ورفض أى مساس بحقوق شعب فلسطين .

تلك هى الأغراض التى كانت ترجى من المؤتمر وتلك هى النتائج التى حققها .

بقيت بعد ذلك .. نتائج يمكن أن ترجى .. من الآفاق الجديدة التى منحها المؤتمر .

● إن مؤتمر القمة العربى الذى ألقى الضوء على الموقف الدقيق المعقد الذى تمر به الأمة العربية قد شد خطى العرب إلى بداية طريق موحد جلى الهدف واضح المعالم .

ويمكن لكل مراقب للحوادث — من غير ما تفاؤل — أن يرى بوضوح أن انعقاد المؤتمر قد أكد ثلاث حقائق متعاقبة .

الحقيقة الأولى .. أن العمل العربى الموحد قد بات هو الوسيلة الأولى إن لم يكن الوحيدة من أجل التصدى للعدوان الاستعمارى الصهيونى وإزالة آثاره وتأكيد سيادة الشعب العربى على أراضيه .

الحقيقة الثانية .. هى أن تحقيق العمل العربى الموحد قد بات ممكنا بعد التصارح بالحقائق والفهم المتبادل لجميع الإمكانيات ، وطى كل الخلافات التى تضاءلت إلى جوار الخطر الحقيقى الذى هدد ويهدد كل

الوطن العربى .

الحقيقة الثالثة .. هو أن هذا العمل العربى الموحد الذى أمكن تحقيق بعض خطواته فى هذا المؤتمر يمكن أن يكون منطلقا نحو وحدة كاملة كبرى تذيب الحدود الشكلية بين البلاد العربية ، وتجعل من هذه المنطقة الخطيرة من العالم مكانا لدولة كبرى هى الدولة العربية الكبرى التى تملك من الإمكانيات المادية والبشرية والتراث الحضارى ما يمكن أن يدفع بها فى طريق التقدم والتطور بحيث تستطيع أن تواجه التحديات التى أذلتها على مدى التاريخ .

ولعل اللطمة التى تلقاها الوطن العربى فى مجموعه ، والتى تلقاها كل عربى فى شخصه بالعدوان الأخير .. قد جعلت هذه المجموعة الضخمة التى تبلغ ٩٠ مليون فرد تقطن فى أهم وأغنى وأخطر بقاع العالم قد أدركت أن التحدى الموجه لنا فى بقعة من أرضنا .. لم يوجه إلى بلد بذاته ، بل وجه إلى العرب جميعا .. و لم يوجه من إسرائيل وحدها .. بل من قوى كبرى وراءها على رأسها أمريكا .. تمثل مجموعة تملك نوعا من السيادة والسيطرة على هذا العالم وتحس بالتفوق والاستعلاء والسيطرة على مجموعة أخرى من هذا العالم بينها العرب .

ومواجهة تحديات هذه القوة .. التى أطلق عليها قوى الاستعمار لا تواجه .. بوسائل فردية بدائية .. ولكنها تواجه بقوة كبرى تملك الإمكانيات لمواجهة هذه القوى المستعلية المعتدية .

ولا يلغى ذلك بداهة .. مقاومة هذه التحديات .. بكل ما نملك من وسائل مهما كانت بدائية وفردية .. لحسر موجة عدوانها .. وصدها .. ولكن هذه المقاومة .. التى نحمى بها وجودنا ومصيرنا يجب أن يصحبها عمل مستمر دائب .. من أجل تشييد القوة الكبرى التى تستطيع أن تقهر جميع هذه التحديات بمجرد وجودها ..

وتشييد هذه القوة الكبرى فى هذه المنطقة الحيوية التى تمتد من الخليج إلى المحيط .. رغم أنه يبدو لنا دائما كالحلم .. ورغم أنه قد لاقى الكثير من العراقيل والموانع .. كان أكبرها — ولا شك — هو ما وضعته هذه القوى الاستعمارية المضادة .. التى تعودت ممارسة السيادة علينا والسيطرة على مواردنا .. وإذلالنا بالاستعلاء والغرور ، والتحكم ..

إن حلم تشييد هذه القوة الكبرى .. التى يمكن أن تكون فى الدولة العربية الكبرى .. قد أخذ يلح فى نفوسنا .. وبدت خيوطه البيضاء تداعب عيوننا .. كأنها خيوط النهار تتسلل بين ظلمات ليل أوشك أن ينجلى ..

وفى هذا الوقت بالذات .. الذى يطبق فيه العدوان على حدودنا العربية .. حاملا معه .. ريحا خانقة .. تكتم الأنفس .. وتشيع اليأس والمذلة فى النفوس .. ليس عجيبا أن تشم ريح أمل تهب وسط سموم الضيق واليأس .. لأننا نملك من إمكانيات الأمل والنمو والقوة فى باطننا ما نستطيع به أن ندرأ كل خطر يهددنا ..

إننا نملك أن نحقق بأملنا فى الحياة وبأمل الأجيال القادمة فينا .. القوة العربية الكبرى التى نستطيع أن نتصدى بها .. لأولئك الذين حاولوا إذلالنا .. واستعبادنا واغتصاب حقوقنا .

من هذا التجمع العربى الذى حدث فى الخرطوم .. فى أحلك أوقاتنا .. يمكن أن نحقق انطلاقة كبرى فى هذه المنطقة الخطيرة من العالم .. بمجرد أن نشد هذه الأجزاء المتناثرة فى الوطن العربى .. لنجعل منها .. الدولة العربية الكبرى .. التى يمكن أن تواجه .. على مدى الأيام .. كل من أذل العرب .. واستعلى عليهم .. من إسرائيل .. إلى أمريكا .

وإذا كان المؤتمر قد قرر الدعم العسكرى .. لمواجهة العدوان .. فلتكن هذه بداية للجيش العربى الواحد .. بحيث توضع فيه كل إمكانيات

العرب .. وبحيث يصبح الجيش العربى مدافعا عن كل الوطن العربى .. بإرادة عربية واحدة .. وخطة عربية موحدة ..

إن حشد إمكانيات العمل العربى .. لإزالة آثار العدوان .. يجب أن يكون أبعد مدى .. وأكبر قدرة .. لكى يقيم البناء العربى الموحد .. الذى يمكن أن يفرض السيادة العربية .. ويوقف كل عدوان .. ويأخذ للعرب فى فلسطين ، وفى كل مكان من الوطن العربى حقوقهم من غاصبيها .

هل هى أحلام كاتب .. أن يرى الاقتصاد العربى كله فى خدمة العرب .. وأن يرى تكاملا اقتصاديا .. بجعل أموال العرب تشيد صناعاتهم وتزهر أرضهم .. وتمنحهم الرخاء والكفاية والعدالة ..

هل هى أحلام كاتب .. أن يرى الجامعات الكبرى فى عواصم العرب .. تضم كل العرب فى ثقافة موحدة .. وتخلق من القدرات العربية ، والكفاءات العربية والمدارك العربية .. تقدما علميا يجعلنا نعوض مئات السنين من التخلف عن ركب الحضارة .

هل هى أحلام كاتب .. أن يتحرك المواطنون العرب بحرية كاملة داخل وطنهم العربى .. مستغلين كل الطاقات العربية فى الاستثمارات العربية .

هل هى أحلام كاتب .. أن يجد العربى فى وطنه العربى كل إمكانيات العمل والعلم والثقافة والسياحة .. بغير قيود ولا حدود .

هل هى أحلام كاتب .. إن يبرز الوطن العربى عملاقا قويا غنيا قادرا .. فى هذه المنطقة الخطيرة من العالم ؟ ..

إن اجتماع الخرطوم قد وضع خطى العرب على بداية الطريق .

والسير فى الطريق يحتاج إلى ثقة دائمة .. بقدرة العمل العربى الواحد .. على تحقيق المصير العربى المشرق .. يحتاج إلى طول صبر وحسن فهم .. يحتاج إلى وعى بكل ما يمكن أن يضعه الخصم ــ الذى مارس فينا السيادة والاستغلال ــ فى طريقنا من عقبات وما يمكن أن يبذله من أجل

تفتيت وحدتنا .. والنفاذ بين صفوفنا .

يجب أن نكون مخلصين فى تنفيذ قرارات الخرطوم .. كخطوة أولى .. من خطوات طويلة .. يجب أن نسير فى طريق تشييد البناء العربى الواحد .. الذى يحقق الانتصار للعرب جميعا والذى يدفع عنهم كل عدوان .. والذى يقف قويا مهابا بين دول العالم تنحسر أمام أقدامه .. كل محاولة لاستعلاء .. أو غرور .. أو صلف .

إنها أحلام كاتب .. قد بتنا فى أشد الحاجة إلى تحقيقها .. من أجل مصيرنا .. ومصير أبنائنا .. ومن أجل إنهاء هذا الليل الحالك الذى يجثم على أنفاسنا ..

٦ سبتمبر ١٩٦٧

أصدقاء لماذا ؟ وأعداء لماذا ؟

(١) رصيد الصداقة والخصومة

لكل إنسان أصدقاؤه وأعداؤه .

وأصدقاء الإنسان أحد منابع ربحه فى الحياة .. وأعداؤه .. شر مصادر الخسارة فيها .

وأعقل الناس أحفظهم للأصدقاء .. وأقدرهم على كسب المزيد منهم .. وأفهمهم للأعداء .. وأقدرهم على كسر حدة خصومتهم ومواجهة شرورهم .

ولكى يكسب الإنسان المزيد من صداقة الأصدقاء .. لا بد أن يدرك سبب ارتباطهم به .. ولكى يكون أقدر على مواجهة الأعداء لا بد أن يعرف سبب خصومتهم له .

وما ينطبق على الفرد .. ينطبق على البلد .

فنحن نضع أصدقاءنا فى قائمة الأرباح .. وأعداءنا فى كشف الخسائر .

وعندما نعيد تقدير موقفنا .. بين الأرباح والخسائر .. يجب أن نعرف ..

لماذا الأصدقاء .. ولماذا الأعداء ؟ .

ولقد تعود البعض عند محاولة حساب النتائج ..

أن يضع النتائج مسبقا .. لأنه يريد هذه النتائج .. ثم يسلسل لها الأسباب .. ويدور بها ويلف حتى .. تؤدى .. — بطريقة ما — يتوهم

أنه قادر على إقناع الغير بها — إلى النتائج التى يريدها .

ولكن لكى تكون صادقا مع نفسك .. ومع الآخرين .. يجب أن تتحرك مع الأسباب الحقيقية .. لتصل إلى النتائج الصادقة .. حتى تقف على أرض صلبة من الحقائق التى يفرضها الواقع .. ولا تتأرجح وتؤرجح الناس معك .. على أوهام تفرضها رغباتك .. أو أمانيك .

وبهذا الأسلوب نتناول علاقتنا بالعالم . لنعرف حقيقة موقفنا فيه بين الأصدقاء والأعداء .. ونتبين الأسباب الحقيقية للصداقة والخصومة .. بحيث نستطيع ونحن نعيد تقدير موقفنا .. أن نحركه إلى ما هو أجدى علينا وأفضل لمصيرنا .

وعندما أقول نحن .. أقصد العرب كوحدة واحدة .. تربطها علاقة الأسرة .. ذات الصداقات التى ترتبط بها ككل .. والخصومات التى توجه إليها ككل .. والتى تشدها من الداخل علاقة أوثق من الصداقة .. والتى تعتبر خلافاتها مهما بلغت .. خلافات ذوى قربى .. تذوب إذا ما دق ناقوس الخطر ليهدد مصيرهم جميعا .

علاقات العرب .. لا تدخل فى قائمة الصداقة والخصومة .. وإنما هى شىء أوثق من ذلك .. أكده واقع الحياة .. أكثر مما أكدته دراسات الباحثين وحجج الكتاب .

ما هى علاقتنا إذن بالعالم الذى حولنا .. وما هو رصيدنا من الصداقة والخصومة وما هو السبب الحقيقى لها .. واضعين فى الاعتبار عند تقدير موقفنا :

● أننا يجب ألا نندفع فى خصومات .. ذات أسباب وهمية .. بحيث نضيع جهدنا فى معارك لا مبرر لها .

● أننا يجب ألا نخطىء فى فهم أسباب صداقتنا مع الغير .. بحيث نعجز عن تنمية صداقتنا له .. وبحيث تذوب الصداقة مع الزمن نتيجة عدم

الوعى أو التضليل فى إدراك أسسها . تحميل الصداقة أكثر مما تحتمل .

● إننا يجب أن نعرف أسباب الخصومة الحقيقية .. حتى نعرف كيف نزيلها إذا استطعنا .. وكيف نواجهها إذا لم نستطع .

ومن العسير أن نبحث فى كل بقعة من بقاع العالم الواسع عن الخصوم والأصدقاء .. ولكن من الممكن أن نضع خطوطا تقريبية فاصلة بين مجموعة من الأصدقاء .. ومجموعة من الأعداء .. أكدت لنا التجارب .. موقفها منا .. عملا .. وحسا .

ففى جانب الأصدقاء نضع بما لا يقبل الجدل .. البلاد الاشتراكية .. وبلاد القارات الثلاث أفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية التى لا تقع تحت نفوذ الاستعمار . وفى جانب الخصوم نضع إسرائيل ثم المعسكر الغربى (فيما عدا فرنسا) وبلاد القارات الثلاث الواقعة تحت نفوذ الاستعمار .

وعندما نتناول صداقة البلاد الاشتراكية لنا .. يخطىء البعض عندما يحاولون إجمال أسبابها فى أن مبعثها هو وحدة الجماهير العاملة .. ويزداد خطؤهم عندما يحاولون أن تشمل هذه الوحدة بلاد المعسكر الغربى .. بحيث يتوهمون أن صداقتنا مع العالم كله يمكن أن تبنى على وحدة الجماهير العاملة .. ويقذفون بعبء الخصومة على النظم غير التقدمية التى تسيطر على بلاد الخصوم ..

ويبدو أن تناول المسألة بهذه الكيفية .. نتيجة الالتزام بمبدأ معين ..وافتراض نتيجة مسبقة هى أن يكون هذا المبدأ هو الذى يجعل من التزامه سبب صداقة .. وبين عدم التزامه مبعث خصومة .. وأن تكون الصداقة قائمة أساسا بين الجماهير العاملة أيا كان موضعها .. هو نوع من الالتزام الضيق .. الذى يهون تناول الأمور .. بفرض النتائج المسبقة وترك الأسباب تنساق بحيث تؤدى إلى هذه النتائج .

ونموذج لهذا الأسلوب ما أكده الأستاذ لطفى الخولى فى حديثه عن

اليهودية والصهيونية وإسرائيل عندما شرح أسباب « إن عداءنا ليس موجها فى قليل أو كثير إلى المليونين ونصف المليون يهودى عامة ، وإلى العمال والفلاحين منهم خاصة . المستغلين والمستعبدين داخل النظام الإسرائيلى ، وإنما هو ضد النظام الإسرائيلى كواقع عنصرى استعمارى يخدم مصالح الإمبريالية ويعمق بذور المعاداة للسامية فى المنطقة ويستغل جماهير اليهود جنبا إلى جنب مع العرب من المسلمين والمسيحيين » .

ومع التسليم سلفا .. بأننا لا نعادى الناس الطيبين الكادحين فى حقولهم والعاملين فى مصانعهم فى أية بقعة من بقاع الأرض بما فيها إسرائيل .. فإنى أعتبر أن تناول الأستاذ لطفى الخولى أسباب خصومتنا مع إسرائيل بهذا الشمول السهل .. هو نوع مما سبق الحديث عنه من الالتزام الضيق بمبدأ وحدة العمال . ومحاولة تعميم المبدأ فى حالة خاصة يجب بحثها بدقة وتفصيل .. لأن اعتبار المليونين ونصف المليون يهودى فى إسرائيل هم مجرد فلاحين وعمال كادحين مستعبدين ليس بيننا وبينهم عداء .. تعميم خاطئ .. لأن من هؤلاء الـ $\frac{1}{2}$ ٢ مليون ٢ مليون ليسوا أصحاب أرض .. ولا مواطنين أصليين فى البلاد .. بل هم معتدون .. نهابون .. اعتدوا على أرض غيرهم من العرب ونهبوا دورهم .. ولا يمنع كونهم عمالا أو فلاحين من ثبوت الجرم عليهم ومن أخذهم بهذا الجرم . واعتبارهم أعداء لأصحاب الأرض المسروقة والدور المنهوبة .

وأمر آخر .. إن هؤلاء المليونين ونصف المليون . ليسوا فى الحقيقة مجرد فلاحين وعمال كادحين طبيعيين . وإنما هم جنود مسلحون . فى بلد معسكر .. سواء كانوا فى مستعمراتهم وسط الحقول .. أو فى الخطوط الأمامية . وهم يشكلون القوة العدوانية التى مارست وتمارس العدوان على أرض العرب وشعب العرب . ومن العسير — لمجرد تطبيق مبدأ وحدة العمال والطبقات الكادحة — أن نسلم مع الأستاذ لطفى الخولى أن عداءنا

ليس موجها لهم وإنما هو موجه فقط للنظام الإسرائيلى . ومن العسير أيضا أن أفصل عند حسابى لمسئولية العدوان على العرب بين النظام المخطط للعدوان .. والقوة البشرية المنفذة له .. وكيف أوجه عدائى لواضع الخطة دون الأداة المنفذة ..

وكيف أتجاهل مسئولية الشعب عن النظام ما دام راضيا بأن يحكمه ويوجهه ويخطط له وينفذ به .

وتبرز بعد ذلك محاولة تعميم هذا المبدأ — مبدأ صداقة الجماهير العاملة فى كل العالم — على المعسكر الغربى .

هل حقيقة أنه ليس بيننا وبين العامل فى أوروبا وأمريكا خصومة ؟ .

إذا سلمنا بأن هدف الاستعمار الأصلى من البلاد المستعمرة هو الحصول على الأسواق وتصدير رأس المال . واستغلال موارد البلاد وقوة العمل الرخيصة فى الشعوب .

فهل نعتقد أن الاستعمار يخدم فقط طبقة الرأسماليين فى هذه البلاد أم أنه يخدم أيضا عمالها ؟ .

هل يمكن أن يكون مستوى المعيشة الذى يتمتع به العامل الأوربى والأمريكى .. والأجر المرتفع الذى يحصل عليه .. إلا نتيجة للسعر المنخفض الذى يفرضه الاحتكار العالمى على خامات البلاد المستعمرة . ورخص قوة العمل فى هذه البلاد . وارتفاع ثمن السلع التى تصدر إلى هذه البلاد — والتى ينتجها العامل فى البلاد الاستعمارية بأجر مرتفع — نتيجة لممارسة الاستعمار بشكله القديم والجديد .

كيف يمكن اعتبار العامل هناك غير منتفع بالاستعمار . وبكل نتائجه . وكيف يمكن أن نسلم بأن صداقتنا تبنى بصفة عامة على أساس وحدة الجماهير المكافحة .

كيف تكون هناك وحدة بين عمال أمريكا أصحاب العربات

والتليفزيونات والثلاجات .. وعمال إفريقيا الذين ما زالوا يمارسون العيش البدائى فى الأدغال ؟ .

إن مسألة وحدة الجماهير العاملة لم يعد لها وجود فى عالم اليوم .. بعد أن اختلف مستوى العمال من بلد إلى بلد اختلافا بينا .. وأضحى على عمال كل بلد أن يكافحوا من أجل البناء والتنمية والعدالة الاجتماعية بكل ما يملكون من وسائل وأن يتلمسوا الصداقات .. حيث يمكن أن يجدوها ...

ولعل الصدع الذى حدث بين الصين والاتحاد السوفيتى .. قد أوضح جيدا أن الوحدة الوطنية أعمق من وحدة الطبقات العاملة .. وأن على كل بلد أن يتلمس طريقه إلى الأصدقاء .. حسب الأسباب الواقعية التى تفتح الطريق إليهم .

بعد هذا نتحدث عن صداقتنا مع المعسكر الاشتراكى .. أسبابها وتطورها .

ولكى نضع المعسكر الاشتراكى .. وعلى رأسه الاتحاد السوفيتى فى موضعه يجب أن نحدد للثورة الاشتراكية التى حدثت فى روسيا سنة ١٩١٧ قيمتها الحقيقية وأن نؤكد الدور الذى أدته للشعوب المكافحة التى عملت من أجل التحرر والبناء .. ونحن من بينها .

إن ثورة أكتوبر قد فتحت صفحة جديدة فى التاريخ مع بداية انهيار الإمبريالية وبدء نشوء المجتمع الجديد القائم على المساواة والإنسانية بين البشر فى الحقوق والواجبات ورفضه مبدأ السيطرة والاحتكار والاستغلال على جميع المستويات سواء كانت فردية أو دولية .

ولا شك أن نجاح كفاح الشعب الروسى الثورى ضد الكبت الاجتماعى والخلاص الوطنى قد فجر ثورات الجماهير العاملة فى مختلف الشعوب ووفر الاحتياجات الضرورية لنجاح حركات التحرر الوطنى .

حتى أخذت الجبهة الإمبريالية تتداعى وضعف نفوذها السياسى والاقتصادى والعسكرى .

ولقد كانت معاونة الاتحاد السوفيتي للبلاد المكافحة سواء فى معركة التحرر من الاستعمار أو فى معركة النمو الاجتماعى والاقتصادى على أساس العلاقة القائمة على احترام السيادة والصداقة المتكافئة الأطراف .. وعدم تطلب شروط يمكن أن تنتقص من السيادة الوطنية أو تفرض على البلد نظاما يمكن أن يربطها بأكثر من الصداقة المتبادلة .

تلك هى صورة الاتحاد السوفيتي كما ارتضينا صداقته وكما التزم بها نحونا ونحو غيرنا من الدول المكافحة من أجل الحرية والبناء .

ولعل الظروف التاريخية هى التى وفقت ثورتنا وبقية الثورات الوطنية التى توالت من بعدنا إلى أن تتلاقى مع الثورة الاشتراكية السوفيتية فى مرحلة كانت هى نفسها فى أشد الحاجة إلى كسر نطاق العزلة التى فرضها عليها الستار الحديدى الذى وضعته على نفسها أولا .. ثم نطاق الأحلاف العدوانية والقواعد العسكرية التى لفها به المعسكر الرأسمالى لحصار نفوذ المعسكر الاشتراكى ومنعه من التسرب إلى العالم الخارجى .

٢٠ سبتمبر ١٩٦٧

أصدقاء لماذا ؟ وأعداء لماذا ؟

(٢) صداقة الاتحاد السوفيتى

إن المرحلة التى التقينا فيها مع الاتحاد السوفيتى قد حددت معالم أسلوب جديد لتعامل المعسكر الاشتراكى مع العالم الخارجى .. غير الأسلوب التقليدى الذى يقصر التعامل على طريق الأحزاب الشيوعية التى تنبت بذورها فى شتى أنحاء العالم .. ويوالى سقيها ورعايتها بحيث تنمو مرتبطة بالمعسكر الشيوعى وجزءا منه .. وبحيث تضع البلد إذا ماتولت زمام السلطة فيه فى نطاق الوحدة الشيوعية العالمية .

ولقد دفع إلى تغير أسلوب التعامل الخارجى التطور الداخلى فى نفس النظام الشيوعى داخل الاتحاد السوفيتى والذى أدى مع غيره من الأسباب إلى الصدع الخطير الذى شطر المعسكر الشيوعى وأوجد بين شطريه من الخلاف ما فاق خلاف المعسكر الاشتراكى مع خصمه التقليدى .. المعسكر الرأسمالى .

ويبدو أننا لا نستطيع تجنب الخوض فى التطور الذى حدث فى النظام الشيوعى .. لأن هذا التطور هو الذى خلق البيئة الصالحة لإثبات الصداقة السوفيتية مع العالم الخارجى على أسس جديدة من التعاون والصداقة .

وإذا كانت المرحلة الستالينية التى يمكن اعتبارها ضرورة لازمة فى تطور النظام الشيوعى قد أدت دورها فى فترة معينة .. وانتهى دورها بانتهاء ما أدته .. واستطاعت أن تجند الطاقة الإنتاجية فى الاتحاد السوفيتى بحيث دفعت به ليكون إحدى أكبر قوتين فى هذا العالم .

إذا كانت هذه المرحلة قد جارت فى الداخل على حق الفرد فى عائد الإنتاج وحريته فى الحياة على حساب نمو الدولة بحيث وصف النقاد السوفيت هذه المرحلة بأن رخاء الإنسان فيها كان لا يرى إلا فى أفلام الدعاية السينمائية التى تعرض عليهم والتى كان المحصول فى المزارع الجماعية يباع للدولة بأبخس الأثمان بحيث لا يكاد الفرد يحصل على أدنى حاجاته فى الحياة .

إذا كانت هذه المرحلة قد انعكست بمثل هذا الجور على حياة الفرد فى الداخل .. فإنها قد انعكست بنفس الجور على العلاقات السوفيتية مع العالم الخارجى .. بحيث أقامتها على التشكيك والريبة وبحيث كانت الأحزاب الشيوعية التى بذرت بذورها فى خارج العالم الشيوعى أردأ موصل يمكن أن يصل بين العالم الشيوعى والبلاد التى تسلك سبيلها نحو التحرر والنمو .

ولست أريد أن أخوض فى طريقة تشكيل هذه الأحزاب وفى طريقة عملها فأنا أعتقد أنه لا بد أن يحين الوقت الذى يؤرخ أحد الذين خاضوا هذه التجربة لها ويسجل رأيه فيها وفى تطورها وفى الأفراد الذين قاموا بها وبكل ما حدث فيها من متناقضات وهى على أية حال لا يمكن أن تخلو من إخلاص وأمانة وشرف وإنسانية ووطنية من بعض من خاضوها .. كما لا يمكن أن تخلو من عكس هذا كله من البعض الآخر .

ولست أدرى إلى أى شكل كان يمكن أن تنتهى .. لولا أن أدركها التطور الذى حدث فى أسلوب تعامل الاتحاد السوفيتى مع العالم الخارجى وضمور الاعتماد على الأحزاب الشيوعية الممالئة مما كان أحد أسباب التصدع الصينى السوفيتى ومما أعطى مزيدا من الحرية للأحزاب الشيوعية القديمة ومنحها نوعا من الاستقلال عن موسكو .

ولكن الذى لا شك فيه أن هذه الأحزاب كانت كما قلت حتى بداية التطور السوفيتى .. موصلا رديئا بين المعسكر الشيوعى والبلاد الأخرى

وإنها لم تستطع قط أن تمد جذورها فى الأرض الجماهيرية .. بل كانت محدودة الانتشار سطحية الجذور .. بحيث لا يمكن مقارنتها بغيرها من التنظيمات التى وجدت بجوارها واستطاعت أن تتسرب إلى الجماهير .

والشيء الذى لا جدال فيه هو أن هذه الأحزاب الشيوعية لم تستطع بأية حال أن تشد البلاد التى وجدت فيها إلى المعسكر الشيوعى .. بل على النقيض كانت مبعث تشكك وريبة وحتى بعد أن بدأت الصداقة بين هذه البلاد والمعسكر الشيوعى كانت فى كثير من الأوقات سببا لسوء التفاهم وتعكير صفو الصداقة القائمة بينهما .

صداقتنا إذن مع الاتحاد السوفيتى لم تقم قط على رباط من أحزاب شيوعية .. أو على مبدأ وحدة الجماهير العاملة .. وإنما بدأت .. ولعل هذا تاريخ لا ينكره أحد .. بحاجة الاتحاد السوفيتى إلى كسر نطاق الأحلاف العدوانية التى كانت أمريكا تحاول أن تفرضها عليه متحالفة مع بقية المعسكر الرأسمالى والتى تتمثل فى حلف الأطلنطى وحلف جنوب شرقى آسيا .. ثم حلف بغداد فى منطقة الشرق الأوسط الذى كان من الممكن أن نكون نحن إحدى حلقاته .. والذى استطعنا أن نحطمه ونكسر النطاق الذى كان يوشك أن يحكم حلقاته حول المعسكر الشيوعى فى هذه المنطقة .

تلك كانت حاجة الاتحاد السوفيتى إلينا .. حاجته إلى صديق يكسر من حوله نطاق الخصومة الذى يلتف به .. أما حاجتنا إلى الاتحاد السوفيتى فقد كانت ليعاوننا على كسر أسار التبعية الاستعمارية .. وتأمين أنفسنا ضد تهديد إسرائيل بالسلاح الذى عجزنا عن الحصول عليه من المعسكر الغربى .. حاجة إلى صديق يشد أزرنا بصداقته .. ونكسر نطاق الخصومة من حوله بصداقتنا .

معادلة متكافئة .. لا أظن أحدا يستطيع على التاريخ إنكارها .. تمثلت عمليا فى صفقة الأسلحة من جانب .. وفى كسرنا لحزام الخصومة المتمثل

فى حلف بغداد ثم مشروع أيزنهاور من جانب آخر .

لقد بدأت صداقتنا بالاتحاد السوفيتى .. قبل أن نبدأ التحول الاشتراكى .

واستمر التعاون بيننا وبين الاتحاد السوفيتى فى النمو على أساس الصداقة المتبادلة .

قدم إلينا الاتحاد السوفيتى المعونة فى إنشاء السد العالى .. وقدمنا إليه الصداقة والتعاون المتبادل فى النضال ضد المعسكر الاستعمارى .. ويخطئ من يظن أن اختيارنا للاشتراكية هو نوع من الثمن قدمناه لمعونات الاتحاد السوفيتى .

ويخطئ من يظن أن موقفنا الدولى الذى كان يلتقى مع الاتحاد السوفيتى فى كثير من الاتجاهات هو مقابل آخر .

فإننا نؤمن بأن الاشتراكية هى السبيل الإنسانى الوحيد .. لرخاء شعبنا ونموه ونهضته .. ونؤمن بأن الاشتراكية — كما قال الرئيس جمال عبد الناصر ليست متاهات فلسفية .. وإنما هى تهيئة بيت سعيد يبنيه القادرون على العمل تظلله مظلة العلم والصحة والأمان الاجتماعى .. ونؤمن بأن الاشتراكية هى تكافؤ فرص بين القادرين على الإنتاج من أجل تحقيق الكفاية والعدل للمجتمع .. ونؤمن بأن اشتراكيتنا قائمة على الدين .. وأن ديننا اشتراكى .. ونؤمن بأننا لا ننقل اشتراكيتنا عن الغير .. وأننا لا نضعها فى قوالب مصبوبة .. وإنما هى أسلوب متطور لتحقيق مزيد من الكفاية ومزيد من العدل يمكننا من أن نجعل الحياة للجميع مليئة بالرخاء والخير والحب والجمال .

وإذا كانت ثورة أكتوبر الاشتراكية الروسية كما قلت فى أول مقال — على كل ما أحاط بها من ظروف التطبيق فى مختلف المراحل — قد فتحت صفحة جديدة فى التاريخ مع بدايه انهيار الإمبريالية وبدء نشوء المجتمع الجديد القائم على المساواة والإنسانية بين البشر فى الحقوق والواجبات

ورفضه مبدأ السيطرة والاحتكار والاستغلال على جميع المستويات سواء كانت فردية أو دولية .

إذا كانت تلك هى ثورة ١٩١٧ فلا أظن التقاءنا معها .. والأخذ باتجاهاتها الإنسانية القائمة على رفض السيطرة والاحتكار والاستغلال يمكن أن يكون ثمنا نقدمه لمعونة أو نوعا من التبعية .

وهو أيضا لا يمكن أن يكون كما يقول البعض الآخر نوعا من وحدة الجماهير العاملة المكافحة .. وإنما هو لقاء على صداقة تقوم على مصالح متبادلة واتجاه إنسانى واحد .. وهذا هو ما يمكن أن يربط الشعبين وينمى صداقتهما .. من أجل تحقيق التحرر من الاستعمار ومن أجل تحقيق النمو الاجتماعى والاقتصادى على أساس احترام السيادة والصداقة المتكافئة الأطراف .

تلك أسباب صداقتنا مع المعسكر الاشتراكى .

أما صداقتنا مع بلاد القارات الثلاث آسيا وإفريقيا وأمريكا اللاتينية التى لا تخضع للاستعمار أو بطريقة أشمل جميع شعوب القارات الثلاث .. فلا أظنها تحتاج إلى جهد فى الشرح .. فهى علاقة صداقة بسيطة تقوم أسبابها على وحدة الآلام ووحدة الآمال .. فنحن ببسيط العبارة فى الهوى سوا .. والشعوب الأسيوية والإفريقية تجمعها وحدة المعاناة من الاستعمار القديم الذى سيطر على مواردها .. واستغل جهود شعوبها .. من أجل انتزاع أكبر قدر من الخامات بأبخس الأثمان .. وإعادتها مصنعة إلى هذه البلاد التى تشكل السوق المستوعبة للسلعة المنتجة بأبهظ الأثمان .. وبفارق سعر الخامة البخسة المستوردة والسلعة الباهظة المصدرة .. يعيش المستعمر مستواه الرفيع وينمى حضارته .. ويزيد من قدرته على استغلال واحتكار الشعوب المستعبدة .

أما شعوب أمريكا اللاتينية فيجمعها وإيانا المعاناة من الاحتكارات التى يفرضها الاستعمار بوجهه الجديد لدينا والقديم فى بلادها .. تجمعنا الموارد

المستغلة وقوة العمل الرخيصة والأرباح المنهوبة لينعم بها شعب غير صاحبها .. ويظل شعبها يعانى من الحاجة والتخلف .. وتسبقه غيره من بلاد الاستعمار بمئات أعوام من الحضارة المبنية على موارده وعلى قواه العاملة .

تلك هى الآلام التى تجمعنا بشعوب آسيا وإفريقيا وأمريكا اللاتينية .. أما الآمال فهى آمال فى مستقبل مشرق نكافح معا من أجل تحقيقه وحياة كريمة نتلهف على أن نحياها ونمارس فيها قدرتنا على العمل فى استغلال مواردنا من أجل أنفسنا ومن أجل تقدمنا ورخائنا وازدهارنا .. ومن أجل أن نقطع أعوام التخلف لنلحق بركب الحضارة الذى سبقنا طوال فترة الاستعمار والاستغلال التى فرضت علينا وحرمتنا الحياة الحرة الكريمة .

تلك هى وحدة الآلام والآمال التى تجمعنا والتى لا تفتأ تمزقها محاولات الاستعمار بالمؤامرات والحكومات التى تحاول أن تلوى عنق الشعوب إلى اتجاه غير اتجاهها الطبيعى فى النمو والإرادة .

ووحدة الآلام والآمال تحتاج إلى كفاح طويل لكى تزيل ألما أو تحقق أملا .. وهى تحتاج إلى معونة الأصدقاء الذين يمكن أن يعاونوا فى تخفيف الآلام وتحقيق الآمال .

ولكنها مع ذلك وحدة عميقة ثابتة على الزمن .. مهما حاول الاستعمار أن يلوى عنقها بحكومات تعبر عنه أكثر مما تعبر عن شعوبها وهى وحدة مصير بين شعوب تشاركت فى ماض أليم .. وتتعاون من أجل تحقيق مصير أسعد ومستقبل أفضل .

هؤلاء هم أصدقاؤنا وتلك هى أسباب صداقتهم .

ماذا إذن عن أعدائنا ..

وعن أسباب خصوماتهم .. كيف يمكن أن نتقيها أو نواجهها إذا لم نستطع اتقاءها .

٢٧ سبتمبر ١٩٦٧

أصدقاء لماذا ؟ وأعداء لماذا ؟

(٣) من نعادى فى إسرائيل ؟

من هم أعداؤنا .

عدونا الأول .. بغير تردد هو إسرائيل ؟!

وعداوة إسرائيل لنا .. عداوة بالأصالة .. وبالنيابة .

بالأصالة عن نفسها .. وبالنيابة عن الاستعمار .

ولو أن إسرائيل .. مجرد قاعدة عدوانية استعمارية .. كبقية القواعد الاستعمارية .. لكان أمرها أيسر مما هو بكثير .. ولكن المصيبة هى أنها رغم استعمال الاستعمار لها كقاعدة استعمارية يضمن بها وجوده فى المنطقة .. فهى قبل هذا .. وأخطر من هذا وجود ذاتى عدوانى .. أوجدت نفسها بعدوان على الغير .. وأكسبت نفسها شكل الدولة فى هذه البقعة .. بفرض الأمر الواقع الناتج عن العدوان على أصحابها .

وحتمت طريقة خلقها العدوانية .. التى أنبتتها فى حقل من الكراهية .. أن تقى نفسها بمزيد من العدوان المستمر .

وأصبح العدوان عنصرا من عناصر وجودها .. ونموها .. غير المحدود .. الذى تهفو إليه أحلام الصهيونية .. وتهيىء له إمكانية التوسع .. الطاقة البشرية اليهودية التى يسعون إلى استيرادها بالتهجير من شتى أنحاء العالم .. ولا يبقى لتنفيذ النمو إلا مزيد من الأرض تقتضم من أرض العرب علها تصل مع طول العدوان والتوسع ما بين النيل والفرات لتحقق أحلام الصهاينة فى أرض الميعاد .

إسرائيل إذن .. بغير ما تردد ولا جدال .. هى عدونا الأول .

ولعل محاولة البحث عن أسباب عداوتنا لإسرائيل .. تصبح نوعا من اللغط والثرثرة .

ولكن مع ذلك يحلو للبعض أن يثيروا سؤالا .. من نخاصم فى إسرائيل . ولمن عداؤنا ؟

هل عداؤنا موجه إلى $\frac{1}{2}$ ٢ مليون عامل وفلاح الذين يطلق عليهم صفة المستغلين المستعبدين من النظام الإسرائيلى العدوانى ؟

أم هل يقتصر عداؤنا على النظام الإسرائيلى فقط ؟

ثم يجيبون على السؤال ببساطة وبتعميم سهل بأن عداءنا ليس موجها إلى $\frac{1}{2}$ ٢ مليون فلاح وعامل وإنما هو للنظام الإسرائيلى نفسه مستندين فى ذلك إلى المبدأ الذى يؤكد وحدة الطبقات العاملة فى العالم كله وأن الخصومة لا يمكن أن تكون بين طبقة عاملة وطبقة عاملة فى وطن آخر وإنما الخصومة بين الطبقة العاملة فى العالم وطبقة أخرى مستغلة فى العالم وأن الصراع يجب أن يكون صراعا طبقيا لا صراعا قوميا وأن الطبقات العاملة فى النظام الرأسمالى لا يوجه إليها عداء النظام الشيوعى وإنما يوجه إلى النظام الرأسمالى نفسه الذى يستغل هذه الطبقة ويستعبدها .. والتطبيق المبسط السهل لهذا المبدأ ينتج عنه النتيجة التى استقر عليها هؤلاء فى استنباط خصومتنا مع إسرائيل .. ومن نخاصم فيها .. ومن نصادق .. وينتهى تفكيرهم بمنطق يحتم أن عداءنا لا يوجه إلى الطبقة الكادحة العاملة فى إسرائيل وهى الـ $\frac{1}{2}$ ٢ مليون عامل وفلاح وإنما إلى النظام الإسرائيلى (الرأسمالى بالطبع) الذى يستغل هذه الطبقة الكادحة من الفلاحين والعمال اليهود جنبا إلى جنب مع العرب .

وتمشيا مع هذا المنطق السهل يمكن لو سرنا به خطوة أخرى أن ننتهى إلى أن مشكلة إسرائيل يمكن أن تحل بصراع طبقى داخلها وبأنه يكفى أن

تقضى هذه الطبقة الكادحة المكونة من ٢ مليون عامل وفلاح على نظام الحكم الإسرائيلى وتتولى هى الحكم حتى تنتهى المشكلة الفلسطينية ولا يعود هناك عداء بيننا وبين أحد فيها ما دام عداؤنا لم يكن موجها إلى الطبقة الكادحة المكونة من ٢ مليون .. بل هو موجه ضد النظام الإسرائيلى وما دام هذا النظام قد أسقطته الطبقة الكادحة التى ليس بيننا وبينها أى عداء ..

إن الاستطراد المنطقى لتفكير هؤلاء الذين يؤكدون أن عداءنا ليس موجها إلى ٢ مليون فلاح وعامل .. بل إلى النظام الإسرائيلى .. هو أنه إذا نزل هذا النظام وبقى الـ ٢ مليون فلاح وعامل فلن يكون عداؤنا موجها لأحد فى إسرائيل .

هل هذا صحيح ؟ .. بالطبع .. لا ..

ومع ذلك .. لست أريد أن أقيد بحث أسباب عدائنا لإسرائيل بمناقشة ذلك الرأى المستند إلى وحدة الجماهير المكافحة والذى يسهل بحسبة بسيطة كشف خطئه .. وإنما أريد مناقشة الأسباب بطريق أعم .

ولست أريد قبل أن استطرد فى المناقشة أن يفهم أننى أصر على عداء الطبقات العاملة فى إسرائيل .. أو فى أى بلد نخاصمه غيرها ، وإنما أصر على أن الطبقات العاملة فى أى بلد هى جزء من هذا البلد وأنها تخضع فى خصومتها أو صداقتها لأى طبقة عاملة فى أى بلد آخر .. لعلاقات بلدها بهذا البلد .. لأنها جزء من وطنها .. تحركها مصلحة هذا الوطن .. ويهددها ما يهدده .. وإذا أخضعتها الظروف لنظام مستغل مستعبد .. فهى وحدها القادرة على تغيير هذا النظام .. وعلى تشكيل علاقتها بغيرها من البلاد حسب ما تمليه مصلحتها الحقيقية .

وبالنسبة لإسرائيل .. لا يمكن أن تنكر أن طبقتها الكادحة العاملة قد ارتضت أن تضع نفسها فى موضع العدوان باحتلال أرض ليست لها منذ البداية .. وسلبت حقوق الغير وهم أيضا طبقة كادحة عاملة .. واعتدت

على أمواله وعلى دوره وعلى حقوله وشردته ونكلت به .

وإذا كان النظام الإسرائيلي قد وضعها موضع المعتدى .. فعليها أن تحتمل عداء الغير لها .. فمن غير المعقول أن تسلم لنفسها بالاعتداء على الغير ثم لا تتوقع منه العداء .. أو الرد على العدوان ومحاولة استرداد الحق المغتصب .. أما الادعاء بأنها طبقة مستغلة من النظام الإسرائيلي وأنها فعلت كل ما فعلته مرغمة مستعبدة .. وأنها هاجرت من بلادها واستوطنت فى فلسطين .. وحملت السلاح واعتدت على العرب .. برغمها .. دون أن تفكر فى المقاومة أو فى الثورة على هذا النظام فهذا يصبح نوعا من السخرية .

إن أكبر دليل على خطأ فكرة وحدة الجماهير العاملة .. ومحاولة تعميم تطبيقها هو إسرائيل .. فمن غير المعقول بالمرة أن نطلب من الكادحين العرب المشردين ألا يوجهوا عداءهم ضد الكادحين اليهود الذين احتلوا أرضهم .

إن شعور العداء .. شعور مكروه .. ولكنه حق للإنسان .. إذا ما اعتدى عليه .

وعندما نخوض معركة .. لا يمكن أن نعفى جنود الخصم من عدائنا بدعوى أنهم جماهير عاملة من فلاحين وعمال وبدعوى أن عداءنا موجه فقط للنظام الذى زج بهم فى المعركة لأنهم استحقوا عداءنا بمجرد نزولهم أمامنا فى المعركة واستعدادهم للفتك بنا .

والطبقة الكادحة فى إسرائيل .. طبقة مجندة من أجل العدوان علينا .. وهى قد اكتسبت عداءنا بمجرد وجودها فى إسرائيل كقوة معتدية .. وباستمرار وجودها الذى يسلبنا حقنا فى العودة إلى الوطن السليب .. بحيث أضحى استردادنا لحقنا .. متوقفا على عدم وجودها .. بعد أن احتلت مكان مليونى عربى شردوا خارج أوطانهم .

(من وراء الغيم)

وأصبحت المعادلة الصعبة التى فرضتها علينا هذه الطبقة الكادحة .. التى يفترض البعض أننا يجب ألا نوجه إليها عداءنا .. هى إما وجودهم فى فلسطين أو وجودنا ..

إن الطبقة التى كان يمكن ألا نوجه إليها عداءنا هى الطبقة الكادحة من الفلاحين والعمال اليهود العرب والتى تبلغ نصف مليون كانوا يقطنون فى فلسطين إلى جانب العرب .. والذين كانوا يمكن أن يعيشوا كمواطنين عرب فى وطنهم العربى فلسطين كما كان يعيش غيرهم من اليهود العرب فى شتى البلاد العربية وكما كان يجب أن يعيشوا كمواطنين فى بقية بلاد العالم مع حصولهم على كل حقوق المواطن فى بلده وبين قومه .

ولقد كان العرب أرفق باليهود من أى بلد فى العالم ولم يوجه إليهم أى نوع من العداء الذى وجهوه للعرب .. والذى ردوا به كل أنواع التنكيل والتعذيب الذى أنزل بهم فى شتى أنحاء العالم .

تلك هى الطبقة التى كان يمكن ألا نوجه إليها عداءنا لو أنها استمرت تعيش فى سلام مع بقية المواطنين العرب .

أما وهذا لم يحدث .. وحدث أن تدفق مليونا يهودى من شتى أنحاء العالم .. فلاحين وعمالا وخلافه .. فى عدوان وحشى على أرض فلسطين وشردوا أهلها وسلبوا كل حقوقهم .. فمن غير المعقول ألا نوجه إليهم عداءنا .

والنتيجة ؟! .

هل نستطيع أن نعيدهم إلى بلادهم .

بوسائلنا الحالية .. لا ..

والعمل ؟.

أن نفهم بالضبط قدرتنا .. وعندما أقول نفهم أعنى كلنا .. وأن نضع خططنا فى العمل بحيث تستطيع وسائلنا تنفيذها .. وبحيث نضع لأنفسنا

ما يسمى بالهدف الرئيسى .. والأغراض الجزئية التى توصل بالتوالى إلى الهدف الرئيسى .. أو ما يسمونه بالأسلوب الحربى object and objectives ونحشد لكل غرض جزئى كل ما نملك من قدرة لتحقيقه . بحيث نبدأ بعد تحقيقه العمل على تحقيق الغرض الجزئى الذى يليه .. حتى نصل فى النهاية إلى غرضنا الأكبر وهو عودة شعب فلسطين إلى أرضه .

يجب علينا ألا ندع ألسنتنا تسبق خطانا وأن نعامل إسرائيل كخصمنا الأول بالوجود العدوانى .. الذى سلب حقوقنا .. والتهديد التوسعى الذى يمكن أن يسلب مزيدا من هذه الحقوق .. بأسلوب واقعى عملى .. وأن نخطط أهدافنا بحيث نضمن تحقيق هدف كل مرحلة بما نملك من قدرة .. وبحيث نضمن الوصول إلى غرضنا النهائى الذى لا بد لنا من تحقيقه .. مهما صادفنا من عقبات .

إن علينا أن نحسر العدوان ونزيل آثاره أولا .

وأن نحصر إسرائيل فى النطاق الذى تمكننا قدرتنا عليه الآن .. بحيث نوقف تمددها وتوسعها وبحيث نثبت الكيان الفلسطينى بكل ما نملك من قدرة ونمنحه فرصة النمو .. بحيث توجد فلسطين .. وأن نحول اللاجئين من جزء مشلول إلى جزء نام يزيد من نمو الوطن الفلسطينى .

ويتحتم علينا لكى نعمل هذا أن نحدد لأنفسنا فى شجاعة .. الخطوط الواضحة التى يمكن أن تتحرك عليها القضية الفلسطينية .. بوسائلنا التى نملكها فى هذه المرحلة .. وفى كل مرحلة مقبلة .

وبعد هذا كله يبقى العمل الدؤوب المتواصل فى بناء الوطن العربى الأكبر .. المتكامل عسكريا وسياسيا واقتصاديا واجتماعيا وثقافيا والذى يمكن بوجوده واستمرار نموه أن يصد توسع إسرائيل وأن ينهيها إلى الضمور والذوبان .

وهنا تبدو قيمة الـ ٩٠ مليون عربى .. الذين يكونون الوطن العربى

الكبير القوى .. والذى يمكن أن يتضاءل إلى جانبه وجود إسرائيل حتى ينعدم .

هذا هو عدونا الأول ..

وتلك هى أسباب خصومتنا له ..

ونحن لم نوجه عداء لأحد .. لا لطبقة كادحة يهودية ولا لنظام إسرائيلى ..

وإنما الذى وجه إلينا العداء .. هو النظام الإسرائيلى بكل طبقاته الكادحة وغير الكادحة .. بفلاحيه وعماله ومثقفيه وبكل الطبقات فيه .

و لم يكن أمامنا إلا أن نواجه العداء .. وسنظل نواجهه بكل ما نملك من وسائل .. واقعية .. حتى ننهيه .

إنه مصيرنا العربى .. والذين يقولون إن إسرائيل وجدت لتبقى .. يجب ألا ينسوا أن الشعب العربى الباقى على الزمن والذى استطاع صد كل الغزاة العادين والخلاص منهم على مدى التاريخ لن يعجز عن صد عدوان إسرائيلى على الأرض العربية وخلاص الوطن العربى منها .

أصدقاء لماذا ؟ وأعداء لماذا ؟

(٤) أمريكا بين العداء والصداقة

من هو عدونا بعد إسرائيل .. وما هى صلته بإسرائيل .. وصلة إسرائيل به ..

ثم هل هو عدونا بعد إسرائيل .. أم قبل إسرائيل ؟

من الناحية الزمنية .. أن عداوة الاستعمار لنا وجدت قبل وجود إسرائيل ..

ومن ناحية الأصالة فى العداوة .. والخطورة .. والاستمرار .. تجىء عداوة إسرائيل فى اعتقادى .. قبل الاستعمار .

وأخطر ما فى إسرائيل .. هو أن مجرد وجود إسرائيل كتجسيد لأمانى الصهيونية وتنفيذ لخططها ذات المطامع التوسعية يشكل عدوانا واقعا مستمرا على العرب .. وأن عداوتنا لإسرائيل معادلة مستحيلة الحل متزايدة التعقيد ناتجة عن تصدير مليونى يهودى احتلوا مكان مليون عربى وسلبوا وطنهم ودورهم وأموالهم وممتلكاتهم والطموح فى تصدير المزيد من اليهود وتشريد المزيد من العرب وسلب المزيد من أراضيهم وأصبحت المشكلة كلعبة الكراسى الموسيقية .. لا بد لأحد اللاعبين أن يطرد الآخر لكى يجلس .. ولقد احتل اليهود كرسى فلسطين واستمر العرب فى وقفتهم المشردة تمر بهم السنون فى انتظار العودة والاستقرار على مقعدهم الذى سلبه منهم اليهود .

وعندما يقول العرب أنهم يريدون وطنهم السليب .. يعنى هـذا

بداهة .. أنه لا بد أن يسترد هذا الوطن من مغتصبيه .. ويصبح السؤال هل يتنازل اليهود عما اغتصبوه ليعيدوه إلى أصحابه الأصليين .. وهل يقبل اليهود إعادة السكان الزائدين إلى أوطانهم الأصلية .. وبالتالى وقف الهجرة التى تزيد المشكلة تعقيدا .

هل يمكن أن يتناول اليهود المشكلة تناولا إنسانيا بالنسبة للعرب وحقهم فى وطنهم .

طبعا لا .. لأنهم من البداية فرضوا وجودهم بالعدوان وليس بالحلول الإنسانية .. وهم يستمرون فى فرض الواقع بمزيد من العدوان .. ولقد سبق لوزير الخارجية البريطانية أن قال إن وجود إسرائيل لا يمكن أن يستند إلى القوى العسكرية .. ولكن الذى حدث ويحدث هو أن وجودها والحفاظ على هذا الوجود لم يكن فى لحظة من اللحظات يستند إلا إلى القوة العسكرية .. لأنها لا تستطيع أن تبقى لحظة بغيرها .. لأنها سارقة .. ولأن صاحب الوطن المسروق .. يقف متربصا .. لاستعادة حقه .. مهما طال الزمن .. بل إن الزمن يزيده إحساسا بحقه المسروق .. وكراهية وحقدا على السارق الذى ما زال يواصل احتفاظه بالسرقة .. بالقوة المسلحة والعدوان .

فعداؤنا لإسرائيل .. مزمن .. لا حل له .. وأسلوب إسرائيل لحله بالقوة .. قد يهيئ لها الاستقرار إلى حين .. ولكنه استقرار الجالس على لغم الكراهية .. يهدد بالانفجار فى أية لحظة .. وما أظن فرض الاغتصاب بالقوة كان فى التاريخ وسيلة لإقرار هذا الاغتصاب .

وعداؤنا لإسرائيل .. لا حيلة لنا فيه .. لأنه مفروض علينا .. باغتصاب حق .. لا يراد له رد .

والطريقة الوحيدة لزوال عدائنا لإسرائيل . هى عدم وجود إسرائيل .. كمجسد للتخطيط الصهيونى بالعدوان .. لأن هذا الوجود

يعنى اغتصاب الوطن الفلسطيني وتشريد أهله .. وهذا الاغتصاب لا يمكن أن يعنى إلا عداءنا الدائم لإسرائيل .

نحن سنظل أعداء لإسرائيل .. حتى تقبل الحل العادل .. وهو عودة الشعب الفلسطينى إلى وطنه ووجود فلسطين العربية .. ولست أدرى بعد ذلك .. كيف ستصبح إسرائيل وأين ، حتى لا نوجه إليها عداءنا .

أما الاستعمار .. وهو يحتاج إلى شيء من التفصيل .. والتفصيص .. فهو رغم شموله للمعسكر الغربى الرأسمالى .. فإن هذا المعسكر قد أخذ يتفتت بحيث يتحتم تناول كل جزء منه على حدة .. ففرنسا التى أصبحت صديقا لنا والتى وقفت بوضوح إلى جانبنا رغم وجودها فى المعسكر الغربى الرأسمالى .. لا يمكن شمولها بأوصاف الاستعمار كتعميم..وبريطانيا لا يمكن أن توضع كمستعمر .. فى نفس الوضع الذى توضع فيه أمريكا .. وفارق بين مستعمر آفل .. ومستعمر مستجد .. وعداؤنا للاستعمار بصفة عامة لا يحتاج إلى جهد فى الشرح .. فهو ببساطة عداء المستعبد .. لواضع القيد فى رسغه .. وعداء المستغل لناهبى رزقه .

وتاريخ كفاحنا ضد المستعمر البريطانى — قمة الاستعمار القديم — تاريخ طويل .. منذ عرابى إلى عبد الناصر .. ولم ينهه إلا الكفاح المسلح الذى خضناه ضد قاعدته فى القناة قبل الجلاء وضد عدوانه على بورسعيد بعد تأميم القناة .

ولقد كسرنا بكفاحنا كل قيد حاول أن يضعه فى أيدينا .. ومارسنا حريتنا السياسية والاقتصادية واستطعنا أن نسير خطوات حثيثات فى بناء اقتصادنا القومى .

ولقد استمر العداء القديم بيننا وبين المستعمر البريطانى لوقوفنا مع الدول المناضلة التى عانت ما عانينا من ذل الاستعمار واستغلاله واستمرت خصومته لنا لتأييدنا لكفاح الشعب العربى فى جنوب اليمن .

ورغم استمرار أسباب العداء مع الاستعمار البريطانى فهو فى نظرى ليس عداء مؤبدا ولا مستعصى العلاج .. لأن الاستعمار البريطانى بحكم التاريخ وبحكم كفاح الشعوب آخذ فى الذوبان .. ونحن لا نعادى بريطانيا بقدر مانعادى الاستعمار البريطانى .

ويبقى بعد ذلك من عدائنا لبريطانيا .. العداء القائم على صلتها بإسرائيل .. كعدو أصيل لنا .. وعلى مسئوليتها أولا عن وجودها .. وعن استمرار تأييدها معنويا وماديا .. ومدها بالسلاح .

وتصبح إسرائيل بذلك — بفرض انتهاء خصومتنا الأصلية مع بريطانيا إذا ما انتهت كقوة مستعمرة — هى السبب الباقى لعدائنا لبريطانيا .. فصديق عدونا لا يمكن أن يكون إلا عدوا لنا ..

وإذا كانت بريطانيا حقا جادة فى إنهاء استعمارها وتصفية موقفها كدولة مستعمرة فإنها يجب أن تفعل ما فعلته فرنسا من التخلى عن تأييد إسرائيل لأن استمرار تأييدها والوقوف إلى جانبها .. هو استمرار لوجودها الاستعمارى فى المنطقة .. ولن يكون هناك أمل فى كسب صداقة العرب وإنهاء حالة العداء معهم .. ما بقى تأييدها لإسرائيل ومساندتها لها .

ونحن يجب ألا نكون هواة عداء .. ويجب ألا نستمر فى خصومتنا لأحد بحكم العادة .. أو بوهم وجود أسباب قديمة يمكن أن تكون قد زالت أو يمكن أن نعمل على زوالها .

وموقفنا من بريطانيا .. كما يمكن أن يكون موقفنا من أية دولة أخرى وعلى سبيل المثال الواضح الواقعى كما كان موقفنا من فرنسا — لا يمكن أن يكون إصرارا على خصومة زالت أسبابها .. أو حتى خصومة يمكن أن نزيل أسبابها .. لأن الأصدقاء كما قلت فى أول الحديث منابع الربح فى الحياة .. والأعداء مصادر الخسارة فيها .. وإذا كان من الممكن تحويل

العدو إلى صديق .. فالحمقى والمغرورون هم الذين لا يقدمون على هذا ..

يبقى بعد ذلك موقفنا من أمريكا .. التى قدمت لنا عداءها .. بطريقة سافرة أليمة .. توغر الصدور .. وتملأ النفوس مرارة ..

ومهما قيل عن موقف أمريكا فى خصوماتها فى العالم .. وأسباب هذه الخصومات .. ومهما قيل عن دورها الاستعمارى الجديد فى أمريكا اللاتينية .. وعملها العدائى السافر فى ڤيتنام .. ومؤامراتها التى تحركها مخابراتها لقلب نظم الحكم المعادية لها فى البلاد الإفريقية والآسيوية .

ومهما كان موقف أمريكا يشكل بصفة عامة موقفا استعماريا عدائيا للشعوب المناضلة .. ومهما كان من شمول موقف أمريكا العدوانى العام للشعوب المتحررة الثائرة على الاستغلال والاحتكار .. حيث يمكن أن نضع عداءها لنا .. ضمن موقفها العام من الشعوب المكافحة من أجل تحقيق حريتها وبناء مجتمعها الاشتراكى باعتبارنا فى معسكر الشعوب المناضلة قاعدة للتحرر ومنطلقا للعمل الثورى الاشتراكى .. مهما كان من كل هذه الحقائق فإن علينا .. أن نبحث على حدة .. الأسباب المباشرة لعدائنا لأمريكا .. التى أعتقد أن أولها .. موقفها من إسرائيل .

وسواء كانت إسرائيل .. قاعدة عدوانية استعمارية أمريكية أو كانت .. إسرائيل .. تسيطر على إمكانيات أمريكا المادية والدعائية والانتخابية .. وتستغلها لصالحها .. فالنتيجة النهائية — هى أن أمريكا بكل إمكانياتها .. تقف وراء إسرائيل ..

لا يهم من يحرك من .. ولا من يسيطر على من ..

المهم أننا نرى إسرائيل أعدى أعدائنا .. وأخطرهم علينا مرتبطة ارتباطا كاملا .. بأمريكا .. بحيث لا ينطبق هنا مجرد القول بأن صديق عدونا .. عدو لنا .. بل ينطبق عليه .. أن عدونا فى إسرائيل .. يقطن بعضه فى إسرائيل .. وبعضه فى أمريكا .. وأن علينا أن نواجهه فى

إسرائيل .. وفى أمريكا .. معا ..

ولقد ثبت أن أمريكا .. يمكن أن تبيع كل صداقات العرب من أجل إسرائيل .

ومن الخطأ أن نقول إن تأييد أمريكا لإسرائيل وخصومتها للعرب نابعة من طبقة معينة .. أو من فئة معينة أو أن سببها مصادر الدعاية التى تسيطر عليها إسرائيل .. لأن هذه المصادر والأدوات .. قد أفلحت فعلا فى عمل ما نسميه عملية مسح المخ الأمريكى بواسطة إسرائيل ضد العرب بحيث أصبح العداء للعرب هو الشعور الأغلب فى أمريكا وبحيث أصبح الأمريكى أحد ثلاثة .. إما ضدنا .. أو لا يعرف شيئا عنا .. أو — وهم القلة — يعطف علينا ولكن لا يعرف كيف يدافع عنا .

والتساؤل الذى يمكن أن يثار هنا .. بحكم كوننا لا نريد خصومات .. يمكن أن نكون فى غنى عنها .

هل يمكن حقيقة اكتساب صداقة أمريكا .. مع وجود إسرائيل .. بموقفها العدوانى .. المتجبر المعتمد أولا وآخرا على قوة أمريكا وتأييد أمريكا .

أم إن علينا أن نعتبر عداء أمريكا .. كعداء إسرائيل .. عداء مؤبدا ..

وأن علينا أن نواجهه .. بوحدتنا .. وبنمو قوتنا الذاتية .. وبوجود الدولة العربية الكبرى التى يجب أن نثابر على بنائها المتكامل بكل ما نملك من جهد وإيمان ؟

إنى أومن بأن هذا هو السبيل إلى مواجهة أعدائنا .. فى كل مكان وزمان لكى نحرر وطننا العربى كله من الوجود الإسرائيلى الاستعمارى .

على أية حال .. إن علينا دائما أن نثابر على كسب الصداقات .. فما نكسبه من الصداقة فى مرحلة يمكن أن يعيننا على خصومة لا يمكن تجنبها فى مرحلة أخرى .

وكما قلت .. يجب أن نتعامل فى كل مرحلة .. بالوسائل التى تيسرها هذه المرحلة .. وألا نظل نحلم بهدف كبير لا نهيئ له الوسائل التى نملكها .. ونظل نحيا بأحلام كبار .. عاجزين عن أن نخطو إليها .. لأن وسائلنا لا تمكننا إلا من أهداف أقل .. ونحن لا نريد سوى الأهداف الكبرى .. حتى يضيع العمر ونحن فى أماكننا نحلم ولا نتحرك خطوة نحو تحقيق الهدف الأكبر .

وبعد ..

فهذه خواطر .. عن صداقتنا وعداوتنا ..

ومحاولات لتحليل أسبابها .. ولعلها تكون كما قلت مفيدة — فى محاولتنا لتقدير موقفنا — لنفيد من صداقة أصدقائنا .. ولنكتسب أصدقاء جددا .. ولنواجه خصومة الأعداء الذين نعجز عن تحويلهم إلى أصدقاء .. إننا بكفاحنا من أجل تحقيق الحرية والأمان والرخاء لشعبنا العربى وإيماننا بأن الاشتراكية هى السبيل الإنسانى لتحقيق الكفاية والعدل .. وبكياننا العربى الكبير وبيدنا فى أيدى الأصدقاء الذين منحونا العون بغير قيود تثقل كواهلنا وبكل ما نملك من قدرة على كسب مزيد من الأصدقاء ، نتقدم إلى المستقبل وملء نفوسنا الثقة والأمل فى حياة ملؤها الرخاء والخير والحب والسلام .

الحقيقة .. من أفواه الأعداء

(١) حاربنا .. بوحشية !

مع التسليم بكل أخطائنا التى نتجت عنها النكسة .. سواء كانت أخطاء واقعية واضحة أو أخطاء يتحتم علينا أن ننقب عنها لكى نوجد مبررا للهزيمة .. (ولو كان النصر حليفنا .. لكانت هى بذاتها من أسبابه) .. كما يقول الشاعر :

والناس من يلق خيرا قائلون له
ما يشتهى ولأم المخطىء الهبل

مع التسليم بسلسلة الأخطاء التى يتحدث عنها الجميع .. والتى بدأ بعضها يظهر على صفحات الصحف .. وما زال الجزء الأكبر يدور على الألسنة .

مع التسليم بكل هذه الأخطاء .. أو الخطايا .. أحس بشىء يقف كاللقمة فى الزور .. لا أستطيع ابتلاعه .. هو قدرتنا على القتال .. أو قيمة المصرى كمقاتل ..

ولقد كتبت من قبل عن محاولة العدو إظهارنا للعالم بمظهر غير المقاتلين وأن جيشنا فر أمام القوات الإسرائيلية .. ورحنا نحن أنفسنا .. نطلق التشنيعات على أنفسنا .. على قدرتنا فى الجرى .. وبقية هذه النكت السمجة البلهاء التى تعودنا أن نتندر بها فى مجالسنا .

ولقد كتبت أقول إننا يجب ألا نضع أنفسنا حيث يريد العدو أن يضعنا .. وكتبت فى مرارة عن هذه النكت العجيبة التى نطلقها على

أنفسنا .

ولعل ما كتبته وقتئذ بدا نوعا من الحماس الوطنى .. أو هو ميل لا إرادى إلى الجيش الذى خدمت به عشرين عاما من لب عمرى .. أو هو إحساس بما يسمونه (Esprit de corps) أو حب الوحدة .. وأيا كان السبب .. فلقد قلته وأنا مؤمن أشد الإيمان بقدرة جيشنا .. وبقوة المقاتل العربى .

ولقد بنيت تقديرى على ما نعرفه من معلومات عامة عن المعركة .. ومعلومات خاصة استطعت أن ألمها من هنا ومن هناك .. وعن تصور شخصى لما يمكن أن يكون قد حدث مما لم أستطع أن أعرفه .

ولقد استطعت أن أحدد أيضا .. مما عرفت وما تصورت .. الأخطاء التى كانت (بالإضافة إلى الظروف الخارجة عن إرادتنا سواء كانت من صنع البشر أو من صنع القدر) سببا فى النكبة التى نزلت بنا .

والحديث الصريح المخلص عن هذه الأخطاء حديث طويل يحتاج إلى إسهاب فى الشرح .. (وقد تتاح لنا الفرصة لتناوله تفصيلا فيما بعد .. ولكن ما أود أن أؤكده هنا .. هو — كما سبق أن قدمت للحديث — أنه مهما قيل عن هذه الأخطاء .. سواء كانت سياسية أو عسكرية .. وسواء كانت استراتيجية أو تكتيكية .. وفى الإعداد للمعركة أو خوضها .. فلن يكون من بين هذه الأسباب أبدا .. قدرتنا كمقاتلين .. ولن يكون بينها أبدا .. أننا هربنا من مواجهة الجيش الإسرائيلى .

وإنما أكتب هذه المرة لأعيد ما قلت .. مبنيا على وجهة نظر العدو فى المعركة التى خاضها ضدنا .

ووجهة النظر هذه قد وضحت بصراحة .. فى كتاب حرب الستة أيام .. الذى لا يعتبر تقييما للمعركة بقدر ما يعتبر وصفا لها من جانب واحد .. استقى مؤلفاه معلوماتهما عنها من أحاديث وتصريحات ويوميات

حرب لقادة إسرائيل .

وإذا كان هواة التكذيب والتشكيك .. يستطيعون أن يتهموا الذين يدافعون عن قدرة الجيش المصرى .. باختلاق وسائل الدفاع وفبركة الدعاية .. فلست أظن مؤلفى كتاب حرب الـ ٦ أيام .. ولا أظن القادة الإسرائيليين يمكن أن يكونوا قد تطوعوا للدعاية للجيش المصرى والدفاع عنه .

ولعل هؤلاء .. يسلمون بقدرة الجيش المصرى .. مستقاة من أفواه .. القادة الإسرائيليين .. ينقلها عنهم — فيما أعتقد بأمانة — ابن تشرشل وحفيده .

وقبل أن أذكر وجهة نظر قادة جيش العدو .. فى جيش عدوهم .. أحب أن أقسم المعركة إلى ثلاث مراحل زمنية ونوعية فى نفس الوقت .

المرحلة الأولى : وهى مرحلة الهجوم الجوى الخاطف الذى قام به السلاح الجوى الإسرائيلى بتصفية السلاح الجوى المصرى وهو على الأرض .. ومهما قيل من الأسباب التى أدت إلى هذه العملية التى قررت مصير المعركة بعد ساعات من نشوبها ، فإنها لا يمكن أن تعتبر معركة فعلية .. بين قوات سلاح الجو الإسرائيلى وقوات سلاح الجو المصرى .. وإنما كانت بين سلاح الجو الإسرائيلى .. والطائرات المصرية .. راقدة على الأرض .. لم تكن هذه المرحلة معركة .. وإنما كانت ضربة تدميرية لسلاح الجو المصرى .. حتى يخرج من المعركة قبل بدئها .. ولقد بدأ الإعداد لهذه المرحلة .. بعد معركة السويس مباشرة .. وجهز السلاح الجوى الإسرائيلى (حسب ما جاء على لسان وايزمان مهندس سلاح الجو الإسرائيلى فى كتاب حرب الـ ٦ أيام) تسليحا وتدريبا لمدة تسع سنوات على أساس القيام بهذه العملية التى لم تستغرق سوى بضع ساعات .. فى الوقت الذى وجهت مخابرات إسرائيل كل جهدها لكى تعطى للسلاح

الجوى الإسرائيلى صورة واضحة عن أرض العمليات التى سيقوم فيها بضربته .. وعن السلاح الذى سيوجه إليه ضربته لكى يقضى عليه قبل بدء المعركة .

وفى هذا المجال يقول هود قائد السلاح الجوى الإسرائيلى :

« كانت معلومات المخابرات الإسرائيلية عن تحركات طائرات سلاح الجو المصرى ونشاطه وأماكن قواعده والتفاصيل الدقيقة حولها وعن أماكن وجود طائراته وعن أماكن أجهزة الرادار وقواعد الصواريخ على درجة عالية من الامتياز » .

تلك هى صورة المرحلة الأولى من المعركة .. وهى لم تكن معركة بقدر ما كانت تطبيقا عمليا لإعداد استمر تسع سنوات .. ساهم فيه الطرفان بكل التسهيلات الممكنة للتطبيق .. بحيث جاءت نتائجه — كما يقول خصمنا — فوق ما كان يتصور .

وكما قلت .. مهما كان من أخطائنا .. التى تسبب عنها تمكن إسرائيل من إنزال الضربة القاصمة بسلاحنا الجوى .. قبل المعركة .. وبغير معركة .. فإننا لا يمكن أن نضع فى حساب هذه الأسباب .. عجزنا عن مواجهة السلاح الجوى الإسرائيلى .. أو عدم قدرتنا فى قتاله .

وبعد هذه المرحلة .. التى تصيد فيها العدو سلاحنا الجوى وهو رابض على الأرض .. وقضى عليه قبل أن تبدأ المعركة .. ودون أن يخوض معركة .. تجىء المرحلة الثانية .. وهى .. مرحلة المواجهة الفعلية بين قوات إسرائيل البرية وقواتنا البرية .. والتى بدأت فى اليوم الأول للمعركة .. ونشبت قبل أن يدرى أحد الطرفين شيئا عن نتيجة الضربة الجوية التى أنزلت بسلاحنا الجوى .. وانتهت ببدء المرحلة الثالثة .. التى أصبحت قواتنا البرية تواجه فيها قوات العدو البرية معززة بكل قواته الجوية .. دون أن تملك هى طائرة تحلق فوقها .. وكان عليها أن تعود

القهقرى عبر صحراء سيناء .. بقوات العدو الجوية فوق رأسها وقواته البرية فى أذيالها .

المرحلة الثانية إذن .. هى التى يمكن اعتبارها .. معركة حقيقية .. يمكن أن يوزن فيها طرفا القتال .. لمعرفة ثقل كل منهما الصافى فى المعركة .. وقيمته فى القتال .. ففيها يقف الطرفان لمواجهة أحدهما الآخر — لوقت ما .. طال أو قصر — بقدرته الحقيقية على القتال .. مجردا .. من امتياز حصل عليه فى المرحلة الأولى نتيجة لتحضير تسع سنوات لعمل بذاته .. ولتقصيرنا خلال هذه السنوات التسع فى الاستعداد لمواجهة هذا العمل .. ومن امتياز حصل عليه فى المرحلة الثالثة .. وهو مواجهة الآخر بسلاح جوى .. مع حرمان الطرف الآخر من كل قطعة منه .

ما الذى حدث فى المرحلة الثانية .. التى واجه الطرفان فيها أحدهما الآخر .. مجردين من أية مزايا .. لا دخل لهما فى وجودها أو الحرمان منها .

الذى نقوله نحن عما حدث فى هذه المرحلة .. قد يكون — كما قلت — غير مقبول من هواة التكذيب والتشكيك .. لندع إذن خصمنا يروى ما حدث فيها .

يقول قواد الخصم عما جرى فى هذه المرحلة من المعركة ما يلى :

« فى الساعة ٨,١٥ يوم ٥ يونية تلقت القوات البرية الإسرائيلية الأوامر التى طال انتظارها من القيادة الجنوبية ببدء الهجوم .. وكانت الموجة الأولى من الهجوم الذى قامت به طائرات إسرائيل قد انتهت وكان جزء كبير من طائرات مصر قد تم تدميره بالفعل ولكن أحدا من القوات البرية من الطرفين لم يكن يعرف شيئا .

تقدم اللواء الشمالى بقيادة تال رغم قصف المدفعية والمدفعية المضادة للدبابات التى كانت تنزل على قواته بشدة .. إلى خان يونس .

وفى اللحظات الأولى تم تدمير ٦ دبابات إسرائيلية .. ولكن التقدم إلى داخل خان يونس لم يتحقق إلا بعد أن دفعت القوات الإسرائيلية ثمنا باهظا من أرواح رجالها من بينهم ٣٥ من قواد الدبابات أحدهم برتبة قائد كتيبة .

وفى نفس الوقت كان لواء الدبابات الثانى التابع لتال يتقدم جنوبى رفح للالتفاف حول الاستحكامات الدفاعية وحقول الألغام المصرية .

وقد تكبدوا فى التفافهم خسارة ٥٠ شخصا وعندما أرسل القائد الإسرائيلى طائرة هليوكبتر لنقل المصابين واجهتها المدفعية المصرية بقصف شديد .. واكتشفت القيادة الإسرائيلية أن هناك لواء مصريا ما زال قابعا فى استحكاماته فقرر قائد اللواء الإسرائيلى ومعه كتيبة دبابات شن هجوم على التحصينات المصرية . وكان الظلام قد بدا واستمرت المعركة ساعتين وسط الظلام .. وحارب المصريون بوحشية .. وخسر اللواء سبعين قتيلا وأضعاف هذا العدد من الجرحى .

وفى فجر الثلاثاء استطاع الجنرال تال دخول العريش بلواءين مدرعين بعد معارك عنيفة فى بير لحفان وجرادة وصفها تال بأنها معارك وحشية وقال إن قوة المدفعية المصرية المضادة للدبابات ودقة إصابتها للهدف سببت متاعب هائلة لقواته .

وإن المدفعية المضادة للدبابات التى كانت تختبئ بين الكثبان الرملية فى نظام دقيق كانت تضرب الدبابات الإسرائيلية بشدة وكانت طلقاتها أشبه بموجات الرعد على طول جبهة المعركة .. وكان من المستحيل أن تعرف أين توجد مواقع هذه المدفعية .

وكان التفوق الجوى الذى حققته طائرات السلاح الجوى الإسرائيلى خلال الساعات الأولى من الحرب هو العامل الوحيد الذى ضمن تقدم القوات الإسرائيلية من رفح إلى العريش .. وحتى فى الساعات الأولى من صباح الاثنين حين كانت طائرات إسرائيل مشغولة بتدمير السلاح الجوى

المصرى كانت القوات البرية الإسرائيلية تستنجد بطائرات السلاح الجوى الإسرائيلى لتساعدها فى ضرب مواقع العدو التى تبدى مقاومة شديدة » .

هكذا يصف قادة إسرائيل المرحلة الحقيقية من القتال الذى نشب بين الجيش المصرى والجيش الإسرائيلى .. والناقل عنهم هو ابن تشرشل وحفيده ، اللذان استقيا كل معلوماتهما لكتابهما عن المعركة من مصدر واحد .. هو قواد إسرائيل .

ولعل فى هذا الاعتراف .. الذى ذكر فى وصف مرحلة القتال الحقيقية .. وسط سلسلة من التفاخر بالمرحلة الأولى التى قضى فيها على سلاحنا الجوى .. نتيجة أشياء كثيرة جدا .. غير التفوق فى القتال .. والمرحلة الثالثة التى وصفها أحد قوادهم بأنها كانت هزيمة لقوات لا تملك وقاية نفسها .

ولعل هذا الاعتراف .. يعطى تقييما حقيقيا لقواتنا افتقدناه وسط سلسلة الأكاذيب والنكات التى أطلقت على جيشنا .. وعاوننا نحن دون أن ندرى .. عدونا .. فى وضع جيشنا فى الوضع الذى يريده .. لا الوضع الذى يجب أن يكون فيه .

وأخيرا .. إننا نؤمن بقدرة قواتنا المسلحة .. رغم كل الأخطاء والأقدار التى وضعتنا فى وضع جارح أليم .. ونؤمن بأن الجرح آخذ فى الاندمال .. وأنها رغم كل ما حدث .. درعنا القوية .. ووجهنا المقاتل القادر الشريف .

أقول هذا ليس بدافع من السنين العشرين التى تمثل زهرة عمرى ، والتى قضيتها أرتدى — فخورا — الكاكى .. ولكن لأنها الحقيقة .. من أفواه أعدائنا .

الحقيقة .. من أفواه الأعداء

(٢) كارثة كادت تحل بإسرائيل

كلما قرأت مزيدا من التفاصل عن معركة سيناء .. أحس بأ لم ينكأ القرح .. ويدمى الجرح .

ومع كل ما أشعر به من ألم .. يملأ نفسى نوع من الارتياح .. لأن شيئا مما يقال .. سواء من أفواه الأعداء أو الأصدقاء .. لا يمس كفاءتنا .. كمقاتلين أو قدرتنا كقوة مسلحة .

وإذا كانت النكسة .. ومرارتها .. والصمت الذى أطبق الشفاه بعدها .. لم يدع للمرء فرصة معرفة الجوانب المضيئة من صفحاتها .. وإذا كانت النتيجة العامة للمعركة ، قد نشرت ظلالا من الحزن تطوى كل ما قامت به قواتنا من أعمال رائعة .. ولا تدع للإنسان فرصة الزهو بها .. وسط أوجاع الهزيمة .

وإذا كنا نكره .. أن نتفاخر ببطولات .. لم تستطع أن تقودنا إلى النصر .

فليس أقل من أن ننصف أنفسنا .. بكلمات .. لم نقلها نحن لنريح أنفسنا .. ولكن قالها الغير .. دون أن يضع مسألة إراحة قلوبنا .. وإنصافنا فى حسابه .

ولقد سبق أن تحدثت عما قاله الأعداء عن قواتنا المسلحة فى مرحلة الصدام الحقيقى بيننا وبينهم .. بعد أن اعتبرت مرحلة الهجوم الجوى الخاطف على قواعدنا الجوية مرحلة تمهيدية للمعركة .. أصابت سلاحنا

الجوى بضربة قاضية دون معركة .. واعتبرت المرحلة الثالثة انسحابا مريرا بمدرعات العدو حولنا وفى أذيالنا .. وسلاحه الجوى على رءوسنا المتقهقرة بغير غطاء .

ولقد التقطت أقوال العدو .. بغير نقاش .. واعتبرتها الحد الأدنى لما يمكن أن ننصف به .. فى معركتنا معه .

وقد قرأت ما كتبته مجلة دير شبيجل (التى تصدر فى ألمانيا الغربية) عن معركة سيناء .

وقفز إلى ذهنى وأنا أقرأ ما كتبته المجلة .. المعلومات التى كنا نلتقطها من هنا وهناك والمعركة لم يهدأ غبارها بعد .

ولكن ما كتبته المجلة الألمانية .. يلقى كثيرا من الضوء على الحقائق التى كانت تبدو باهتة .

وإذا كنا نحن .. لا نستطيع وسط آلام النكسة .. أن نزيح عنها الظلال الحزينة لنبدى بعض جوانبها المشرقة .. وإذا كنا .. وسط الصمت الذى أطبق شفاهنا .. نكره أن ننبس ببضع كلمات طيبة عن أنفسنا .. فليس أقل من أن نسمعها من شفاه الغير .. لعلها تنصفنا .. على الأقل أمام أنفسنا .

تقول مجلة دير شبيجل فى وصف المعركة :

« فى الساعة العاشرة صباحا يوم ٥ يونية كانت القوات المصرية المدرعة المكونة من ٢٠٠ مدرعة ثقيلة و ٨ آلاف جندى قد توغلت إلى مسافة ٨ كم داخل خط الدفاع الإسرائيلى الأول ، كانت هذه القوات تتقدم بدون حماية جوية ولكن هذا العامل لم يشكل أى عائق حتى لقد نصح قائد هذه القوات بإعطاء الغطاء الجوى لمنطقة غزة بدلا من قواته المتقدمة . وكان كل ما طلبه من القيادة هو تموينه أثناء الليل بألف طن من الذخيرة والوقود ليواصل اندفاعه نحو جنوب البحر الميت ..

أما قائد القوات الإسرائيلية فى إيلات فقد استنجد بالقيادة العامة والاحتياطى الذى كان محتشدا فى شمال الكونتيلا قائلا إن الدبابات الأمريكية تحترق كالورق أمام نيران الدبابات السوفيتية الثقيلة وأنه فقد أغلب مدرعاته وهو يحاول مهاجمة القوات المصرية .

وكانت القوات المصرية لا تزال تواصل تقدمها بغير مشقة ولقد حاولت قوات المظلات الإسرائيلية وفرقة خفيفة أن تهاجم القوة المدرعة من الجناح الأيمن فى الساعة الواحدة بعد الظهر . وبعد معركة خاطفة انسحبت بعد أن فقدت معظم عرباتها وأسلحتها .

وخلال هذه الفترة كانت القوات الإسرائيلية تهاجم بنجاح خان يونس جنوب غزة وتمكنت من فصل قطاع غزة ومنع تموينه واستطاعت سرية من المدرعات الإسرائيلية دخول خان يونس فى الساعة الثالثة بعد ضرب شديد بالمدفعية الثقيلة والطائرات . وفى الساعة الخامسة أرسل المصريون ٨٠٠ جندى مسلحين بأسلحة خفيفة إلى المدينة حيث استطاعوا بعد معركة رهيبة طرد اليهود من البلدة .

ولم يمكن تموين القوة المصرية المتوغلة فى خط الدفاع الإسرائيلى بالبترول لمواصلة اندفاعها نحو جنوب البحر الميت .

لقد كان من المؤلم أن يتوقف جيش عربى عن التقدم لحاجته إلى سائل تعيش البلاد العربية كلها فوق بحيرة منه !!

وكان موشى ديان قلقا فى ذلك الوقت لأن القوات المصرية المدرعة التى اخترقت صحراء النقب . والقوات الأخرى التى بدأت التوغل فى جبهة الكونتيلا كانت تهدد بتطويق نصف الجيش اليهودى لو حصلت على كفايتها من الذخيرة والوقود .. وكادت الكارثة أن تحل بالقوات الإسرائيلية عندما أحيطت الفرقة المدرعة السادسة الإسرائيلية وتحطم نصفها بواسطة القوات المصرية .

وفى أثناء الليل حاول رجال الفرقة المدرعة المصرية الاقتصاد فى الوقود بتحديد تحركاتهم وأخذ الجنود المصريون يسحبون البترول من خزانات سيارات العدو المهجورة . لينقلوها إلى دباباتهم التى تستهلك ٩٠٠ لتر من البترول فى الساعة .

وفى الساعات الأولى من صباح يوم ٦ يونية كان الجيش المصرى ما زال مرابطا داخل إسرائيل وكانت طلائعه تكاد تقسم إسرائيل إلى شطرين .

ومع كل هذه العقبات فشل الجيش الإسرائيلى فى اختراق الجبهة عندما هاجم ليلا . وقد سمعت أحد الجنود الإسرائيليين وهو أمريكى الأصل يتعجب من روح الجندى العربى قائلا : « إن أى جندى فى العالم لم يجد نفسه دون ذخيرة لا يملك إلا التسليم ولكن يبدو أن الموت عند العرب لا يعنى شيئا أكثر من دخول الجنة » .

وبعد ..

ذلك هو بعض .. ما يقوله البعض عنا ..

أنقله .. كما هو .. لا أقصد به .. تسجيلا للمعركة .. أو توضيحا لخفاياها .. ولكن فقط لنعرف به بعض ما تخفيه عنا ظلال النكسة القاتمة من جوانبها المشرقة .

وإذا كانت الهزيمة قد أطبقت شفاهنا .. وأضاعت مرارتها أية قابلية للزهو بما صارعنا به كل الظروف المضادة لنا فى المعركة حتى صرعتنا .

فليس أقل من أن نسمع ما يقوله عنا الآخرون .. لعل فيه إنصافا لنا .. أمام أنفسنا ..

ولست أظنهم .. يخدعوننا .. أو يكذبون علينا .

أهم ما فى الأمر .. أن كل أخطائنا التى تسببت عنها هزيمتنا .. نملك إصلاحها .. لأنه ليس بينها « عجزنا عن القتال » كما يحاول العدو أن يوهمنا .. وكما أوشكنا نحن أن نصدقه ..

٢٥ أكتوبر ١٩٦٧

الحقيقة من أفواه الأعداء

(٣) المعارك الأخيرة تجيب

فى المقالين السابقين حاولت أن أضع إجابات — من أفواه أعدائنا — على أسئلة مريرة كانت تتخبط حبيسة فى أذهاننا . لا نكاد نعرف لها من ردود إلا أباطيل دعاية العدو التى تحاول أن ترسم بها فى إصرار .. صورة لعدم قدرتنا على القتال وعجزنا عن استعمال الأسلحة التى فى أيدينا .

وإذا كنت قد استطعت إلى حد ما .. أن أجيب — بما التقطته — من أفواه قواد إسرائيل التى وردت على لسانهم فى كتاب أبناء تشرشل من أن المصريين حاربوا بوحشية . وأن طلقات مدافعهم التى كانت كموجات الرعد على طول الجبهة قد حطمت جزءا كبيرا من دبابات إسرائيل وقضت على ٣٦ قائد دبابة فى أول لقاء . ومما التقطته من وصف المعركة فى مجلة دير شبيجل الألمانية .. عن أن الكارثة كادت تحل بإسرائيل عندما وصلت طلائع القوات المصرية إلى جنوب البحر الميت بعد أن شطرت إسرائيل شطرين وحطمت نصف الفرقة السادسة المدرعة الإسرائيلية .

إذا كنت قد استطعت أن أجيب على بعض هذه الأسئلة المريرة التى تتخبط فى أذهاننا لتؤرقنا وتقض مضاجعنا .. وتثقل كواهلنا بأحاسيس العجز المريرة . وأن أضع من أفواه الأعداء ما يجيب بطريقة جازمة قاطعة .. بأننا لم نهرب ولم نعجز عن استعمال أسلحتنا .. بل « قاتلنا بوحشية . وأنزلنا بالعدو خسائر فادحة فى المعدات والأرواح » .

إذا كنت قد استطعت إلى حد ما .. أن أزيل بالحقائق المستقاة من أفواه

الأعداء — بعض الأباطيل التى حاولت دعايته أن تنشرها عنا فى أعقاب النكسة .. وغبار المعركة ما زال يحجب الصورة الواقعية لها .. وصدى دويها ما زال يغطى صوت الحقائق فيها .

إذا كنت قد استطعت أن أحقق شيئا مما حاولت أن أحققه فلقد استطاعت بضعة صواريخ من زوارق طوربيد بحريتنا .. أن تضع الإجابة الحاسمة .. لهذه الأسئلة الحائرة .. التى حاول العدو فى أعقاب المعركة أن يرسم لها بترديد أباطيل دعايته هذه الصورة المشوهة الكاذبة لقواتنا المسلحة .

وإذا وضعنا جانبا التأثير المباشر الذى تركته الصواريخ المصرية التى جرت المدمرة الإسرائيلية إيلات فى غمضة عين إلى قاع البحر — فى معنويات العرب — وإذا أدخلنا فى حسابنا ما أنزلته الضربة اللاأخلاقية الغادرة التى ردت بها إسرائيل على غرق إيلات . وحاولنا أن نزن الأحداث التى وقعت أخيرا فى هذه المنطقة .. بميزان لا تذبذب كفته انفعالات الفرحة أو الضيق . فإننا نجد أن الأحداث قد أجابت على عدة أسئلة كثيرة .. كانت تطن فى رءوسنا تحاول أن تجد لها .. إجابة .. دون جدوى .

هل سنصل إلى حل سياسى ؟ هل سنحارب ؟ .. وهل لدينا القدرة على القتال ؟ . وإذا لم نصل إلى حل سياسى .. ولم تكن لدينا القدرة على الهجوم ؟ فهل سنظل فى وقفتنا هذه ؟ . وهل وقفتنا هذه فى صالحنا أم فى صالح العدو ؟ هل الزمن معنا أم معه ؟ وإذا تحرك هو ؟ . فما هى قدرتنا على مواجهة حركته ؟

ولقد أجابت الصواريخ التى انطلقت من أفواه مدافعنا لتجر إيلات إلى قاع البحر .. بسرعة انطلاقها .. وبحسم تأثير إصاباتها فى جسد المدمرة الغارقة .. على هذه الأسئلة ..

ولكيلا نأخذ الجانب المشرق من الأحداث . أؤكد أيضا .. أن رد

الضربة على مصانع السويس . بكل ما أنزلته من خسائر . قد أكدت هذه الإجابات .

أول .. وأسرع .. وأحسم رد .. نطـقت بـــه الصواريخ .. فى انطلاقها .

هو أننا .. مصممون على مواجهة العدو .. وأننا نملك ما نواجهه به .. وأننا نعرف كيف نستعمله لمواجهته .

إجابة .. تريح نفوس العرب . وتطمئن قلوبهم .. وهى فى الوقت نفسه .. تزعج إسرائيل .. وتقلق بالهم ..

الإجابة إذن فى معناها الكبير . أكبر من مجرد مدمرة غرقت . لأنها إزالة لوهم .. كان يقلق نفوس العرب .. ويطمئن نفس إسرائيل .

هذا الوهم . الذى عبر عنه فى فقرة من كتاب « إسرائيل والعرب . المعركة الثالثة » لجان لاتوتور وزوجته سيمون .. بأن إسرائيل مندهشة وغاضبة من أن مثل هذا النصر الساحق لم يجعل العرب يستسلمون . حتى لفكرة المفاوضة للوصول إلى حل دائم .

فإسرائيل تعتقد أنها أنزلت بالعرب ضربة قاضية .. وأن عليها أن تستثمر هذه الضربة القاضية فى انتزاع استسلام من العرب .. فتنتزع به كل ما تريد .. نتيجة لهزيمتهم العسكرية .

وهى قد رسمت صورة للموقف بأن قوات العرب المسلحة قد دمرت لأن العرب غير قادرين على القتال .. وعاجزون عن استعمال الأسلحة التى فى أيديهم ..

أى أن نتيجة الضربة القاضية .. لم تكن قط هى القضاء على قوات العرب المسلحة .. بل وتأكيد أنهم غير قادرين على القتال وغير قادرين على استعمال الأسلحة .. أى أنهم مهما زودوا بالسلاح .. فلن يكونـــوا قادرين أبدا على مواجهة إسرائيل .. أى أنهم لم يهزموا فقط فى المعركة

السابقة .. بل وسيهزمون فى كل معركة يخوضونها .. مهما كانت الأسلحة التى فى أيديهم .

تلك هى الصورة التى حاولت أن تقنع بها نفسها .. وتقنع بها العالم .. بل وتقنعنا نحن بها .

ولقد ووجهت إسرائيل .. بواقع .. غير منطقى مع الصورة التى رسمتها ..

أوله .. هو أن العرب .. لم يستسلموا ..

فرغم أنهم — كما هيأت إسرائيل لنفسها — قد أفقدتهم الهزيمة قواتهم المسلحة .. ورغم أنهم غير قادرين على القتال .. وعاجزون عن استعمال أسلحتهم .. ما زالوا يقفون فى عناد وصلابة .. ويأبون الاستسلام .. الذى توقعته إسرائيل .. نتيجة وهمها الكاذب .. ثم .. أكثر من هذا .. لايريدون التغاضى .. وإغماض الأعين .. ولا يؤمنون بحكمة : « ابعد عن الشر وغنى له » .. ولايتركون مراكب إسرائيل المنتصرة تتبختر داخل المياه الإقليمية المصرية .. ويغضون عنها الطرف .. لأنهم « منكوسون » ولا داعى أن ينكشوا .. خصمهم القوى .. المنتصر ..

وينهار وهم إسرائيل .. وهى ترى المنكوسين .. العاجزين يصطادون .. مدمرتهم الكبيرة المختالة .. وهى تدخل فى مياههم الإقليمية .. فينشونها بصواريخهم .. ويجعلونها تطب فى قاع البحر .. فى لمح البصر .. وكأنها ما كانت .

وتدوخ إسرائيل .. من الواقعة العجيبة التى لا تتفق أبدا مع منطقهم واستنتاجاتهم وتخيلاتهم .. ويروحون فى تخبط — ليريحوا منطقهم — قائلين إن ما حدث لا يمكن أن يكون من صنع المصريين .. لأن منطقهم قد سبق أن أكد .. هروب المصريين من مواجهتهم .. وعجزهم عن استعمال الأسلحة التى فى أيديهم .. فإذا أتى زورق طوربيد .. ليطلق

صاروخه .. ويصيب المدمرة المختالة بإصابة مباشرة ليغرقها فى غمضة عين .. فلا يمكن أن يكون فاعل هذا مصريا ..

ولقد علق أحدهم على هذا قائلا : « طب لما مش هم المصريين اللى عملوا فيهم كده .. طب ثايرين على المصريين ليه .. وإذا كانوا فاكرين مثلا أن الروس هم اللى عملوا كده .. طب مايروحوا يصطفلوا مع الروس .. أهو الأسطول الروسى قدامهم .. يالله يورونا شطارتهم » .

أجاب الصاروخ الذى انطلق من الطوربيد المصرى على وهم إسرائيل .. ليؤكد .. أن الضربة لم تكن قاضية أبدا .. وأنها كانت نهاية جولة .. وليست نهاية معركة .. وأنها لم ترغم العرب على الاستسلام . فهم يقفون فى كل جبهاتهم على استعدادهم للنضال من أجل تحقيق السلام .. السلام العادل للجميع .. وليس السلام المحقق لأطماع إسرائيل .. القاضى على حقوق العرب .

وهو يجيب على الردود الحائرة فى نفوسنا .. بأننا من قلوبنا .. نسعى لحل سياسى .. لأننا أحرص على ألا نريق قطرة دم .. إذا كنا نملك أن نحقق العدل .. بغير إراقتها .. ولكننا لا نقبله كفرض ظالم .. نتيجة لعدوان .. يفرض علينا .. أن نخضع لما لا نؤمن به .

وهو يجيب بأننا فى الوقت الذى نسعى فيه للسلام العادل .. نقف لنواجه العدو بكل ما نملك من قوة مسلحة .. تتزايد مع الوقت .. وأن ما نعجز عن تحقيقه بالحل السياسى يجب أن نحشد له كل ما نملك من قوة لتحقيقه بالحل العسكرى .. عندما تتحقق لنا القدرة عليه .

فنحن نواجه العدو .. لنصد كل محاولة للعدوان .. ونحن نحشد .. لطرده من أرضنا .. عندما نملك من التفوق ما يمنحنا القدرة على ذلك .. وسنستمر فى مواجهته حتى نرد لشعب فلسطين حقه ..

ولقد أكد هجومه الانتقامى على السويس .. هذه الإجابة .. فلقد

واجهنا الهجوم ببسالة وقدرة .. كانت خسائرنا فى الأرواح نادرة .. لأننا تعلمنا .. كيف نخوض معركة دفاعية .. واستطعنا أن نحصر الخسائر بكل ما نملك من جهد . وإذا كانت ضربة العدو قد أنزلت بنا خسائر مادية .. فإن حصيلة ضربتنا وضربته .. قد منحتنا من الأرباح المعنوية ما يفوق كثيرا الخسائر المادية .

لقد أجابت على أسئلتنا الحائرة .. التى أثارها العدوان .. وحيرتها النكسة ..

وإن كان قد بقى هناك مزيد من الأسئلة الحائرة .. فى المشكلة الأصلية .. وهى القضية الفلسطينية .. ماذا خططنا للحصول على حق الشعب الفلسطينى ؟ . وما هو طريقنا لحل قضيته ؟ . لقد سألت فى إحدى ندوات الاتحاد الاشتراكى .. الصديق العزيز الأستاذ محمود رياض وزير الخارجية .. سؤالا .. ما زال حتى الآن يدور فى رأسى حائرا .

قلت له : « نحن لا نريد .. أو على الأقل لا نستطيع أن ندمر إسرائيل .. ولا نريد أن نتفاوض معها .. ولا نريد أن نعترف بها .. ولا نريد الصلح معها .. ما الذى نريده .. إن كل خططنا مبنية على .. لا .. فما هى الخطة المبنية على نعم ؟ .. » .

وأن الزميل أحمد بهاء الدين .. قد بدأ نقاشا موضوعيا.. فى هذه المسألة الرئيسية .. وطرح رأيه فى شجاعة .. وأتاح الفرصة للناس أن يفكروا بصوت عال ..

وأن مجرد بدء النقاش بصراحة .. خطوة طبيعية .. فى هذا السبيل .

وهى تتطلب من كل مفكر مخلص أن يقول رأيه فى شجاعة وصراحة .

إن أبسط مبادىء الوصول إلى هدف هو وضوح الطريق إليه .. وأبسط مبادىء اجتيار الطريق .. هو أن يكون الطريق الذى نختاره .. قابلا للسير .. وأن نكون مالكين وسيلة اجتيازه .

وبهذا الأسلوب الجاد يجب أن نطرق المسألة الأصلية التى يكافح العرب جميعا من أجلها .

ولعلنا نستطيع فى مقال آخر .. أن نناقش الموضوع بتفاصيل أكثر .

١ نوفمبر ١٩٦٧

فلسطين .. موجودة

● نبدأ من البداية لنسرد الظروف التى مرت بها القضية الفلسطينية ببساطة وبغير تعقيد أو انفعال بالأسى أو الحماس :

١ — الوطن الفلسطينى موجود بحدوده الأصلية لا يمكن إلغاؤه لأى سبب من الأسباب .

٢ — حدث غزو صهيونى احتل جزءا من الوطن الفلسطينى فى عام ١٩٤٨ .

٣ — استمر الوطن الفلسطينى موجودا جغرافيا بالأرض التى لم يتناولها الاحتلال بعد الغزو الأول ولكنه لم يوجد سياسيا . وهكذا استمرت الأرض الفلسطينية بغير وجود الفلسطينيين بعد أن تحول بعضهم إلى رعايا غير فلسطينيين رغم وجود أرضهم الفلسطينية فى المناطق غير المحتلة وتوزع الذين احتلت أرضهم على بقية البلاد العربية إما فى شكل لاجئين أو فى شكل عاملين ، وهاجرت القلة الباقية إلى بقية بلاد العالم .

٤ — وفى الغزو الثانى احتلت غزة ثم تركت وإيلات و لم تترك .

٥ — وفى الغزو الثالث غزيت بقية الأراضى وما زالت محتلة حتى الآن .

٦ — أول مبدأ مسلم به هو استمرار وجود فلسطين الأصلية واعتبار أى أرض محتلة جزءا من الوطن الأصلى .. فليس معنى احتلال جزء من بلد ما تسليما بانفصال هذا الجزء .

٧ — كان رد الفعل الفلسطينى للغزو الصهيونى لفلسطين بالطريقة التى حدث بها ، هو الذى جعل للمسألة الفلسطينية هذا الشكل غير

الطبيعى والذى ضلل العالم كله وأغرق العرب أنفسهم فى متاهــة لا يعرفون أين نهايتها ولا كيف الخروج منها لأن نزوح الفلسطينيين من الجزء المحتل عقب الغزو الأول ساعد على عملية فصل هذا الجزء عن الوطن الأصلى بخلوه من سكانه الأصليين ومنح الفرصة لاحتلاله وفرض المعالم التى تجعل منه أمام العالم شيئا جديدا لا علاقة له بالأصل . وجعله يبدو وكأنه وطن أصلى لسكانه رغم أن أغلبيتهم يشكلها الغزاة الذين استوطنوه قسرا بعملية الغزو .

وهكذا انمحت معالم فلسطين المادية . وطوى الشكل الفلسطينى . رغم أنه كان يمكن أن يوجد حتى لو احتل اليهود كل فلسطين .. بحكومة فى المنفى.. ومقاومة فى الداخل . وأن تعتبر فلسطين دائما موجودة فعلا مهما بلغت الرقعة المحتلة بها . وتكون الحركة الإيجابية الطبيعية فى المجال الفلسطينى .. هى أولا وقبل كل شيء العمل على تحرير الوطن الفلسطينى بأهله .. أينما كانوا ..

ومع ذلك فلم تكن كل فلسطين محتلة . بل بقى جزء كبير منها حتى الغزو الأخير.. بأرضه حرا .. وشعبه طليقا . وكان أبسط منطق يحتم وجود فلسطين ذات الأرض والشعب والحكومة والعلم وكل معــالم الأوطان .. فى الجزء الحر من فلسطين الذى لم تسيطر عليه قوى الغزو الصهيونى وأن تتحرك فلسطين حركة طبيعية نحو تحرير الجزء الباقى من أرضها .. وتصبح المشكلة أمام العالم واضحة المعالم . بلدا اغتصب جزء منه وادعى الغزاة ملكيتهم لهذا الجزء .. ويتحتم على البلد الأصلى ــــ فلسطين ــــ أن يستعيد الجزء المحتل .. بكل ما يملك من وسائل .

ولم أعرف لماذا أنشئت منظمة فلسطين .. ولم تنشأ دولة .. مع أنها تملك البقعة التى تيسر لها كل إمكانيات الدولة .. من أرض وشعب .

إن الشيء الذى لا يقبل الجدل .. هو أن فلسطين موجودة .. وأن

احتلال جزء منها أو احتلالها كلها .. لا يعنى فناءها .. ويصبح الحل الطبيعى بعد ذلك هو أن يوجد كيان الدولة .. فى أية بقعة من فلسطين يمكن أن يمارس فيها وجوده بحرية وأمان فإذا لم توجد الأرض الفلسطينية .. فليوجد كيان الدولة فى أية بقعة من الأرض العربية .. كما وجدت حكومة الجزائر فى القاهرة قبل استقلال الجزائر .

وليمارس الفلسطينيون كفاحهم من أجل تحرير وطنهم بالمقاومة فى الداخل . والعمل الموحد فى الخارج (وبكل ثقل البلاد العربية معهم فى المعركة لأنها معركة الوطن العربى كله) .

ولتنقل الحكومة الفلسطينية إلى أول جزء يتحرر من أرض الوطن الفلسطينى لتمارس فيه عملها .

وليتحرر اللاجئون من خيامهم .. كلما سنحت فرصة لذلك . إننا لا نستطيع أن نجسد الحياة الفلسطينية .. والنمو الفلسطينى .

إن اللاجئين .. لن يأخذ أحد بيدهم ليعيدهم إلى بيوتهم .. وهم لن يعودوا إليها .. من خيامهم كلاجئين .. ولن يمد إليهم أحد يده بحقوقهم .. ولكن عليهم أن يثبوا لأخذها وأن يتحولوا من جزء عاجز إلى جزء حى من فلسطين ..

إنهم يعيشون فى خيامهم فى بؤس .. ولكنه — بيننا وبين بعض — لا يفترق كثيرا عن بؤس كثير من أفراد الشعب العربى فى عقر دارهم .. واستعراض بؤسهم .. لم يعد يضيف إلى المسألة شيئا مفيدا .. فقد عرفه كل من يهمنا أن يعرفه . وبات على اللاجئين أن يتحولوا إلى عاملين مناضلين . وأصبح علينا أن نزيل لافتة اللجوء الفلسطينى من واجهة المسألة الفلسطينية .. ونضع بدلها الوجود الفلسطينى الكامل الذى يحوى الشعب الفلسطينى فى كل مكان .

وتصبح الحركة فى المسألة الفلسطينية نابعة من هذه القاعدة ومتحركة

فى هذا الاتجاه .

١ ـــ وجود الكيان الفلسطينى فى أية بقعة من الوطن العربى .

٢ ـــ العمل مع بقية البلاد العربية على إزالة آثار العدوان الأخير بالعمل الخارجى والمقاومة الداخلية .

٣ ـــ وجود الدولة الفلسطينية فى الأرض المتحررة من فلسطين بكيان نابع من الشعب الفلسطينى فى الأرض الفلسطينية .

ذلك أول شكل طبيعى يمكن أن توجد به الدولة الفلسطينية مع تعزيزها بكل إمكانيات الوطن العربى .

ويصبح وجه المشكلة هو اعتداء صهيونيا على جزء من أراضى دولة فلسطين ، الموجودة شعبا وحكومة (وليست مجرد مجموعة من اللاجئين) وحق هذه الدولة فى استرجاع أراضيها .. وفى استعادة حق المواطنين المشردين من الأرض المحتلة وفى رعاية مواطنيها الموجودين فى الأرض المحتلة وحمايتهم من أى اضطهاد أو ظلم يقع عليهم .

بهذا الشكل وبهذا المنطق يمكن أن نواجه إسرائيل ونواجه العالم الذى حولنا فلسطين فى نظره .. إلى إسرائيل فى جانب وإلى مجموعة من اللاجئين فى الجانب الآخر ..

وعلى قدر نمونا وتقدمنا ووحدتنا تصبح قدرتنا على مواجهة إسرائيل الغازية ، وعلى استرجاع الأرض المحتلة .. مهما طال الزمن .

٨ نوفمبر ١٩٦٧

(من وراء الغيم)

من أجل .. عمل عربى موحد

نحن نخوض معركة عربية . وأيا كان طريقنا إلى النصر سياسيا كان أم عسكريا .. فلا أظن بلدا عربيا يمكن أن يبلغه وحده .. وإذا كنا دائما فى طريق التقدم العربى نحتاج إلى العمل الموحد فإن حاجتنا إليه أشد ونحن نواجه المصير العربى .

وعندما وجه العدو إلينا ضربته .. لم يوجهها إلى بلد منا .. ولكنه وجهها إلينا جميعا .. وعندما حلت بنا النكسة .. لم تحل ببلد دون بلد .

طريقنا إذن فى المعركة واحد .. ومصيرنا واحد .. وعملنا فى مواجهة الخصم .. بداهة .. لا بد أن يكون واحدا .. ولقد خضنا المعركـة السابقة .. تجمعنا ـــ أو تجمع بعضنا ـــ اتفاقية دفاع مشترك .. وقعت قبل بداية المعركة بثلاثة أيام .. ومع أن مجرد توقيعها كان دقة خطر على رأس العدو جعله يعجل بهجومه قبل أن تتخذ القوات العربية مواضعها التى يمكن أن يتيحها العمل العسكرى الموحد .. فإن هذا العمل العسكرى الموحد لم يستطع أن يؤدى شيئا أكثر من دقة ناقوس الخطر فى آذان العدو .. التى جعلته يوجه ضربته إلينا فورا .

لقد دق ناقوس الخطر فى آذان العدو .. دون أن نمنح فرصة .. لمواجهة خطره .

والنتيجة .. هى إن العمل العسكرى الموحد .. الذى عقدت اتفاقيته قبل المعركة بثلاثة أيام .. لم يستطع أن يوضع فى حيز التنفيذ .

لم يكن هناك خلال ستة أيام المعركة .. عمـل عسكـرى واحـد مشترك .. فى الوقت الذى كنا فيه فى أشد الحاجة إلى هذا العمل عندما

كانت تضرب مطارات بلد .. فلا تجد طائراته .. مطارا بديلا فى بلد آخر .. يجعلها أقدر على خوض المعركة .. بدل أن ترقد مشلولة عاجزة .. والمعركة فى أشدالحاجة إليها .

وحتى اتفاقيات الدفاع المشترك التى تهيأت لها الفرصة الكافية لكى تنيح عملا عسكريا موحدا .. لم تمنح الإمكانيات التى تضعه موضع التنفيذ ، والتى تجعلنا نواجه أى تهديد من عدونا .. بقوة موحدة .. أو خطة مشتركة .

ونحن نقف الآن لنواجه العدو .. بعد النكسة .. نحاول أن نستعيد قدرتنا على العمل .. من أجل أن نزيل آثار العدوان .. ونحرر الأرض العربية .. ونستعيد الحق الفلسطينى .

ولقد حدد الرئيس جمال عبد الناصر فى خطابه يوم ٢٣ نوفمبر عام ١٩٦٧ أهدافنا .. كما حدد بوضوح أسلوبنا فى العمل .. وقدرتنا عليه .. عندما أكد أن الهدف هو المبدأ .. وأن المبدأ الذى نؤمن به هو العمل من أجل تحرير الأرض واستعادة الحقوق .. قائلا : إن الحرب ليست هدفا فى حد ذاتها وإننا لسنا دعاة حرب ولكننا جنود حرب إذا كانت الحرب ضرورة نخوضها دفاعا عن مبادئنا وأرضنا وحقوقنا .

وأكد الرئيس أننا سنقوم بتطهير أرض لنا يحتلهاالعدو وهذا حق مشروع لنا ولكن التقدم إلى ذلك قبل امتلاك القدرة عليه خطأ فادح وجريمة فى حق الوطن .. ونحن لا نتردد فى محاولة العمل السياسى ولا نمانع فى تجربة أى طريق سياسى بل ونرحب به .

وإذا لم يستطع العمل السياسى وحده صيانة كل ذلك والدفاع عنه واستخلاصه فإن العالم كله لن يكون فقط مقدرا لموقفنا فى اللجوء إلى القوة المسلحة بل سوف يكون موقفه أكثر من مجرد التقدير .. سوف يكون موقف التأييد .

ولقد حدد الرئيس فى وضوح كامل الأهداف التى نضع العمل — سياسيا كان أم عسكريا — فى خدمتها ومن أجل تحقيقها .. فى الانسحاب الكامل للمعتدى من كل شبر من الأراضى العربية التى جرى احتلالها وفى أنه لن يسمح لإسرائيل بالمرور فى قناة السويس لأنه جزء لا يتجزأ من قضية فلسطين الأصلية .. وفى أنه لا مفاوضة ولا صلح مع إسرائيل ولا اعتراف بإسرائيل ولا تصرف بالقضية الفلسطينية فهى ملك لشعب فلسطين .

ومن موضع المسئولية .. أوضح الرئيس قدرتنا العسكرية .. لمواجهة العدو .. وتحقيق الأهداف والمبادئ التى نسعى لتحقيقها .. فأكد بصراحة أن قواتنا المسلحة قد فاقت قدرتها واستعدادها .. ما بلغته قبل النكسة .. وإننا نقف فى موقف القادر على الدفاع .. وأن الجهود التى تبذل حاليا لاستكمال البناء العسكرى جهود تفوق طاقة الإنسان وأنها ستؤكد قيمتها العملية عندما تتاح لها فرصة الاختبار .. وأننا نواصل تدعيم قوتنا العسكرية حتى تصبح قادرة على خوض معركة يتحقق لها فيها النصر الكامل .

لقد حدد الرئيس إذن .. فى وضوح كامل .. مبادئنا وأهدافنا كما أوضح أسلوبنا فى العمل على صيانة المبادئ وتحقيق الأهداف .. مؤكدا أننا نقبل العمل السياسى إذا استطاع أن يحققها .. وإننا نواصل تدعيم القدرة العسكرية لخوض معركة المصير لتحقيق أهدافنا إذا فشل العمل السياسى فى تحقيقها .

لقد أوضح الرئيس الأهداف وحدد أسلوب العمل .. وعرض قدرتنا عليه .

والمعركة معركة عربية .. والأهداف أهداف عربية واحدة .. وأسلوب العمل .. يجب أن يكون عربيا واحدا .. وقدرة كل بلد عربى يجب أن ترتبط بقدرة كل البلاد العربية .. لكى تكون كلها قدرة واحدة

فعالة .

والسؤال الآن .. ونحن نقف صفا فى معركة واحدة .. ماذا نملك .. وكيف نوجه ما نملك من أجل تحقيق الأهداف والنصر فى المعركة .

هل ترتبط قدرتنا العسكرية كلها بخطة موحدة .. استعدادا لمواجهة الصدام .. إذا تحتم حدوثه .. أم سنواجه المعركة بخطة توضع .. وسط دخان المعركة .. ودويها ولهيبها .. وكل مشغول بمصيره .

هل تحققت القدرة الدفاعية لكل بلد عربى يواجه العدو .. وهل يواصل تدعيم قدراته لتوجيه الضربة من أجل استعادة الأرض المحتلة عندما نملك القدرة على استعادتها .. إذا استمر العدو جاثما عليها .. وعجز العمل السياسى عن إجلائه .

هل سنخوض المعركة القادمة — إذا تحتم خوضها — بجيش يمثل حقيقة قوة المائة مليون عربى .. وقدرتهم .

أم أن المائة مليون .. لن يكون إلا رقما يثير السخرية .. عندما يوضع فى مواجهة مليونين فى إسرائيل .

هل يمكن أن نكون قد أضعنا هذه الشهور التى مرت بعد النكسة سدى .. دون أن نستفيد من دروس الدفاع المشترك .. الذى لا ينتج عنه .. أى عمل عسكرى مشترك ؟

هل ستظل كل بلد واقفة فى مواجهة العدو .. حتى تبدأ المعركة فعلا .. فنهرول للاتفاق على عمل مشترك ؟

وأكثر من هذا .. هل يستند عملنا العسكرى المشترك .. على أسس اقتصادية مدعمة موحدة متكاملة ؟

الذى نعرفه هو أن أى عمل عربى موحد لا بد أن يستند إلى تكامل اقتصادى يمنحه القدرة على الثبات والاستمرار حتى النصر .

والطريق إلى النصر .. سواء كان سياسيا .. أم عسكريا .. لا بد له من قاعدة انطلاق اقتصادية سليمة .

ولقد سبق أن وضعت اتفاقية للوحدة الاقتصادية بين البلاد العربية فى نطاق جامعة الدول العربية . ولقد وافق المجلس الاقتصادى عليها منذ عام ١٩٥٧ ووقع عليها مندوبو حكومات الأردن وسوريا ومصر والكويت والمغرب فى عام ١٩٦٢ والعراق واليمن فى عام ١٩٦٣ ؟

وكانت أهداف هذه الاتفاقية هى :

١ — حرية انتقال الأشخاص ورءوس الأموال .

٢ — حرية تبادل البضائع والمنتجات الوطنية والأجنبية .

٣ — حرية الإقامة والعمل والاستخدام وممارسة النشاط الاقتصادى .

٤ — حرية النقل والترانزيت واستعمال وسائل النقل والمرافىء والمطارات المدنية .

٥ — حقوق التملك والإيصاء والإرث .

كما قرر مجلس الوحدة الاقتصادية العربية إنشاء السوق العربية المشتركة بتاريخ ١٩٦٤ لتحقيق التكامل الاقتصادى بين البلاد العربية وإرساء دعائم الوحدة الاقتصادية على أسس سليمة من التنمية الاقتصادية المتناسقة المستمرة .

والسؤال هنا : ماذا تم .. فى اتفاق الوحدة الاقتصادية ؟ . والسوق العربية المشتركة ؟ . هل حققت وجود القاعدة التى تعتبر أساسا ومنطلقا .. لكل عمل عربى موحد من أجل مصير العرب وحريتهم ورخائهم ؟

الرد مطلوب ممن يملكون الرد .

وألى لقاء آخر .. لمناقشة .. هذه المسألة التى تثير الدهشة وتبعث على الأسى والأسف .

١٣ ديسمبر ١٩٦٧

أين نقف ؟ وإلى أين نتحرك ؟

فى هذه المرحلة الخطيرة من تاريخنا يجب علينا أن نسائل أنفسنا فى كل لحظة .. أين نحن ؟

هل نقف ؟ . هل نتحرك ؟ ونقف أين ؟ .. ونتحرك إلى أين ؟ ..

أما هل نقف أمام نتحرك .. فنحن بالتأكيد نتحرك .. لأننا يجب ألا نقف .. ليس فقط لأن من طبيعة الحياة .. الحركة فى سبيل النمو .. ولأن التوقف جمود .. وضمور .. ينتهى بالفناء .. بل لأننا فى وضع لا يمكن التوقف فيه .. أو الصبر عليه .. بل يجب بكل ما نملك من قدرة على الحركة أن نتجاوزه ونخلص منه .. ونحن نشعر بما يجثم على صدورنا .. ويضيق أنفاسنا .

وحركتنا .. وإن كانت لا تبدو .. وثبا ظاهرا .. تنقلنا من مكان .. إلى مكان .. إلا أنها حركة حيوية متواصلة أشبه بنمو النبت .. لا تبصرها .. وإن كنت تحسها .. فى علوه وامتلائه وقوته يوما بعد يوم .. وفى قدرته على المقاومة .. والإعطاء .. الذى يمنح هو نفسه القدرة .. على الحركة الواضحة .. التى تنقله من حالة إلى حالة .. ومن مكان إلى مكان .

وحركتنا الدائبة المستمرة .. تتمثل فى نمو قدرتنا العسكرية .. التى تجعل عملية الانتقال من وقفتنا .. والخلاص مما يجثم على أرضنا .. أو صدورنا .. عملية .. مستطاعة .. بمجرد تحققها .. عندما تشعر الأظافر التى تنشب فى لحمنا .. أنها تطبق على شىء صلب .. قادر على تحطيمها .

إن تدعيم القدرة العسكرية .. حركة .. تنقلنا بتحقيقها من وضع

سياسى .. إلى وضع سياسى أفضل .. ولا شك أن الوضع الذى نفقه الآن .. فى مواجهة العدو .. يضعنا على أرض أصلب كثيرا مما كنا نقف عليها من شهور مضت وصلابة هذه الأرض من تحتنا تعتمد إلى حد كبير .. على نمو قدرتنا العسكرية .

ولكن .. من خلال حركتنا الأصيلة الدائبة التى تمنحنا الأمان .. والضمان.. والقدرة على الحركة .. لا نستطيع أن نقف جامدين فى محيط يتحرك من حولنا .. ولكننا يجب أن نكون على استعداد دائم للحركة الملائمة لنا .

ونحن نعرف بوضوح .. ما يلائمنا .

ففى مجال العمل السياسى الذى تحول فى الأمم المتحدة إلى وثيقة .. ذات فقرات وبنود .. نعرف أن هناك فقرة أولى حدد الرئيس جمال عبد الناصر موقفنا منها بأنها لا تقبل الجدل وليست خاضعة لأى أخذ أو عطاء .. وهى الانسحاب الكامل من الأراضى العربية التى جرى احتلالها فى معارك يونية سواء فى الجمهورية العربية المتحدة أو المملكة الأردنية أو الجمهورية العربية السورية .

أما الفقرة الثانية فمعلقة كلها بقضية فلسطين .. فالمرور فى القناة — كما قال الرئيس عبد الناصر — جزء لا يتجزأ من قضية فلسطين الأصلية .. التى يملكها شعب فلسطين .. والتى يحدد وضعها للعرب .. لا اعتراف .. لا صلح .. لا مفاوضة مع إسرائيل .

وإذا كانت إسرائيل .. تعلق الأولى على الثانية .. فنحن نعلق أجزاء الثانية .. على الثانية .. ككل .

ويصبح السؤال بوضوح .. هو ما وجهه الرئيس عبد الناصر فى خطابه « هل تسحب إسرائيل فعلا من كل الأراضى التى جرى احتلالها فى معارك يونيو أو لن تنسحب .. هنا الحد الفاصل بين القول والفعل » .

وتبرز بعد ذلك .. القضية الفلسطينية ككل .. ويبرز أمامنا أسلوب إسرائيل فى التعامل معها .

لقد دابت إسرائيل منذ توقيع اتفاقيات الهدنة عام ١٩٤٩ على ممارسة سياسة عدوانية بشن هجمات عسكرية عبر خطوط الهدنة وبغزو أراضى الدول العربية بصورة متكررة .. مما أدى إلى إدانتها ولومها خمس مرات بواسطة مجلس الأمن وست من الجمعية العامة .. فى الوقت الذى لم يدن أى بلد فى العالم بمثل هذا القدر من الأمم المتحدة و لم يدن أى بلد عربى منها بسبب قيامه بهجمات عسكرية على إسرائيل .

كما واصلت إسرائيل الاعتداء على مراقبى وموظفى الأمم المتحدة على امتداد خطوط الهدنة واغتالت الوسيط الدولى الأول ومساعده العسكرى واحتجزت بعض مراقبى الهدنة واحتلت عسكريا وفتشت بصورة غير شرعية .. المقر العام لموظفى الأمم المتحدة وقاطعت اجتماعات لجان الهدنة المشتركة كما رفضت تنفيذ قرارات الأمم المتحدة جميعها وأصرت على عدم منح اللاجئين الفلسطينيين حقوقهم المشروعة فى أرضهم وأموالهم وعلى فرض نظام التمييز العنصرى ضد العرب الذين بقوا فى أرضهم فاستمر أكثر من ٩٠٪ منهم يعيشون فى مناطق محظور مغادرتها وفى ظل حكم عسكرى يقيد حريتهم وأخيرا تجميع العرب بعد العدوان فى معسكرات أشبه بمعسكرات النازية .

هذا هو أسلوب إسرائيل حتى الآن فى التعامل مع القضية الفلسطينية الذى تميز فى كل نواحيه بالعدوان والعنف والبلطجة .

وهى تقف الآن وفى يقينها أنها تملك من أسباب الإملاء والفرض .. بالعدوان العسكرى .. ما يحقق لها أمانيها فى التوسع والاستقرار .

ومع ذلك — وبرغم أنها حققت من الانتصار ما لم تحلم بتحقيقه من قبل ولن تحلم بحقيقه من بعد — فإنها قد غرست فى موضع لا تملك التقدم

منه إلى هدفها الحقيقى وهو الاستقرار .. ولا تستطيع الحركة للأمام سياسيا أو عسكريا .

بل هى بغير جدال .. تتحرك سياسيا للخلف بعد أن كشفت لدى الرأى العام العالمى .. وبعد الموقف الإيجابى لفرنسا برئاسة ديجول مع الدول العربية وضد إسرائيل .

أما عسكريا فرغم ثبات القوات العسكرية عند خط قرار وقف القتال فإنه قد حدث من التغيير فى ميزان القوى .. ما يضع إسرائيل فى موقف المتحرك للخلف بالنسبة للتدعيم الذى أحرزته القوات العربية فى مصر وبالنسبة لدخول فرنسا كعنصر للتسليح كسبه العرب وفقدته إسرائيل .

وهكذا تصبح الورقة التى انتهى إليها العمل السياسى فى الأمم المتحدة بكل ما فيها من فقرات وبنود .. تقضى من وجهه نظر إسرائيل إلى محاولة استقرار توسعى يفرضها العدوان المسلح ومن وجهة نظر العرب إلى إزالة آثار العدوان أولا بغير مساومة .. ثم حل القضية الفلسطينية ككل على أساس استعادة العرب حقوقهم الشرعية فى وطنهم .

وإذا كانت وجهة نظر إسرائيل تحاول إملاءها بالعمل العدوانى الذى فرضته القوة المسلحة .. فلن يغير وجهة النظر هذه إلا الإحساس بأن أسلوب العدوان غير مجد .. وبأن القوة المسلحة يمكن أن تلغيها قوة مسلحة مقابلة قادرة على صدها .. ثم دحرها .

ومن هذا الإحساس تنبت قيمة العمل العربى الموحد وخطورته فى هذه المرحلة .

وتبرز كلمات الرئيس عن العمل العربى .. عندما قال :

« نحن نعتقد أن إمكانية العمل العربى الموحد الذى أثبت فاعلية فى الخرطوم يجب أن تستمر .. يجب أن تؤدى دورها إلى نهاية الأزمة .. يجب أن نعطيها فرصة كاملة حتى بعد نهاية الأزمة .

وإذا نجحنا فى ذلك فنحن نعتقد أن نظاما عربيا جديدا يمكن أن يولد يعطى العالم العربى دفعة كبيرة فى عصر التجمعات الاقتصادية الكبيرة فى هذا العصر وما تقتضيه ظروفه من مطالب التكنولوجيا والموارد المنسقة والأسواق المفتوحة .. إن الدول العربية لا تستطيع أن تحقق أهداف نموها بالسرعة الواجبة وكل منها على انفراد وفى عزلة عن الباقين » .

ويستطرد الرئيس متسائلا : « كان فيه تساؤل إزاى اثنين ونص مليون إسرائيلى يهزموا ١٠٠ مليون عربى ؟ » .

ثم يجيب على التساؤل قائلا :

« الحقيقة الاثنين ونص مليون إسرائيلى عبأوا قواهم وقوى أيضا من ورائهم أما الـ ١٠٠ مليون عربى ما عبأوش قواهم .. لا قواهم العسكرية ولا الاقتصادية .

التعبئة العربية العسكرية والاقتصادية هى إذن .. مربط الفرس .. هى بيت القصيد .. لقد كان فقدانها .. سبب نكستنا .. ولن يكون انتصارنا بغير تحقيقها .

أما التعبئة العسكرية .. فأمر حيوى .. لا نملك مناقشته على صفحات الصحف .

أما التعبئة الاقتصادية .. وهى أساس ومنطلق كل تعبئة .. فى كل وقت .. فهو ما يمكن وما يجب مناقشته ..

لقد سبق أن تحدثت عن الوحدة الاقتصادية العربية وعن السوق العربية المشتركة .. وعن سبب تجميدها ولا سيما بعد أن قرر مجلس الملوك والرؤساء فى دورته الثانية سنة ١٩٦٤ :

« إن المجلس يوجه عناية خاصة إلى دعم التعاون الاقتصادى العربى وتنفيذ الاتفاقية الخاصة بهبوصفه الأساس الأول للقوة والتقدم العربيين وللمقدرة على مواجهة التحديات الأجنبية فضلا عن أنه الهدف الأول

للتجمعات الدولية المعاصرة » .

ولكن ما حدث هو أن كثيرا من البلاد العربية لم يوقع على هذه الاتفاقيات الاقتصادية وحتى ما وقع من هذه الاتفاقيات قد توقف .. نظرا للتحفظات المختلفة التى تتحفظ بها مختلف الدول الأعضاء على الاتفاقيات .. ولقد كان مفروضا أن تتبلور فى تكامل اقتصادى عربى متين الدعائم إلا أن النتيجة المأمولة لم تتحقق لأن الاقتصاد العربى ما زال مفككا بسبب عدم وجود التنسيق الاقتصادى الذى يضمن أقصى استغلال للموارد العربية لسد احتياجات الاقتصاد العربى والتنمية العربية .

ولقد اطلعت على الاتفاقيات الاقتصادية التى سبق أن عقدت والتى يمكن أن تحقق التكامل الاقتصادى . وهى أربع اتفاقيات اقتصادية تبدأ باتفاقية تسهيل التبادل التجارى وتنظيم تجارة الترانزيت ثم اتفاقية تسديد مدفوعات المعاملات الجارية وانتقال رؤوس الأموال بين دول الجامعة العربية واتفاقية إنشاء المؤسسة المالية للإنماء الاقتصادى .. وأخيرا اتفاقية الوحدة الاقتصادية وقرار السوق العربية المشتركة . وكلها حبر على ورق . بسبب تحفظات بعض الدول عليها وعدم انضمام البعض الآخر إليها أو عدم إتمام إجراءات التصديق عليها .

وهناك غير ذلك اتفاقيات البترول التى تشمل اتفاق تنسيق البترول واتفاقية إنشاء الشركة العربية لناقلات البترول والتى اشتركت فيها العراق وسوريا ومصر والكويت (التى لم تصدق عليها بعد) ولكن الشركة لم يمكن قيامها بسبب نقص مجموع حصص الدول الثلاث التى صدقت على الاتفاقية عن النصاب المالى اللازم لكى تصبح اتفاقية الشركة نافذة المفعول .

وهناك اتفاقيات المواصلات التى تشمل اتفاقية منح حرية الطيران والهبوط المدنى فى المطارات الدولية وقد صدق عليها الأردن ومصر

والعراق والكويت وأصبحت الاتفاقية نافذة فقط بالنسبة لهذه الدول الأربع ابتداء من ١٩٦٥ .

واتفاقية الشركة العربية للملاحة البحرية وقد أصبحت هذه الاتفاقية نافذة المفعول بالنسبة للدول الموقعة عليها ، والتى بلغ اكتتابهم فيها ٥٦٪ من رأس المال وهى الأردن والعراق وسوريا ومصر والكويت . ابتداء من ١٩٦٥ .

هذه هى الاتفاقيات التى عقدت حتى الآن .. ومعظمها غير نافذ والباقى معطل . ولقد أنشئ مجلس الوحدة الاقتصادية الذى يتولى أمانته الدكتور عبد المنعم البنا والذى استطاع أن يحقق بعد سنتين من إنشائه تخفيضا جمركيا بلغ ٨٠٪ من المنتجات الزراعية و ٤٠٪ من الصناعة .

وقد أوصى مؤتمر الخرطوم بعقد مؤتمر خبراء للبحث عن وسائل لإقامة مجموعة عربية اقتصادية مشتركة ترمى إلى تحقيق التكامل الاقتصادى والاكتفاء الذاتى والوحدة الاقتصادية بواسطة المشاريع العربية المشتركة وإنشاء صندوق عربى للإنماء .

وقد انعقد هذا المؤتمر فى مدينة الجزائر فى أكتوبر ١٩٦٧ وقرر أن الوحدة الاقتصادية العربية هى الأداة الضرورية لتقوية الكيان العربى كما رأى أن اختلاف النظم الاقتصادية والظروف الخاصة لبعض الدول العربية قد حال دون انضمامها إلى اتفاقية الوحدة الاقتصادية حتى الآن ، وأوصى الدول التى لم تنضم إلى الاتفاقية « وهى تونس وليبيا والسودان ولبنان والسعودية » بدراسة الموضوع مع الأمانة العامة لمجلس الوحدة الاقتصادية على أن تقدم النتيجة إلى المجلس الاقتصادى .

وقد عقد فى ٣٠ نوفمبر ١٩٦٧ فى مقر الجامعة اجتماع لخبراء الاقتصاد العرب لدراسة اتفاقية الوحدة الاقتصادية وبيان الأسباب التى تحول دون انضمام بعض الدول إليها وكانت أهم النقاط التى أثيرت فيه أن اختلاف النظم والفلسفات الاقتصادية يعتبر من أهم العوائق لتنفيذ الاتفاقية

وكذلك اختلاف مستوى التنمية واختلاف هيكل التكاليف فى الإنتاج الزراعى والصناعى .

وقد وضع مؤتمر الجزائر مشروع اتفاقية لإنشاء صندوق عربى للإنماء الاقتصادى حدد رأسماله بمائة مليون دينار كويتى لتمويل المشاريع الاقتصادية وتشجيع توظيف الأموال العامة والخاصة وتوفير الخبرات والمعونات الفنية . فى مختلف مجالات التنمية الاقتصادية .

تلك هى الصورة العامة للمحاولات التى بذلت من أجل تحقيق الوحدة الاقتصادية التى تمكن من التعبئة الاقتصادية التى يتوقف عليها المصير العربى أمام التحديات الخطيرة التى يواجهها .

والذى يواجه الرؤساء العرب فى مؤتمر القمة هو وضع هذه الوحدة موضع التنفيذ . أو كما قال الرئيس عبد الناصر خلق نظام عربى جديد يعطى العالم العربى دفعة كبيرة فى عصر التجمعات الاقتصادية الكبيرة .

والمشكلة الحقيقية تتبلور فى كيفية تحقيق التنسيق الاقتصادى الذى يجعل من التحرر التجارى فى الكتلة العربية عملا مجديا فمن العبث أن تترك التجارة حرة إذا كانت مواردنا لا توفر لنا احتياجاتنا .

وإن مواردنا العربية لقادرة على أن تكفل لنا إذا ما استغلت داخل تخطيط علمى سليم التكامل الاقتصادى والاكتفاء الذاتى .

فلا تعود تجارتنا العربية المتبادلة تشكل ٧٪ من مجموع تجارتنا مع العالم (تستورد مصر الحبوب من الخارج فى الوقت الذى تعتبر سوريا مصدرا للحبوب) ولا نستورد من العالم الخارجى ما تقدر مصانعنا العربية على إنتاجه .

إن المشاريع العربية المشتركة قادرة على أن تمنح العمل والرخاء لكل عربى . وتوفر لنا القدرة العربية فى كل مجال وأولها المجال العسكرى .. الذى يمكن أن يحقق لنا حقوقنا وحريتنا ورخاءنا ونهضتنا .

٢٠ ديسمبر ١٩٦٧

القضية ملك للفلسطينيين

فى الأسبوع الماضى قرأت فى الأهرام نبأ عن وكالة أ . ش . أ من باريس جاء فيه :

أن جريدة لوموند الفرنسية نشرت حديثا للسيد يحيى حمودة القائم بأعمال رئيس منظمة التحرير الفلسطينية أكد فيه أن كل ما يهم العرب هو تحرير فلسطين من الدولة الصهيونية التوسعية التى أنشئت فيها على أسس عنصرية ودينية والتى تعتبر امتدادا للاستعمار الجديد فى الشرق الأوسط .

وقال إن العرب واليهود كانوا يعيشون فى فلسطين منذ قرون عديدة فى صفاء وسلام وكانت تجمعهم المصالح المشتركة والمصير الواحد ولكن الصهيونية أفسدت هذه العلاقات الإنسانية . وأضاف « إننا نقول دائما لليهود حتى لهؤلاء الذين جاءوا إلى فلسطين بعد عام ١٩٤٨ إذا كنتم تريدون حقا السلام والتعايش مع العرب فيجب أن تتحرروا من الصهيونية بوصفها حركة سياسية تقوم على التمييز العنصرى والدينى . وأن تقبلوا الحياة مع العرب فى دولة فلسطينية يتمتع فيها العرب واليهود بحقوقهم كاملة كمواطنين ..

وبعد بضعة أيام قرأت فى الأهرام فى الصفحة الأولى بعنوان تصريحات حمودة عن فلسطين أسئ نقلها فى بعض الصحف وجاء فى تفاصيل الخبر أن السيد يحيى حمودة قد صرح بأن الحديث الذى أدلى به لصحيفة لوموند الفرنسية والذى نشرته بعض الصحف اللبنانية وأذاعته الإذاعة البريطانية قد أسئ نقل أقواله فيه .

وقال « لقد أوضحت أننا لن نسمح بأن تتحول قضية فلسطين —

وهى قضية وطن مغتصب — إلى قضية لاجئين وأكـد أن الشعب الفلسطينى سيواصل النضال حتى النهاية وإلى أن يتحقق النصر ..

و لم أعرف بالضبط كيف أسئ نقل أقوال السيد يحيى حمودة . أعنى ما هى أقواله الأصلية وما هى الأقوال التى أسئ نقلها . وهل يعتبر ما نشر فى الأهرام نقلا عن وكالة أ . ش أ . نقلا عن الموند والذى علقت عليه الأهرام فى رأيها فى اليوم التالى تحت عنوان وضوح الرؤية وصلابة الموقف النضالى بأن الفكر الذى عبرت عنه القيادة الجديدة لمنظمة التحريـر الفلسطينية يعبر عن وضوح الرؤية ونضج الفكر لدى القيادة العربيـة الفلسطينية التى صقلتها المحن والتجارب .

كما يؤكد الحديث السياسى الهام الطابع الإنسانى للحضارة العربية على مر القرون وهو الطابع الذى حاولت الصهيونية إفساده بكل ما فيها من تعاليم عنصرية وبكل ما ارتكب من جرائم ومذابح . وأن هذا الوضوح الذى تتميز به القيادة الفلسطينية العربية الجديدة كفيل بتصحيح كثير من الأخطاءالتى تردى فيها الرأى العام العالمى بفعل التضليل الصهيـونى . وبفعل الأخطاء التى تورطت فيها بعض الدعايات العربية . ويدعم هذا الوضوح زيادة فاعلية النضال المسلح ضد الإرهاب الصهيونى فى الأراضى المحتلة وهو نضال يبرئ القيادة العربية عن أية مظنة للتراخى فى استرداد الحقوق المغتصبة للشعب الفلسطينى ..

لم أعرف كيف أسئ نقل الحديث السياسى الهام ..

ولكن الذى أعرفه هو أن ما قرأته من تصريح السيد القائم بأعمال منظمة التحرير الفلسطينية بصرف النظر عن التحليل التفصيلى له . قد منحنى إحساسا بأنه يحمل طابعا موضوعيا وأنه يتسم بالشجاعة . و لم أجد مبررا لما جاء بتعليق الأهرام مما يحمل نوعا من الدفاع من القيادة الفلسطينية الجديدة من مظنة التراخى فى استرداد الحقوق المغتصبة للشعب

الفلسطينى . بتأكيد زيادة فاعلية النضال المسلح ضد الإرهاب الصهيونى .

ومناقشة التصريح تبدأ من نقطة اعتبار أن القضية الفلسطينية .. ملك لشعب فلسطين .. وأنه هو وحده الذى يملك حق تقرير مصيره فيها ..

ومن أجل ذلك ولأن شعب فلسطين هو مالك قضيته وصاحب حق تقرير مصيره . يجب أن يكون حلها نابعا منه .

ولكن هناك عوامل حيوية يجب أن توضع فى الحسبان . وأولها أن الشعب الفلسطينى جزء من الوطن العربى . وأن أى حل يمكن أن يقرره لحل قضيته إنما يستند فى تنفيذه إلى قوى الوطن العربى كلها . فبرغم أن الشعب الفلسطينى يجب أن يتصدر أية عملية لتقرير المصير الفلسطينى وحل القضية الفلسطينية واستعادة حق الشعب المسلوب فإن إمكانيات الوطن العربى كله لا غنى عنها فى فرض هذا الحل كما أن الشعوب العربية الأخرى لا تعتبر إسرائيل والصهيونية مجرد مشكلة فلسطينية بل هى مشكلة عربية تهدد كل بلد عربى بالتوسع العدوانى .

وبهذا الفهم يتأكد أن القضية الفلسطينية ملك لشعب فلسطين ينبع حلها منه . بالإمكانيات العربية كلها . لأنها لاتهدد فلسطين وحدها بل تهدد الوطن العربى كله .

وإذا كان حل القضية الفلسطينية يجب أن ينبع من الشعب الفلسطينى بإمكانيات الوطن العربى كله والشعب الفلسطينى فى الصدارة فيجب أن يكون الحل النابع من الشعب الفلسطينى ، دارسا تماما لإمكانيات الوطن العربى .. وأن يكون عمل الشعب الفلسطينى ضمن تخطيط قائم على إمكانيات الشعب العربى المضمونة المؤكدة .

ولست أظن أن هناك شعبا عربيا يبخل على الشعب الفلسطينى بكل إمكانيات يملكها والتجارب قد وضعت الشعب العربى فى امتحان

عملى .. أثبت أن قضية فلسطين ، رغم أنها ملك الشعب الفلسطينى ، هى قضية كل عربى .. لأن فلسطين جزء من الوطن العربى ولأنها فعلا تهدد المصير العربى كله .

وعلى ذلك لا يجب أن نعزل القيادة الفلسطينية فى عملها أو فى تفكيرها أو فى تخطيطها عن العمل العربى كله .. بالإمكانيات العربية كلها .

ورغم أن هناك هدفا واضحا لا محيد عنه تحتمه المبادىء والحقوق .. فإن الهدف .. أى هدف يجب ألا يكون حلما أو أمنية .. بل يجب أن توضع الخطط العلمية المحكمة لتحقيقة وبقدر الإمكانيات .. يجب أن تحدد الخطى التي توصل إلى الهدف .. خطوة خطوة .

يجب أن نسأل أنفسنا دائما .. ماذا نريد .. وكيف وبماذا ومتى ..

يجب أن تكون الأسئلة دائما مقرونة بإجابة محددة .. واضحة .

فماذا نريد فقط .. يسهل قولها كأمنية .

ولكن عندما نضع أمامها كيف وبماذا ثم متى .. تتحول من مجرد أمنية .. إلى هدف .. له محطات للوصول بإمكانيات واضحة فى أوقات محددة ويحتاج إلى حشد القوى العربية الممكنة كلها وتخطيط العمل بهذه القوى .. فى مخطط مترابط متناسق .

وينقلنا هذا الكلام العام إلى .. أسئلة محددة .. يجب على القيادة الفلسطينية أن تحددها لوضع حل القضية الفلسطينية الذى يجب أن ينبع من الشعب الفلسطينى بإمكانيات الوطن العربى — وأولاها كما قلت — إمكانيات الشعب الفلسطينى نفسه كصاحب القضية الأصلى وكجزء من الوطن العربى .

الهدف الأصلى هو استعادة حق الشعب الفلسطينى فى وطنه وأرضه .

ولقد اندفعنا كلنا فى سبيل تحقيق هذا الهدف بالقول والفعل وكانت النتيجة هى وقفتنا الآن وإسرائيل تحتل كل فلسطين وأجزاء من بلاد عربية

أخرى غير فلسطين .

ورغم استمرار وجود الهدف الأصلى .. فلقد نبت هدف فرعى يجب أن نحققه قبل معاودة الوصول إلى الهدف الأصلى .. أو حتى فى الطريق إليه .. وهو إزالة آثار العدوان .

وهنا يبرز السؤال التالى مباشرة كيف ؟ .. وبماذا ؟ .. ومتى ؟ ..

أما كيف ؟ .. فهذا هو ما يجب أن توضح صورته فى أذهاننا .

ما هى الصورة التى نتصور فيها الشعب الفلسطينى مستردا حقه فى وطنه ؟

وقبل أن نجيب على السؤال يجب أن نجيب على السؤالين الآخرين .. بماذا ؟ ومتى ؟ .. لأن هذين السؤالين بلا جدال سيحددان شكل الصورة التى يمكن أن نهدف إلى تحقيقها .

على أية حال يجب أن تكون هناك صورة واضحة فى أذهاننا ..

ويجب أن تكون لدينا الشجاعة فى إبرازها وإبراز الإمكانيات التى يمكن أن نحققها بها .

ومن هذه الصورة يجب أن ينبع العمل الفلسطينى فكرا وعملا .

إن القضية الفلسطينية رغم أنها ملك للشعب الفلسطينى .. ورغم أن حلها يجب أن ينبع من الشعب الفلسطينى .. فإنه يجب أن يكون بإمكانيات الوطن العربى التى فى اليد ـــ لا التى على الشجرة ـــ وأن يكون العمل الفلسطينى جزءا منه وفى الصدارة من خطته .

١٠ يناير ١٩٦٨

إنه مصيرنا كيف نواجهه ؟

● أعمال إسرائيل العدوانية المستمرة .. تؤكد أن أسرائيل قد شرعت بالفعل فى قطف ثمار العدوان . يؤكد ذلك سلسلة الأعمال التالية التى تتواتر أنباؤها يوما بعد يوم .

١ ــ ضم القدس ونقل ٣٨ سفارة إليها من تل أبيب كمحاولة تثبيت ضمها .

٢ ــ إقامة المستعمرات فى الأراضى المحتلة .

٣ ــ نزع الملكية العربية فى بعض المناطق لتوطين اليهود فيها .

٤ ــ تغيير اسم مدينة نابلس العربى إلى سماريا الإسرائيلى .

٥ ــ إلغاء القرار الخاص بعدم شراء اليهود للأراضى فى غزة .

٦ ــ قتل المدنيين وإرهابهم وتهديم بيوتهم لإرغامهم إما على ترك ديارهم لإحلال اليهود محلهم أو البقاء مع الخضوع للسلطة غير الشرعية وخلق موقف يتسم بالشرعية فى مناطق الاحتلال .

وإسرائيل تحاول أن تثبت الأوضاع الناتجة عن العدوان بالاستمرار فى الحصول على مزيد من الأسلحة الأمريكية والتأييد الأمريكى الذى أعلن أنه يمنح لها لغرض الدفاع . والدفاع هنا ــ بغير جدال ــ يقصد به الدفاع عن مناطق الاحتلال ومكاسب العدوان ..

وتثبيت إسرائيل للأوضاع الناتجة عن العدوان يقصد به :

١ ــ تأمين إسرائيل ومستقبل إسرائيل .

٢ ــ تحقيق أكبر قدر من مكاسب العدوان .. التى تمثل إحدى خطوات إسرائيل فى تحقيق حلمها المعروف : « إسرائيل الكبرى » .

وخطة إسرائيل تبدو لنا واضحة . ووسائل تحقيقها خطوة خطوة .. كانت تحشد دائما من أجل تنفيذ الجزء المناسب لما تملك إسرائيل من وسائل .

وإذا اعتبرنا الهدف النهائى لإسرائيل هو إسرائيل الكبرى ،

فإننا نرى أن إسرائيل لم تقفز مرة واحدة إلى هدفها . وإنما استمرت تسعى إلى تحقيقه على خطوات يمكن ترتيبها كالآتى :

١ ـــ الوجود الإسرائيلى : بعدوان ١٩٤٨ وطرد العرب .

٢ ـــ استمرار التهجير لشغل الأرض المحتلة وتعميرها .

٣ ـــ محاولة تأمين إسرائيل وتثبيت وجودها فى المنطقة وضمان مستقبلها . بعدوانين أولهما عام ١٩٥٦ وثانيهما عام ١٩٦٧

٤ ـــ محاولة التوسع العدوانى وكسب مزيد من الأرض وتنشيط حركة التهجير فى سبيل بسط رقعة إسرائيل بحيث تتسع شيئا فشيئا لتصل إلى حدود إسرائيل الكبرى . وفى كل عدوان استطاعت أن تكسب شيئا . كسبت النقب عام ١٩٤٨ ومضيق تيران عام ١٩٥٦ واحتلال الأراضى التى احتلتها من البلاد العربية للمساومة على تأمين إسرائيل مع كسب مناطق جديدة شرعت إسرائيل فعلا فى ضمها .

ولقد كانت وسيلة إسرائيل فى تنفيذ خططها .. القوة المسلحة .

وكل هذا الذى ذكرته لا يحمل معلومات جديدة حتى أحاول أن أعيد نشره . ولكنى فقط أذكره لكى أقارن بينه وبين خطط العرب لمواجهة إسرائيل ووسائلها فى تنفيذ هذه الخطط .

إذا وضعنا لأنفسنا هدفا كبيرا مقابل هدف إسرائيل فى إنشاء دولة إسرائيل الكبرى . فلا شك أن هذا الهدف هو إعادة وجود فلسطين العربية . وإنهاء الوجود الإسرائيلى المبنى على إقامة دولة عنصرية عدوانية تمارس العدوان والتفرقة العنصرية وتشكل رأس جسر للاستعمار فى البلاد

العربية يهدد وجودها وأمنها وتقدمها .

وإذا كانت إسرائيل تهدف إلى إنشاء إسرائيل الكبرى فمن حق العرب أن يهدفوا إلى إعادة فلسطين العربية التي يعيش فيها كل المواطنين الفلسطينيين الذين نشأوا فى فلسطين سواء كانوا مسلمين أو مسيحيين أو يهودا يجمعهم وطن واحد ويتساوون فى الحقوق والواجبات . بلا تفرقة دينية أو تميز عنصرى .

ذلك هو الهدف الأكبر وهو هدف عادل طبيعي بعد أن اغتصب اليهود من شتى أنحاء العالم ممتلكاتهم وسلبوا وطنهم .

والهدف لا يمكن أن يكون محل مناقشة . ولكن الخطة لتحقيقه والوسائل لتنفيذ الخطة هى التي يجب أن تناقش .. وإذا كانت إسرائيل لم تثب مرة واحدة لتواجه العالم بأنها تريد أن تحقق وجود إسرائيل الكبرى .. لأنها لا تملك الوسائل لها .. بل أخذت تتقدم خطوة خطوة فى تحقيق هدفها بقدر ما تملك من وسائل . فإن من الطبيعي أن نتقدم نحن إلى هدفنا أيضا خطوة خطوة وبقدر ما نملك من وسائل .

لقد أصررنا دائما أنه ليس أمامنا ما نفعل أقل من الوثب إلى الهدف . وهو إعادة الوطن الفلسطينى وإنهاء الوجود الإسرائيلى دون وضع خطة كاملة تيسر لها الوسائل التى نملكها لتنفيذ هذه الخطة أو جزء منها .

بل لو سألنا أنفسنا ماذا يمكن أن نفعل لو قدر لنا أن نصل إلى تل أبيب . ودمرنا كل ما تملك إسرائيل من قوات مسلحة ؟

نجد السؤال محيرا ؟

ماذا نفعل بالمليونى يهودى الذين يحتشدون فى إسرائيل ؟

لقد كانت المسألة سهلة لو أن إسرائيل ما زال بها النصف مليون يهودى الذين كانوا بها قبل ١٩٤٧ وكان من الممكن أن نعيد العرب إلى أراضيهم وننشىء دولة فلسطينية عربية يمارس فيها كل مواطن حقه أيا كان دينه .

ولكن الآن إسرائيل يشغلها ٢ مليون يهودى .. (تحاول السلطات الإسرائيلية زيادتهم بشتى وسائل الإغراء فى التهجير) فما العمل فى هؤلاء .. المليونى بشر الموجودين فى الأرض الفلسطينية هل يعاد ترحيلهم إلى بلادهم .. هل نقذف بهم فى البحر ؟

هذه مشكلة أحسن التصورات .

ولقد أعلن السيد يحيى حموده فى تصريحه لجريدة لموند (والذى قيل إنه نقل محرفا) .. شكلا واضحا .. للهدف الكبير .. وهو إيجاد الدولة الفلسطينية العربية .. التى يمكن أن تتسع حتى لهؤلاء الذين جاءوا بعد عام ١٩٤٨ والذين يمكن أن يعيشوا إلى جانب العرب ليمارسوا حق المواطن فى مساواة تامة .

ومن قبل ذلك .. لم يكن أحد يجرؤ على أن يحدد أو يصرح .. بماذا يمكن أن يكون عليه شكل الهدف الأكبر إذا أمكن تحقيقه .

وتحقيق الهدف الكبير وهو إعادة فلسطين العربية التى تتسع لكل المواطنين وإنهاء الوجود الإسرائيلى والقضاء على الصهيونية يحتاج إلى وضع خطة كبيرة .. ويحتاج كما قلت إلى تحديد الوسائل القادرة على تنفيذ هذه الخطة . سواء كانت وسائل سياسية أو اقتصادية أو عسكرية .

ولكن الذى يحدث هو أننا لا نعرف سوى شيء واحد .. هو أننا نريد تحقيق هذا الهدف فقط . ثم ننطلق .. فى جهود مشتتة .. لكى نصل إلى تحقيقه بلا خطة محددة وبلا وسائل لتنفيذ الخطة .

وإذا استعرضنا الموقف المقابل لما هو موجود فى إسرائيل وجدناه باختصار وبساطة يتلخص فيما يلى :

١ — أراض محتلة من مصر وسوريا والضفة الغربية لنهر الأردن غير الأراضى الأصلية التى سبق احتلالها من فلسطين .

٢ — المقاومة الشعبية المسلحة تشتد فى الأراضى المحتلة .

٣ — القوة المسلحة فى الجمهورية العربية المتحدة قد عادت إلى أفضل مما كانت عليه قبل العدوان وهى قادرة على صد أى هجوم وتواصل استعدادها لكى تملك القدرة على استعادة الأرض المحتلة بالهجوم إذا لم يكن هناك — وهو ما يبدو حتى الآن — سبيل غيره .

٤ — الدول العربية تقوم بالدعم الاقتصادى الذى أقره مؤتمر الخرطوم لكى تواصل البلاد المعتدى عليها قدرتها على مقاومة أى ضغط اقتصادى والصمود أمام أى نوع من الضغوط .

٥ — قرار مجلس الأمن يتأرجح به تاريخ هنا وهناك فى عجز واضح عن الوصول إلى حل سياسى للمشكلة .

٦ — العجز عن عقد مؤتمر قمة عربى . سوريا تريد الهجوم والسعودية تريد الدراسة ..

٧ — اللجنة الثلاثية للمصالحة عاجزة عن التوفيق بين طرفى الخصومة فى اليمن .

٨ — وزير الخارجية المصرية يزور البلاد العربية للدراسة وتبادل وجهات النظر . والقيام بما لم يقم به مؤتمر القمة الذى لم يعقد .

والصحافة تعرض خطورة الموقف وخطورة ما تقوم به إسرائيل من محاولات لقطف ثمار العدوان وتناقش الحلول التى تتلخص فيما يلى :

١ — محمد حسنين هيكل يلح على ضرورة العمل العربى المشترك وعلى أهمية دور مصر ومسئوليتها فيه وعلى ضرورة وضع صيغة ملائمة وأسلوب صحيح للعمل العربى المشترك .

٢ — فى رأى للأهرام يرى الأهرام ضرورة التعجيل بتوحيد قوى المقاومة الفلسطينية وفى رأى آخر يرى ضرورة وضع القضية فى يد الشعوب وأن على السلطات الحاكمة أن تطلق الطاقات النضالية العظيمة للشعوب العربية .

٣ — وكتب إحسان عبد القدوس يقول إن الواقعية هى أساس التفكير السليم ولكن الاعتراف بالواقع يجب أن يكون نقطة ارتكاز للانطلاق إلى تحقيق واقع أفضل والوصول إلى مصالح أكبر . وأنه يجب أن ينبع من تفكير دراسى علمى ولا ينطلق من الهزيمة ولا يتنازل عن حق ولا يتجاهل المستقبل ويراجع ولا يتراجع .

٤ — وأحمد بهاء الدين قد كتب رأية فى أن الفلسطينيين يجب أن يكونوا لفلسطين قبل أن تكون فلسطين للفلسطينيين . وأكد بوجوب إنشاء الدولة الفلسطينية أيا كان شكلها ملكية أو جمهورية لتضم جميع الفلسطينيين الذين يكونون فلسطين التى يمكن أن تكون المنطلق لا ستعادة الوطن السليب لإيجاد فلسطين العربية الكبرى .

٥ — وفتحى غانم يرى أن المهمة العاجلة التى تواجهنا تتطلب فى المقام الأول الإعداد العملى والمواجهة العملية المباشرة للعدوان عن طريق الحل السياسى أو عن طريق الحل العسكرى . وبعد أن تحقق هدف إزالة العدوان علينا أن نفكر فى حل أساسى للعلاقات العربية فى إطار مبدأ الوحدة العربية والتحرر العربى .

٦ — ويرى موسى صبرى فى الأخبار أن معالجة الموقف لا تحتمل أكثر من مسيرتين .. مسيرة صادقة نحو سياسة موحدة فى كفاح طويل المدى يحتاج إلى التخطيط العلمى الدقيق . ومسيرة تواجه مرحلة التهديد القائم على أساس من حقيقة القدرات المختلفة وهى قدرات ضخمة لو أحسن استعمالها .

٧ — ويرى أحمد حمروش فى روز اليوسف أن الجماهير تعيش مرحلة انتظار وترقب للحل السياسى الذى يمكن أن تسفر عنه الاتصالات مع يارنج كما تنتظر الجديد فى العمل العربى المشترك من ناحية التعاون الإيجابى فى أى عمل عسكرى محتمل كما ترتقب تطورا حقيقيا فى قواتنا المسلحة

لتكون دائما فى مستوى المعركة .

* * *

ولا جدال فى أن كل هذه الآراء تكون رصيدا ثمينا يعيننا على التفكير فى كيفية مواجهة الخطر الذى يحدق بنا .

ولكنى أشعر مع كل هذا أننا نعيش فى دوامة ترقب وقلق .. وأنه ليس هناك شيء صلب محدد الكيان يمكن أن نواجه به الخطر .

* * *

وعندما انتهى مؤتمر الخرطوم إلى ثلاثة تأكيدات يمكن أن نواجه بها الخطر هى : لا صلح مع إسرائيل ، لا مفاوضة مع إسرائيل ، لا اعتراف بإسرائيل .

أحسست أنها ثلاثة محظورات .. يجب ألا نقع فيها .. دون أن يكون هناك ما يقابلها من خطوات محددة إيجابية لمقاومة الخطر ودرئه .. ولإنقاذ الأرض واستعادة الحقوق الضائعة .

ليس أمامنا شيء محدد إلا الهدف البعيد الذى نؤكده جميعا وهو استعادة شعب فلسطين لوطنه السليب والهدف القريب وهو إزالة آثار العدوان ، ويتحتم علينا عندما نفكر فى تحقيق أهدافنا هذه أن نضع الخطة ونوجد الوسائل .

وليس هناك خطة يمكن أن توضع دون أن تكون مرتبطة ارتباطا كاملا بوسائل تنفيذها .

فالخطة توضع لتحقيق هدف .. ولكنها تقوم على الوسائل المتيسرة .

وإذا لم تكن الوسائل كافية .. فيجب أن يحدد الهدف الجزئى الذى يمكن تحقيقه بالوسائل الممكنة .. فى الوقت الذى يوضح فيه التخطيط اللازم لإعداد الوسائل الكاملة وحشدها من أجل تنفيذ الخطة اللازمة لتحقيق الهدف الأكبر .

ومن كل ما قاله الكتاب وفكر فيه المفكرون .. ومن كل التجارب التى مرت بنا .. يبدو أن هناك حقيقة واحدة .. هى أن مواجهة إسرائيل .. وتحقيق الهدف العربى .. يجب أن يكونا بعمل عربى مشترك .. مبنى على وحدة القوى العربية .. ولكن لا يمكن أن تترك المسألة مطلقة بغير تحديد .. بل يجب أن تحدد مراحل للخطة حسب الإمكانيات يحقق بها الأهداف الجزئية .. التى توصل للهدف الأكبر .

لأننا لا نستطيع الآن .. ومرة واحدة .. أن نحدد للعمل العربى المشترك المتيسر حاليا هدف إنقاذ فلسطين .. والقضاء على الصهيونية .. رغم أن هذا هو الهدف النهائى .

ولكن يجب أن نحدد حسب ما ييسره العمل العربى المشترك الآن .. ما يمكن تحقيقه به .. فى الوقت الذى نحدد الخطوات اللازمة .. لإنماء العمل العربى المشترك بحيث يصل فى النهاية إلى القدرة على تحقيق الهدف النهائى .. ولو بعد مائة عام .

يجب أن تكون الخطوات الموصلة للهدف النهائى واضحة .. ويجب أن تكون وسائل الوصول إليها محددة .. حسب قدرتنا العربية التى يمكن حشدها بالعمل المشترك .

يجب ألا نطلق القدرات مبعثرة .. حسب ما يمليه الحماس .. ووراء الأمانى البعيدة .. التى لا يمكن لقدراتنا تحقيقها .

إن هذا مصيرنا .. وإذا كنا فى أقل منه نضع التخطيط العلمى الذى يهيىء لنا الإمكانيات لتحقيق الخطة .

فكيف لا نضع التخطيط للمصير الذى يواجه الأمة العربية كلها .

يجب علينا أن نملك الشجاعة لمواجهة الناس .. وإذا كنا نقول للشعب .. فى مسائله العادية لا يمكن أن نحقق كذا .. لأننا لا نملك إلا كذا ، فيجب أن نواجه الشعب العربى كله .. لنقول له سنفعل كذا لأننا

لا نملك إلا كذا .. وسنبنى الامكانيات لكى نحقق كذا وكذا ..

إننا نملك الامكانيات الكبرى .. ونملك الصبر .. ويجب أن نملك الشجاعة لمواجهة أنفسنا قبل أن نواجه الآخرين .

٢٤ يناير ١٩٦٨

الطريق مسدود أمام الحل السياسى

تعرضت إسرائيل لعملية إخراج السفن المحتجزة بالسلاح .

ومنذ أن وجدت إسرائيل وهى تفرض وجودها بالسلاح .

والسلاح قد يكون وسيلة مؤقتة لفرض وجودها لزمن ما .. ولكنه لن يكون أبدا الوسيلة الطبيعية لفرض وجود طبيعى بصفة دائمة .

فالقدرة على العدوان المستمدة من قوة البطش لم تكن لها أبدا فى حياتنا صفة الدوام .. حتى تصبح أسلوبا لفرض وجود دائم .. فقوة البطش فى الكائنات وفى المجموعات .. ظاهرة تتصاعد حتى تصل إلى قمتها ثم تنحدر حتى تصل إلى نهايتها .. تشهد بذلك الحياة البسيطه للأفراد .. التى تبدأ بالولادة وتنتهى بالموت .. الذى يكون خاتمة لبطش أى فرد مهما تصاعدت به قوته إلى قمة الجبروت والعدوان ، وكذلك يشهد تاريخ الأمم بأن بطشها المعتمد على القوة إنما هو مرحلة من مراحل التاريخ طالت أم قصرت لا بد أن تنتهى بانحدار القوة الباطشة حتى تصل إلى الانحلال والذوبان .. وتاريخ الإمبراطوريات الباطشة يقدم الدليل الواضح على أن القوة موجة مهما علت فهى لا تلبث حتى تنحسر على شاطئ الزمن تتساوى فى ذلك الإمبراطوريات القديمة والحديثة منذ الإمبراطورية الرومانية .. والفارسية .. حتى النازية والبريطانية .

وإذا كان التاريخ قد حكم على إمبراطويات القوة بالزوال .. فإن إسرائيل لم تصل إلى مرتبة إمبراطوريات القوة .. وإنما هى مجرد ذنب .. لا يملك قوته الذاتية .. إلا من قوة سيده فإسرائيل تعتمد فى وجودها .. على قوة البطش الأمريكى .. وحتى هذه القوة .. لم يعد تاريخنا الحديث

يمهلها .. كما أمهل التاريخ سواها فيما غبر من الزمن .. ولا عاد لها قوة البطش المطلقة التى كانت تملكها قوى العدوان السابقة .. فأمريكا .. اليوم .. وهى فى أوج قوتها .. قد مرغ أنفها الشعب الفيتنامى فى التراب واحتل سفارتها ومراكز قيادتها والمدن التى تسيطر عليها .. وجعل الجنود الأمريكيين يفرون كالأرانب .

وتلك هى القوة التى تستمد منها إسرائيل قدرتها على العدوان .. قوة ليست مستمرة بحكم النظام الطبيعى للوجود .. وهى مع ذلك يمرغ أنفها فى التراب شعب لا يملك غير الإيمان بوجوده والتصميم على انتزاع حريته .

ولقد ردت القوات المصرية المسلحة .. على آخر بلطجة إسرائيلية ردا عنيفا وأدبتها جيدا .. بما يؤكد لإسرائيل .. أن القوة يمكن أن تجد قوة تقابلها و تفوقها .. لكى تبطل مفعولها .. وتمنعها من فرض إرادتها .

والدرس المستفاد من حركة إسرائيل الأخيرة .. هو أن إسرائيل .. لا تريد حلا سياسيا .. بمعنى التفاهم السياسى ولكنها تريد أن تفرض ما تريد بقوة السلاح .. أو التهديد به .. والتفاهم فى هذه الحالة لا يمكن أن يكون إلا .. بنفس الأسلوب أسلوب الرد بالسلاح أو التهديد به ..

ولقد أمضى مبعوث الأمم المتحدة كل هذه الفترة التى أمضاها متجولا فى الشرق الأوسط .. وهو يوشك أن ينهى مهمته هذا الأسبوع وهو مقتنع بأن مهمته تكاد تكون مستحيلة وأن محاولته فى تنفيذ قرار مجلس الأمن لم تحرز أى نجاح .. ولقد استغرقت مهمة يارنج حتى الآن ما يربو على الشهرين ونصف الشهر ، وكان مجلس الأمن على وشك أن يحدد مهمته بمدة شهر ولكنه منحه فرصة مفتوحة حتى يواصل جهوده .. لعلها تثمر فى النهاية .. والذى يبدو أن القرار الذى يحمله يارنج .. لا يطلب شيئا إيجابيا من العرب .. بحيث يمكن أن يكون امتناعهم عن فعله عقبة فى سبيل

تنفيذه .. وإنما أول ما يطلب القرار فى أولى فقراته هو انسحاب القوات الإسرائيلية من المواقع التى تمكنت من احتلالها يوم ٥ يونيه .

وانسحاب إسرائيل .. لا يتطلب شيئا من العرب .. وإنما يتطلب من إسرائيل أن تقوم به وحدها ولو أنه تطلب عملا ايجابيامن العرب لما كان هناك من حاجة إلى يارنج .. ولا إلى قرار مجلس الأمن .. لأن العرب سيقومون به .. عندما .. تكمل العدة له .. ولا يكون أمامهم غيره .

وإذن فإسرائيل هى التى عليها أن تقوم بشىء إيجابى لتنفيذ قرار الأمم المتحدة ولكن إسرائيل أصرت على ألا تقوم بأى عمل سوى التفاوض المباشر مع العرب .:. وهو أمرِ مع التسليم بأنه مستحيل من وجهة نظر أى عربى .. فإنه أيضا لا وجود له فى القرار الذى يحمله جونار يارنج .

وإسرائيل بذلك تريد أن تفرض إرادتها .. لا أن تتفاهم .. وهى تريد أن تفرض إرادتها بقوة العدوان الذى قامت به فى ٥ يونيو .. وإرادتها ليست مجرد .. تأمين وجودها .. بل عمليات نهب فى شتى الأراضى العربية .. تمارس الآن فعلا .. بكل ما تملك إسرائيل من أساليب العنف والقوة .. وتشريد العرب وتدمير ممتلكاتهم وطردهم من أراضيهم .

* * *

وبعد ..

نعود مرة أخرى .. لنقول كما قلنا فى كل مرة نطرق هذا الموضوع .

يجب أن يحشد العرب كل ما لديهم من قوة حالية .. يجب أن توضع خطة موحدة لمواجهة إسرائيل .. بالقوات المسلحة .. لأن إسرائيل تعتمد على القوة المسلحة فى ضربنا وفى فرض إرادة النهب لممتلكاتنا والسيطرة على أراضينا .

* *

لا يكفى أن تصل القوة المسلحة المصرية إلى ما كانت عليه .. ولا

يكفى أن نستمر فى التدريب حتى نصل إلى مرحلة القدرة على الهجوم فليست مصر وحدها هى التى تتعرض لعدوان إسرائيل .. ولكنهم العرب جميعا .. فيجب أن يحشد كل بلد عربى كل ما يستطيع من قوة مسلحة ويجب أن يصل بتدريبها إلى أقصاه .

ولا يكفى هذا ..

لا يكفى أن يكون كل جيش قويا مدربا قادرا بمفرده .

ولكن يجب أن تكون الجيوش العربية كلها قوة واحدة توضع فى خطة واحدة .. وتتحرك لهدف واحد ، فعندما يتهم العرب بأن ٢ مليون إسرائيلى هزموا مائة مليون عربى .. يجب أن ينصف العرب أنفسهم فيضعوا قدرة المائة مليون عربى فعلا فى مواجهة الـ ٢ مليون إسرائيلى .

ولن يكون هناك سبيل لردع إسرائيل إلا حشد قوى العرب المسلحة وتنميتها وتدريبها إلى الحد الذى يجعلها قادرة على الحركة العسكرية الموحدة .. والعمل الحربى المشترك.

إن إسرائيل .. فى كل ما تفعل فى مواجهتنا .. تقيم قدرتها على القوة المسلحة .

ولن يكون هناك سبيل لمقاومتها إلا بالقوة المسلحة .. استعمالا .. أو تهديدا .

إن العرب لا يؤمنون بالقوة المسلحة كمظهر للوجود .. لأن حضارتهم أعرق وتاريخهم أعرق وتاريخهم أعظم من أن يعتمدوا فى وجودهم على قوة أسلحة .

ولكن عندما يهدد مصيرهم بالقوة المسلحة .. لا بد أن تكون لديهم القوة المسلحة الكافية لمواجهة هذا التهديد .

وإذا كانت إسرائيل تنتفخ غرورا وتمنح لنفسها موقف المتعالى الذى يملى الشروط بمحاولة فرض التفوق العسكرى .. ولانتصارها فى معركة من

المعارك .. فإن كرامة العربى .. ومصيره .. ومستقبل أجياله القادمة .. تحتم عليه أن يسترد كرامته وأرضه وعزته .. بمواجهة عسكرية .. تلوى عنق إسرائيل .. وتخفض رأسها .

إن هذا من حق العرب على أنفسهم .. ومن واجبهم نحو أجيالهم القادمة .

٧ فبراير ١٩٦٨

لكى لا نبدأ .. من الصفر

أبدأ الحديث بجملة وردت فى مقال الأستاذ محمد حسنين هيكل الأسبوعى عن الجامعة العربية وعجزها — بأوضاعها التى هى عليها — عن أن تكون المجال الصحيح الذى نستطيع فى نطاقة تحقيق ما تتطلبه الظروف من عمل عربى مشترك .

والجملة تدلل على أحد مظاهر العجز الذى يشل الجامعة وأجهزتها .. وهى « لا بحث داخل الجامعة له قيمة ولا فكرة تلمع ولا تحرك يستطيع أن يشد أى انتباه » .

ولقد قال الأستاذ هيكل فى مقدمة مقاله « إن هناك اعتقادا شائعا يلقى اللوم كله فى هذا العجز على الجامعة نفسها أو بمعنى أدق على الأمانة العامة للجامعة وذلك فى ظنى ليس دقيقا كل الدقة إلى جانب أنه مبالغة فى تبسيط الأمور .. إن جامعة الدول العربية تتحمل بغير شك جزءا من المسئولية ولكن من الإنصاف أن نقول إن المسئولية الأكبر بعيدة عنها وهى من صنع غيرها » .

وأعفى الأستاذ هيكل أمانة الجامعة من المسئولية الأكبر عندما لخص تحليله للتناقضات التى مرت بها الجامعة بأنها لم تعد حشدا لكل ما هو عربى وإنما أصبحت حشدا لكل ما هو سلبى .. وأنها لم تعد محصلة عملية جمع للطاقات العربية وإنما أصبحت محصلة عملية طرح لهذه الطاقات بعضها يلغى فعل بعضها الآخر ووجوده .

ولكنه لم يعف الأمانة من المسئولية الأكبر التى هى من صنع غيرها .

وعدد المفارقات التى أساءت إلى صورة الجامعة — رغم تضاؤل

دورها — وهى أن المغرب العربى لم يمثل بمسئول واحد وأن السعودية لها موظف غير موجود ومسئولو الإدارات لا علاقة لهم بالمسئوليــة وأن مكاتب الجامعة فى الخارج أضحوكة .

ثم آخر هذه المفارقات ما ذكرته فى أول الحديث من أنه :

« لا بحث داخل الجامعة له قيمة ولا فكرة تلمع ولا تحرك يستطيع أن يشد أى انتباه » .

ولست أظننى سأضع نفسى موضع المدافع عن أمانة الجامعة . لأنى أعتقد أنه إذا كان هناك دفاع عنها فلست أنا الذى أملك أسبابه .. إذا وجدت .

ولكنى فقط أشعر أن تسليمنا بأنه لم يحدث فى الجامعة تحرك يستطيع أن يشد أى انتباه .. يجعلنا نبدأ من الصفر إذا أردنا التحرك نحو عمل عربى مشترك .. بينما هناك قاعدة للانطلاق ساهمت فى وضعها جهود عربية مخلصة قادرة .. وأن بعض ما اقترح الأستاذ هيكل القيام به فى المجال العربى المشترك فى المرحلة الثانية قد وضعت أسسه فعلا وتحول إلى اتفاقيات أمضتها بعض الدول العربية ، وأن التوقف عن تنفيذها لا يمكن أن ترجعه إلا إلى العلة الحقيقية فى قصور كل عمل عربى مشترك وهو التناقصات التى كانت تشمل البلاد العربية والتى قال عنها الأستاذ هيكل إنها جعلت الجامعة العربية حشدا لكل ما هو سلبى بدلا من أن تكون حشدا لكل ما هو عربى .

وإذا اعتبرنا قرار مؤتمر الرؤساء العرب فى دورته الثانية بلورة لجوهر العمل العربى الموحد :

« إن المجلس يوجه عناية خاصة إلى دعم التعاون الاقتصادى العربى وتنفيذ الاتفاقية الخاصة به بوصفه الأساس الأول للقوة والتقدم العربيين وللمقدرة على مواجهة التحديات الأجنبية فضلا عن أنه الهدف الأول

للتجمعات الدولية المعاصرة » .

وإذا اعتبرنا ما قاله الرئيس جمال عبد الناصر عن أهمية العمل العربى الموحد تأكيدا لدور الوحدة الاقتصادية فى العمل العربى المشترك :

« نحن نعتقد أن نظاما عربيا جديدا يمكن أن يولد يعطى العالم العربى دفعة كبيرة فى عصر التجمعات الاقتصادية الكبيرة فى هذا العصر وما تقتضيه ظروفه من مطالب التكنولوجيا والموارد المنسقة والأسواق المفتوحة .. إن الدول العربية لا تستطيع أن تحقق أهداف نموها بالسرعة الواجبة وكل منها على انفراد وفى عزلة عن الباقين » .

ولقد حدث تحرك من الجامعة العربية فى هذا السبيل الحيوى الخطير .. وإذا كان هذا التحرك لم يشد انتباه أحد . فالمسئولية لا تقع على من قام بالتحرك .. وإنما على من استطاعوا أن يجمدوا الحركة .. بحيث تصبح هى والعدم سواء :

* أول هذه التحركات فى عام ١٩٥٣ حيث وضعت اتفاقية تسهيل التبادل التجارى وتنظيم تجارة الترانزيت بين دول الجامعة العربية .

وافق المجلس الاقتصادى عليها فى دور انعقاده الرابع ووقعت عليها كل من الأردن وسوريا والسعودية ومصر واليمن والعراق ولبنان .. وهى تقضى بتسهيل تبادل الإنتاج الزراعى والحيوانى والثروة الطبيعية والإنتاج الصناعى .

* وثانيها اتفاقية تسديد مدفوعات المعاملات الجارية وانتقاء رءوس الأموال فى نفس العام ، وصدقت عليها نفس الدول وهى تعمل على تسهيل تمويل مدفوعات المعاملات الجارية وانتقال رءوس الأموال العربية للمساهمين فى مشاريع الإعمار مع عدم خضوعها لأية رسوم أو ضرائب استثنائية تفرض للحيلولة دون ذلك الانتقال .

* وثالثها شركة البوتاس وغايتها استغلال أملاح البحر الميت ووقعت

عليها فى سنة ١٩٥٦ نفس الدول العربية السابقة .

* ورابعها إنشاء المؤسسة المالية العربية للإنماء الاقتصادى برأسمال ٢٥ مليون جنيه ووقعت بتاريخ ١٩٥٧ من الدول السبع السابقة مضافا إليها المملكة الليبية ودولة الكويت والغرض منها التنمية الاقتصادية فى البلاد العربية بتشجيع المشروعات الإنتاجية للحكومات والهيئات والأفراد على النمو سواء بإقراضها أو ضمان قروضها أو المساهمة فيها أو إعداد الدراسات الفنية لها ووسيلتها إلى تحقيق أغراضها :

١ — المساعدة على تمويل المشروعات الإنتاجية التى تساهم فى إنماء اقتصاديات البلاد .

٢ — العمل على توظيف رءوس الأموال الخاصة بما يحقق أفضل استغلال للإمكانيات الاقتصادية فى البلاد الأعضاء والاستعانة فى ذلك بالخبرة الفنية والإدارية .

٣ — العمل على جذب رءوس الأموال الخاصة لاستثمارها فى المشروعات الإنتاجية .

*وخامس هذه التحركات وأهمها اتفاقية الوحدة الاقتصادية بين دول الجامعة العربية .. وقد وافق عليها المجلس الاقتصادى فى عام ١٩٥٧ ووقعت عليها الأردن وسوريا ومصر والكويت والمغرب والعراق واليمن فى عام ١٩٦٢ وعام ١٩٦٣

وتقضى هذه الاتفاقية بأن تقوم بين دول الجامعة العربية وحدة اقتصادية كاملة تضمن بصورة خاصة لتلك الدول ولرعاياها على قدم المساواة :

١ — حرية انتقال الأشخاص ورءوس الأموال .

٢ — حرية تبادل البضائع والمنتجات الوطنية والأجنبية .

٣ — حرية الإقامة والعمل والاستخدام وممارسة النشاط الاقتصادى .

٤ — حرية النقل والترانزيت واستعمال وسائل النقل والموانئ والمطارات المدنية .

٥ — حقوق التملك والإيصاء والإرث .

وسبيلها إلى تحقيق هذه الأغراض :

١ — جعل البلاد العربية منطقة جمركية واحدة تخضع لإدارة موحدة وتوحيد التعريفة والتشريع والأنظمة الجمركية المطبقة فى كل منها .

٢ — توحيد سياسة الاستيراد والتصدير والأنظمة المتعلقة بها .

٣ — توحيد أنظمة النقل والترانزيت .

٤ — عقد الاتفاقات التجارية واتفاقات المدفوعات مع البلدان الأخرى بصورة مشتركة .

٥ — تنسيق السياسة المتعلقة بالزراعة والصناعة والتجارة الداخلية وتوحيد التشريع الاقتصادى بشكل يكفل لمن يعمل من رعايا البلاد المتعاقدة فى الزراعة والصناعة والمهن شروطا متكافئة .

٦ — تنسيق العمل والضمان الجماعى .

٧ — (ا) تنسيق تشريع الضرائب والرسوم الحكومية والبلدية وسائر الضرائب والرسوم الأخرى المتعلقة بالزراعة والصناعة والتجارة والعقارات وتوظيف رءوس الأموال بما يكفل مبدأ تكافؤ الفرص .

(ب) تلافى ازدواج الضرائب والرسوم على المكلفين من رعايا الدول المتعاقدة .

٨ — تنسيق السياسات النقدية والمالية والأنظمة المتعلقة بها فى بلدان الأطراف المتعاقدة تمهيدا لتوحيد النقد بها .

٩ — توحيد أساليب التصنيف والتبويب الإحصائية .

وتنفيذا لأحكام اتفاقية الوحدة الاقتصادية بين دول الجامعة العربية ورغبة فى تحقيق التقدم الاجتماعى والازدهار الاقتصادى وإرساء دعائم

الوحدة الاقتصادية المتناسقة المستمرة ورغبة فى تحقيق التكامل الاقتصادى بين البلاد العربية وتوحيد الجهود لتحقيق أفضل الشروط لتنمية ثرواتها ورفع مستوى المعيشة وتحسين ظروف العمل.. أنشئت السوق العربية المشتركة التى تهدف إلى إطلاق حرية تبادل المنتجات الزراعية والحيوانية والثروات الطبيعية والمنتجات الصناعية فى البلاد العربية .

* وسادس هذه التحركات فى سبيل عمل عربى موحد هو اتفاقية تنسيق السياسة البترولية عام ١٩٦٠ التى تعمل على إصدار قانون موحد خاص باستغلال البترول ومشتقاته يضمن المبادئ الأساسية لتنظيم علاقات الحكومات بشركات الامتياز فى جميع النواحى كما تعمل على أن تكون الأفضلية فى منح امتيازات استغلالات جديدة للزيت فى البلاد العربية للشركات العربية الخالصة وعلى أن يكون مرور أنابيب الزيت العربى ومشتقاته فى بلاد عربية كما أنها لا تنتهى أو تصب إلا فى موانىء عربية .

* وسابع هذه التحركات التى لم تستطع أن تشد انتباه أحد وهى نفسها أحد مقترحات الأستاذ هيكل فى « المرحلة الثانية » هو إنشاء مؤسسة الخطوط الجوية العربية العالمية برأسمال ١٧ مليون جنيه استرلينى . التى وقعت عليها ست دول عام ١٩٦١ والغرض منها توحيد جهود البلاد العربية فى ميدان الطيران المدنى التجارى والعمل على ازدهار صناعة الطيران ولزيادة التعاون الاقتصادى فيما بينها وبين البلاد الأخرى .

ووسائلها فى تحقيق أغراضها هى :

١ ــ تسيير خطوط منتظمة عالمية بعيدة المدى وخطوط متوسطة المدى واقعة على طرق الخطوط البعيدة المدى وأية خطوط أخرى تحصل عليها المؤسسة .

٢ ــ شراء وبيع وتأجير واستئجار الطائرات وقطع الغيار والمعدات الأخرى وصناعتها والقيام بأعمال الصيانة .

٣ ـــ القيام بأعمال الوكالة الأرضية والتجارية والفنية لخطوط الطيران العربية والأجنبية .

٤ ـــ إعداد تدريب الفنيين اللازمين لأعمال هذه المؤسسة أو لغيرها .

٥ ـــ القيام بسائر العمليات المتصلة بصورة مباشرة أو غير مباشرة باستثمار النقل الجوى العالمى .

كما وقعت فى عام ١٩٦٣ اتفاقية حرية الطيران عبر البلاد العربية دون هبوط وحرية الهبوط فى مطاراتها الدولية لأغراض تجارية للطائرات المدنية العربية .

* وثامن هذه التحركات التى قامت بها الجامعة العربية هو إنشاء الشركة العربية للملاحة البحرية برأسمال ٥ ملايين جنيه فى أواخر عام ١٩٦٣ والغرض منها القيام بجميع عمليات الملاحة والنقل للأشخاص والبضائع والبترول برا وبحرا وقبول التوكيل عن شركات الملاحة والنقل وأعمال التأمين والإنقاذ والعمولة والتحويل والتخليص على البضائع وتستيفها والتخزين والتطهير وكذلك شراء واستغلال وبيع وإيجار واستئجار وتهيئة جميع أنواع السفن والمراكب والمهمات العائمة ومهمات النقل .

* وتاسع هذه التحركات هو إنشاء الشركة العربية لناقلات البترول عام ١٩٦٣ برأسمال قدره ٣٥ مليون جنيه استرلينى بغرض تنسيق السياسة البترولية وأغراضها :

١ ـــ القيام بجميع عمليات النقل البحرى للبترول الخام ومنتجاته ومشتقاته وتصريفه .

٢ ـــ شراء واستغلال وبيع وإيجار واستئجار وسائل النقل البحرى المتعلقة بنقل البترول .

٣ ـــ شراء واستئجار الأراضى اللازمة لإقامة الموانئ والأحواض

والمستودعات .

٤ — شراء وبيع البترول الخام ومنتجاته .

* وآخر هذه التحركات (وهو أحد مقترحات الأستاذ هيكل فى المرحلة الثانية أيضا) هو اتفاقية التعاون العربى فى استخدام الطاقة الذرية فى الأغراض السلمية عام ١٩٦٥ ، بإنشاء المجلس العلمى العربى المشترك لاستخدام الطاقة الذرية فى الأغراض السلمية ، الذى يهدف إلى تنمية المجتمع العربى بما يؤدى إلى رفع مستوى المعيشة للشعوب العربية ومسايرة التقدم العلمى فى ميدان الطاقة الذرية وذلك بالوسائل الآتية :

١ — العمل على تقدم البحوث العلمية فى الطاقة الذرية .

٢ — العمل على الكشف عن الخامات الذرية واستخراجها من الدول العربية .

٣ — توفير رصيد دائم فى البلاد العربية من المواد الذرية .

٤ — إقامة المشروعات التى تهدف للاستفادة من الطاقة الذرية ..

هذه هى تحركات الجامعة العربية فى المجالات الحيوية والتى يمكن أن ينبع منها نظام عربى جديد يعطى العالم العربى — كما قال الرئيس عبد الناصر — دفعة قوية فى عصر التجمعات الاقتصادية الكبيرة وما تقتضيه ظروفه من مطالب التكنولوجيا والموارد المنسقة والأسواق المفتوحة .

ولست أظن أن هذه التحركات — التى لم تشد أى انتباه — قد نبتت هكذا فجأة دون أن يكون وراءها بحث له قيمة .. أو فكرة تلمع .

ومع ذلك . ليس هذا هو المهم . فسواء شدت هذه التحركات أى انتباه أو لم تشده .. وسواء خلت من البحث والأفكار اللامعة .. أو لم تخل .. وسواء أنصفت الأمانة العامة للجامعة العربية .. أو لم تنصف (فالمنصف هو الله) .

فالذى يهم حقيقة .. هو السؤال الحائر :

لماذا لم تفلح كل هذه الحصيلة الضخمة من الاتفاقيات فى أن تدفع إلى عمل عربى مشترك ؟

والرد لا أظنه يحتاج إلى كثير من جهد أو تفكير .. بل هو ببساطة .. لأنه لم يكن هناك .. صفاء .. أو حسن نية .

ليست المشكلة الحقيقية هى أنه ليس هناك بحث ولا فكرة تلمع ولا تحرك يشد الانتباه .

بل هى أن بلدا عربيا .. لم يكن يطمئن لبلد عربى آخر ..

ولست أظن هذا وقت نبش رفات الماضى .. لأن الصفاء فعلا .. قد بدأ . وليس من صالح أحد أن يعكره .. بالبحث عن أسباب افتقاده فيما مضى . ولكن الشيء الذى لا شك فيه هو أننا لن نبدأ من الصفر .. عندما تصفو النفوس .. وتملأها الثقة فى التعامل والطمأنينة فى المشاركة .

لو أننا نفضنا الغبار عن كل هذه الاتفاقيات . ودفعنا بها إلى حيز التنفيذ .. بعد أن أزلنا من أمامها ما يعوقها من عقبات .. فلن يكون الوصول إلى العمل العربى الموحد بالأمر المستعصى .

لقد أوصى مؤتمر الخرطوم بعقد مؤتمر خبراء للبحث عن وسائل لإقامة مجموعة عربية اقتصادية مشتركة ترمى إلى تحقيق التكامل الاقتصادى والاكتفاء الذاتى والوحدة الاقتصادية بواسطة المشاريع العربية المشتركة وإنشاء صندوق عربى للإنماء .

وقد انعقد المؤتمر المذكور فى الجزائر فى أكتوبر ١٩٦٧ وقرر أن الوحدة الاقتصادية العربية هى الأداة الضرورية لتقوية الكيان العربى وقد رأى أن اختلاف النظم الاقتصادية والظروف الخاصة لبعض الدول العربية قد حال دون انضمامها إلى اتفاقية الوحدة الاقتصادية وأوصى الدول التى لم تنضم إلى الاتفاقية بدراسة الموضوع مع الأمانة العامة .

وقد عقدت الأمانة العامة فى نوفمبر ١٩٦٧ اجتماعا لخبراء الاقتصاد

لدراسة الأسباب التى تحول دون انضمام بعض الدول العربية إلى اتفاقية الوحدة والعوائق التى تحول دون تنفيذها وكانت أهم هذه الأسباب هى :

١ ــ اختلاف النظم والفلسفات الاقتصادية .

٢ ــ اختلاف مستوى التنمية .

٣ ــ اختلاف هيكل التكاليف فى الإنتاج الزراعى والصناعى .

وهذه العوائق كلها يمكن إزالتها إذا حدث التنسيق الاقتصادى أو تنسيق الموارد . فمن العبث تحرير التجارة وإزالة القيود الجمركية قبل أن يحدث توزيع الصناعات والتنسيق الزراعى . بحيث لا يقع التنافس بين صناعة واحدة فى بلدين قد يختلف تكاليف الإنتاج فيهما بما يحتم على أحدهما فرض الحماية الجمركية على صناعته وبحيث تستطيع الصناعة العربية أن تعد مجالا فى أسواق الوطن العربى كله . وبحيث تصبح السوق العربية المشتركة قادرة على الوفاء الفعلى باحتياجات البلاد العربية وبحيث نتخلص من قبضة الاحتكارات العالمية التى تمسك بنا فرادى فتتحكم فى أسعار خاماتنا المصدرة وفى أسعار احتياجاتنا المستوردة دون أن نملك فرادى القدرة على المقاومة .

إن المطلوب منا هو الصفاء .

وهو ليس أمرا سهلا . بعد كل ما شاب علاقاتنا العربية من شوائب . ولكنه أيضا ليس أمرا متعذرا .. بل لقد بدأنا فيه وكل ما هو مطلوب منا أن نواصله بصبر .. وأن نخلص نوايانا بحيث نتجاوز عن رواسب الشكوك .. والقلق .. وعدم اطمئنان بعضنا إلى بعض .

ومهما اختلف النظم والفلسفات الاقتصادية فمصيرنا العربى المشترك .. يجب أن يكون فوق هذه الاختلافات . وعملنا العربى الموحد يجب أن يكون أقوى على إزالة العوائق التى تقف فى سبيله .

أن السؤال .. الآن .. هو أن نكون أمة عربية .. أو لا نكون .

والعدو الذى يواجهنا .. يواجه أمة عربية يجد فيها خصما واحدا .. ومن أجل هذا يجب أن نواجهه .. كتلة واحدة مهما كانت نظمنا وفلسفتنا .

وإذا وجد الصفاء .. وخلصت النوايا واطمأنت النفوس فلن يكون متعذرا أن توجد فورا .. شركة الطيران .. وشركة الملاحة .. وشركة ناقلات للبترول . وكل هذه الشركات التى وضعت نصوصها وأمضيت اتفاقياتها .. دون أن تملك النفوس القلقة الموجسة أن تحولها من كلمات جامدة على الورق .. إلى طائرات تشق الفضاء وسفن تمخر البحار .

إن رءوس أموال هذه الشركات يجب أن تؤمَّن بنص فى قوانين الدول العربية بما يطمئن أصحابها أفرادا وشركات ودولا بما يحقق اندفاع العمل الاقتصادى المشترك نحو تحقيق التكامل الاقتصادى فى البلاد العربية فى أقرب وقت .

ومرة أخرى ..

نحن لا نبدأ من الصفر ..

فلدينا رصيد كبير من العمل المجمد يمكن أن نطلقه من عقاله لكى يحقق نتائج حاسمة وباهرة .

فقط .. ليسود الصفاء ولتحل الطمأنينة محل الوساوس والشكوك .. ولننطلق معا فى العمل العربى الموحد .. لنخلق فى وطننا العربى .. نظاما عربيا يمكن أن يعطى العالم العربى دفعة قوية مثمرة فى عصر التجمعات الاقتصادية الكبيرة .. ويكون الأساس الأول للقوة والتقدم العربيين ويمنحهما القدرة على مواجهة جميع التحديات .. وأولها التحدى الإسرائيلى الاستعمارى ..

١٤ فبراير سنة ١٩٦٨

كلمات .. من أجل التغيير

التغيير من أجل تحقيق القدرة على الصمود والنضال والانتصار قد بات الرغبة الملحة لجماهير الشعب ..

هتف العمال فى لقائهم مع الرئيس فى حلوان « غيّر .. غير يا جمال » ..

وكانت أحداث الجامعة — كما قال الرئيس جمال — إذا ما وضعت فى إطارها السليم « ظاهرة من ظواهر الاهتمام الشعبى الواسع بالأحداث المصيرية التى نعيش وسطها والتى يجب أن تؤخذ كعلامة من علامات التصميم الشعبى على فتح الطريق أمام النضال الوطنى لكى يصل إلى غايته » .

ورغبة التغيير إذا حللنا دوافعها وجدناها تنبع — بالنسبة لنا — من سببين أولهما سبب طبيعى دائم هو أحاسيس الإنسان الطبيعية بالرغبة فى التغيير .. مما جعل مظهر الحياة نفسها يتغير من حوله سواء بتتابع الليل والنهار أو بتتابع الفصول بكل ما يتبعها من تغير مظاهر الحياة من حولنا . أو بتتابع الأجيال بالموت والولادة بحيث نكون نحن أنفسنا أحد مظاهر التغير فى الحياة .

ونحن نمارس التغيير بإراداتنا بكل ما تتيحه لنا إمكانياتنا من قدرة على التغيير .. سواء فى محيطنا الفردى أو محيط مجتمعنا .. بحيث نضع أنفسنا أو مجتمعنا بالتغيير فى مكان أفضل .

والسبب الثانى الملح فى رغبة التغيير .. هو ما أصابنا من هزيمة نتجت بالطبيعة عن علة أصيب بها جسدنا بسبب أسلوب خاطئ للحياة فتحتم

التغيير من أجل القضاء على العلة لكى نحشد قوانا ونستعيد قدرتنا على الحركة من أجل استرجاع حقنا الضائع ومواصلة السير فى سبيل تحقيق حياة أفضل .

فرغبة التغيير بالنسبة لنا إذن هى رغبة طبيعية وضرورية .

ولكن السؤال الذى ينبت بعد ذلك .. هو .. كيف .. وأين .. ومتى ؟

كيف نجرى التغيير .. وأين نجريه .. وأى الأوقات أنسب له ؟

ونحن لا نبدأ الخطو فى التغيير من اليوم .. فلقد اتخذنا مسيرتنا فيه بعد النكسة بطريقة حتمية ..

ويتحتم علينا قبل الإجابة على السؤال المطروح .. أن نستعرض الظروف التى لابسته والخطوات التى اتخذت فى سبيله .

ونستطيع أن نركز هذه الظروف والخطوات فى النقط التالية :

١ — اعتبار يومى ٩، ١٠ يونية ثورة من أجل تأكيد إرادة النضال والصمود وتفويضا للرئيس بالتغيير من أجل الحشد كمرحلة كفاح تحقق إزالة آثار الهزيمة وتقود إلى النصر .

٢ — قبول الرئيس للتفويض بالتغيير على الأسس التالية التى أكدها فى حديثه للشعب يومى ٢٣ يولية و ٢٣ نوفمبر .

(ا) العزم على النضال من أجل تحقيق النصر بكل السبل بحيث لا تقفز من غير تدبير .

(ب) إقامة حياة ديموقراطية سليمة بالحل الاشتراكى وإذابة الفوارق بين الطبقات بالطريق السلمى لتأكيد الحرية الاجتماعية التى تعتبر أساسا للحرية السياسية وإعادة البناء الشعبى لقوى الوطن المصرى وتوسيع نطاق القيادة فى الاتحاد الاشتراكى .

(ج) وقوفه مع الشعب فى المطالبة ببداية جادة وحازمة تتفق مع

جدية ظروف الحرب التى نواجهها والعمل على وقف الإسراف ووضع حد لكل الامتيازات عدا امتياز الكفاءة فى العمل وتحقيق النقاء الثورى والتمسك بقيم الدين .

(د) تحقيق مجتمع مفتوح على أساس عدم الانحياز والسياسة الحرة المستقلة وعدم المساومة .

٣ — اتخاذ الخطوات العملية التالية من أجل التغيير لتحقيق القدرة على النضال منذ النكسة حتى الآن .

(ا) إعادة بناء القوات المسلحة بتنظيم الوحدات والتدريب واستيعاب السلاح بحيث فاقت ما كانت عليه والتزمت بواجبها الحقيقى وهو الدفاع عن أرض الوطن الذى أصبحت قادرة عليه تماما .

(ب) القضاء على مراكز القوى القديمة التى تتمثل فى عناصر أدت دورها ولكنها أصرت على التمسك بالسلطة رغم أن الثورة تجاوزت قدرتها ومصالحها واستعدادها للتطور .

(ج) إعادة جهاز المخابرات إلى وضعه الطبيعى للعمل ضد أعداء الوطن وليس للسيطرة فى الداخل واعتقال الأفراد .

(د) إلغاء الامتيازات وتأكيد تكافؤ الفرص .

(ه) تحقيق المجتمع المفتوح بعلنية قضية المؤامرة التى قصد بها صيانة النقاء الثورى والقضاء على الانحراف تحت حماية السلطة . وبوجود كتلة معارضة فى مجلس الأمة لها حق التعبير عن معارضتها وبحرية الصحافة فى التعبير فى حدود الميثاق مع الرقابة على النواحى العسكرية التى تحتمها ظروف الحروب . وإصدار قانون الكسب غير المشروع وإعادة بحث قانون الحريات العامة وإلغاء محاكمة المدنيين بقانون الأحكام العسكرية .

ذلك هو العرض الواقعى لظروف التغيير وخطواته .

ولقد وعد الرئيس جمال الشعب فى خطابه فى حلوان بعرض خطة

كاملة بعد عيد الأضحى ترسم خطوات العمل المستقبل وتوضح أسلوب التغيير ووسائله وأسبابه وتقوم على أساس استمرار الثورة الاشتراكية فى مجتمع مفتوح وبمؤسسات ثابتة تجمع شمل الدولة بدون مراكز للقوى وعلى أساس تغيير أشمل وأوسع يكون محققا لآمال الشعب الذى خرج فى ٩ ، ١٠ يونية ليبقى قائده فى موضعه من قيادته ويؤكد إصراره على الصمود والنضال ويفوضه فى التغيير حشدا لطاقة خالصة من الشوائب التى أدت إلى النكسة ودافعا إلى كفاح يزيل آثار النكسة ويسترد الحق الضائع ويمهد لانطلاقة جديدة من أجل البناء والرخاء والعدالة والسلام .

والتغيير كما قال الرئيس ليس مجرد نقل شىء من مكانه وإحلال شىء آخر موضعه بل هو عملية تحتاج إلى وقت وجهد وبرنامج وأرض صلبة واسعة نقف عليها ونمارس فوقها التغيير وهو ليس أيضا تغييرات خاصة تمارس من وجهات النظر الخاصة لتحقق لأصحابها فائدة ما . ولكنه تغيير أشمل لكل الآمال وأسمى من مجرد تحقيق بعض وجهات النظر الخاصة .

وإذا كان للمرء أن يشارك بفكره فى رسم الصورة التى تحدث عنها الرئيس .. والتى يمكن أن تكون محققة لآمال الشعب مدعمة لقوته على النضال ..

فإن على المرء أن يطرح أمام فكره .. الجسد المصاب .. ويتحسس مظاهر العلة ويتلمس أسبابها .. بحيث يبنى خطته فى برء الجسد وسلامته واستعادة حيويته وقدرته .. على استئصال أسباب العلة وإزالة مظاهرها ووضع أسلوب الحياة الذى يضمن عدم عودة الأسباب المهيئة للداء وضمان استمرار سلامة الجسد وقوته .

وقد تكون أسباب الداء .. نابعة من أسلوب أولى للوقاية .. جمد بحيث أضحى هو نفسه أسلوبا لوقاية العلة بدل أن يكون وقاية للجسد ، فعندما تنبت الثورة لا بد أن يصاحبها نوع من الوقاية المحكمة التى تمنحها

الفرصة فى أن تعمق جذورها وتدعم نموها وتصلب عودها .. ويصبح السؤال الحيوى بعد ذلك متى يمكن أن توقف هذه الوقاية بحيث لا تتحول من وقاية لمبادىء إلى وقاية لأشخاص .. بعد أن تأكدت مبادىء الثورة وثبتت دعائمها بحيث يصبح اقتلاعها لا يعنى سوى اقتلاع شعب بأكمله .

إن الثورة المصرية نبتت من صميم الإحساس المصرى بالظلم وبالرغبة فى التغيير ولكنها كانت ككل الثورات فى حاجة إلى حماية من العناصر المضادة التى يمكن أن تقتلعها من منبتها .

واتخذت الطليعة التى قامت بها كل الوسائل الممكنة لحمايتها .

ومن هذه الحماية نبتت بالطبيعة عناصر الداء والتى يمكن حصرها فى النقطتين التاليتين :

١ — خلق الأجهزة الواقية التى يمارس أصحابها الحماية كمهنة تعيش على وجود التهديد والتآمر .. بحيث يتحتم عليهم فى بعض الأحيان خلق التآمر لممارسة مهنتهم .. أو انتزاعه نزعا بالتجسس على الناس وتعرية المجتمع بحيث تزداد مجالات نشاطهم وتزداد مظاهر نجاحهم وأهمية عملهم وحيويته للثورة .. بحيث يتحولون مع الوقت بعد أن أصبحوا القوة الحامية للثورة الضامنة لوجودها إلى أسياد للثورة وأصحاب للسلطان فيها ويجعلون من أنفسهم مراكز للقوى تتمتع بحماية السلطة بغير رقابة إلا رقابة أجهزتهم .

٢ — الاعتماد على العناصر الموالية لمن يسمونهم أهل الثقة لضمان التطبيق الثورى والمحافظة على الثورة واتجاهاتها ومبادئها وتجميع المسئوليات فى أيديهم بحيث تنأى عن الثورة مختلف العناصر من الكفاءات التى لم تسنح لها الفرصة بوضع ولائها للثورة وإيمانها بها موضع الاختبار .

وما من شك هناك أن وجود الاتحاد الاشتراكى كتحالف لقوى

الشعب العاملة كان هو المحاولة لنقل السلطة إلى الشعب من أجل مصلحة الشعب وتوسيع رقعة القيادات التى يمكن أن تتناول المسئوليات الثورية ولكى يصبح الشعب نفسه وهو صاحب المصلحة فيما حققته الثورة من مكاسب هو نفسه حاميا لمكاسبه وبالتالى حاميا للثورة وبهذا تتسع مسئولية الثورة من مجموعة محدودة هى أصحاب الولاء للثورة من أهل الثقة إلى القاعدة الشعبية العريضة بكل ما تملك من كفاءات وبحيث تتسع مسئولية حماية الثورة من جهاز معين يفرض سيادته بالحماية ويمارس السلطة بغير رقابة إلا رقابته إلى حماية الشعب كله للثورة ورقابته على أجهزتها .

تلك هى العلل الطبيعية التى أنبتتها طبيعة الثورة وذلك هو العلاج الطبيعى الذى وضع للقضاء على تلك العلل .. وتحويل الثورة إلى سلطة يتولاها الشعب .

والسؤال هنا .. كيف حقق الاتحاد الاشتراكى المهمة التى وجد من أجلها والتى تتلخص فى أمرين :

١ ـ تحمل الشعب مسئولية الثورة وممارسته لسلطانها .

٢ ـ تحمل الشعب عبء الدفاع عن الثورة وحماية مكاسبها بحيث تتحرك الثورة بالشعب وللشعب وبحيث يصبح الشعب صاحبها حاميها .

إن الذين ينكرون ما حققه الاتحاد الاشتراكى من تنظيمات شعبية فى كل أنحاء البلاد وما استطاعت أن تحققه هذه التنظيمات فى شتى المجالات .. إنما ينكرون حقيقة واقعة ويبدأون نقدهم على أساس من محاولة التدمير التى تضيع فرص النقد الحقيقية .

ولقد تساءل الرئيس عبد الناصر لماذا ينادى البعض بإلغاء الاتحاد الاشتراكى ولا ينادون بإصلاحه .. وهو على حق .. فنحن لا نريد أن نبنى ثم نهدم .. ونسير ثم نعود القهقرى .. ونحن لا نريد أن نبدأ دائما من

الصفر ، ولكننا نريد أن نعرف حقيقة أخطائنا لكى نصلحها ونتجنب تكرارها .

وقبل أن نحاول البحث عن أخطاء الاتحاد الاشتراكى أو على الأصح بعض تنظيماته لأن التعميم نوع من الظلم والتضليل يجب أن نعترف بالصعوبة البالغة فى طريقة تكوين الاتحاد الاشتراكى والتأرجح بين الانتخاب والتعيين .

فأسلوب الانتخاب ، وهو الأسلوب الطبيعى الذى بدأ به تكوين الاتحاد لم يعط أفضل الثمار لإتاحته الفرصة لمحترفى الانتخابات ممن لا يكونون غالبا أفضل العناصر وممن يجعلون العمل الجماهيرى نوعا من التملق القائم على الإثارة واستجداء الشعبية على حساب المصلحة الحقيقية للوطن أكثر منه عملا جادا يقوم على الإحساس بالمسئولية والتصدى لها .

وأسلوب التعيين الذى أخذ به بعد ذلك .. لا يمكن أن يضمن ألا تشوبه الميول والأمزجة والصلات الشخصية فى الاختيار ، وهو يؤدى بالطبيعة إلى إحساس بالولاء للسلطة صاحبة الحق فى التعيين أكثر منه للجماهير وبذلك تصبح القيادة عنصر إملاء من أعلى لأسفل أكثر مما تصبح عنصر تعبير من أسفل لأعلى وتكون النتيجة أن تصبح التنظيمات الجماهيرية أميل إلى التعبير عما تريده القيادة بدل أن تلتقط القيادة من التنظيمات ما تجيش به الجماهير .

وهكذا نبع أول الأخطاء التى يمكن أن تنزلق فيها تنظيمات الاتحاد الاشتراكى من صعوبة تكوينه ولا سيما وهو يكون بواسطة قيادة تمارس الحكم فعلا .. وحققت جزءا كبيرا من أهدافها ، وكاد ينتفى عند التكوين عنصر التضحية والكفاح من أجل تحقيق أهداف تكتنفها المخاطر والصعاب .

وهكذا .. ورغم وجود التنظيمات المحكمة فى الاتحاد الاشتراكى على

شتى المستويات لم يكن الارتباط الذى يجعله جزءا من الجماهير أمرا سهلا وبات كالعضو الذى نحاول زرعه فى جسد بدلا من أن يكون كالعضو الذى ينبت من جسد .

وزاد من صعوبة التصاقه بالجسد الأصلى ، وهو الجماهير .. الأسلوب الذى اتبع فى بعض تنظيماته فى أداء الواجب الثانى وهو حماية الثورة .

فبدلا من أن تتحقق الحماية بطريقة طبيعية نابعة من الارتباط الوثيق الذى يجعل الثورة جزءا من الشعب ، أخذت بعض التنظيمات تمارس الحماية للثورة بنفس الطريقة التى تمارسها أجهزة الأمن وهى الرقابة والتبليغ عن العناصر المضادة للثورة بدل النقاش معها وإقناعها ومحاولة جذبها إلى الثورة .

وما من شك أنه يجب أن يكون هناك فارق كبير بين طريقة تعامل قيادة تنظيمات الاتحاد الاشتراكى مع العناصر المضادة للثورة وطريقة تعامل أجهزة الأمن معهم لأن وجود الاتحاد الاشتراكى لم يكن لضبط هذه العناصر وعقابها بل لمحاولة مقارعتها الحجة بالحجة وكسبها أو كشفها للجماهير وعزلها عنها وسلبها أى قدرة على التأثير فيها ..

وعنصر آخر لا أدرى ما مدى تأثيره فى صلة تنظيمات الاتحاد الاشتراكى بالجماهير وهو عنصر قد تكون أنبتته الحاجة إلى تعميق مفهوم الاشتراكية فى مجالات الاتحاد الاشتراكى ، وهو أن يتصدر لهذه المهمة — بدل عناصر كان يمكن أن تنبتها الثورة — هؤلاء الذين سبق أن نادوا بالاشتراكية الماركسية .. ثم قاموا بحل تنظيمهم إيمانا باشتراكية الثورة .

ومن حق هؤلاء جميعا كمواطنين شرفاء أكدوا إيمانهم بالثورة وإخلاصهم للوطن أن يمارسوا حقهم فى العمل كبقية المواطنين حسب ما تهيئه لهم كفاءتهم ولكن ليس من الصالح فى شىء — صالحهم وصالح الثورة — أن يتكتلوا فى أماكن بعينها .. بحيث يوحى وجودهم فى أذهان

الجماهير باتجاه معين أو يديهم وكأنهم يخططون لهدف معين ، بما يثير القلق فى نفوس الجماهير .

والطبيعى أن يذوب هؤلاء المواطنون الصالحون فى جماهير الشعب وأن ينتشروا فى مجالات العمل المختلفة ولكن ليس من الطبيعى أن يتمركزوا فى مناطق بعينها كالثقافة والإعلام والاتحاد الاشتراكى بحيث يبدون وكأنهم يحتلون مناطق استراتيجية فى تخطيط معين .. بحيث يصبح السؤال المحير كم منهم يعملون فى هذه المجالات . وكم منهم يعملون فى مجالات الخدمة الأخرى .. كالصحة والصناعة والزراعة والرى والكهرباء والطرق والكبارى والمبانى .. و .. وإلخ .

إنهم كما قلت مواطنون شرفاء أكفاء .. ويجب أن يتمتعوا بكل ما يتمتع به المواطنون الشرفاء الأكفاء .. من ممارسة لجميع الأعمال فى كل المجالات .. وليس بالتمركز فى مناطق عمل بعينها .

هذه بعض آراء تعن للمرء وهو يستعرض منابع الداء التى توجب عملية التغيير .. وقد أكون لم أسلم فى التعبير عنها من تهمة التعبير عن وجهة نظر خاصة .

ولكننا لا نملك بطبيعتنا إلا أن نعبر عن آرائنا أولا .. وقد تلتقى هذه الآراء بآراء الغير فتكون رأيا عاما له تأثير فى المجال العام ، وقد تنعزل فتبقى مجرد رأى خاص لا يعبر إلا عن صاحبه .

ولكن من حق الناس علينا .. أن يسمعوا كيف نفكر .. وماذا نريد أن نقول .

وإذا كنت لم أقل شيئا مفيدا فى ما هو جار من عملية التغيير فإنى أكون على الأقل .. قد حققت شيئا مما يريد التغيير أن يحققه وهو حرية التعبير .

وبعد .. فى كلمات قلائل أرجو أن ألخص رأيى فيما يمكن أن يكون التغيير محققا له ..

١ — أن يكون أولا وقبل كل شيء محققا للحشد الكامل لطاقاتنا فى مواجهة العدو من أجل رده عن أرضنا واستردادنا لحقنا .

٢ — أن يقوم التغيير على أساس الثورة الاشتراكية بمفهومها غير المعقد الذى أكده الرئيس عبد الناصر والذى لا يضيعنا فى متاهات فلسفية ولكنه البيت السعيد يحققه القادرون على العمل والذى لا محظورات فيه سوى الاستغلال .

٣ — أن تتسع السلطة لجميع الكفاءات وأن ينفسح المجال أمامها بحيث تمنح الفرصة لكى تكون أهل ثقة .. ولا يعود قصر الثقة على مجموعة محدودة لا شك أنها قد تصدت بنجاح لإنجازات الثورة ولكن بات من حق الثورة بعد أن رست دعائمها أن توسع قاعدة قياداتها بحيث تشمل أكبر عدد ممكن من الكفاءات ..

٤ — أن يكون حماية الثورة بواسطة الشعب نفسه عن طريق المجتمع المفتوح الذى تمارس فيه حرية التعبير والمناقشة والمعارضة فى حدود الميثاق ودون الإخلال بأمن الدولة .

١٣ مارس ١٩٦٨

هل بات .. مجرد أمنية ؟

حاولت إسرائيل بعدوانها الأخير على الأردن — كما زعمت — أن تقصم ظهر قوات المقاومة العربية .. والواضح الذى لا لبس فيه أن ظهرها فى هذا الهجوم هو الذى قد قصم بعد أن أعلن جميع المراقبين من أنحاء العالم كله أن قوات المقاومة سيطرت على ميدان المعركة وأن الجيش الأردنى دافع ببسالة عن المنطقة المهاجمة وأن الأرقام التى تذيعها إسرائيل عن خسائرها فى المعركة كانت تتزايد ساعة بعد أخرى .

ولقد أثبت العدوان الأخير مدى حيوية المقاومة الفلسطينية الشعبية فى معركة المصير العربية وفى أن تكون رأس حربة لاسترداد حق الشعب العربى الفلسطينى فى وطنه السليب .. تحشد وراءها كل طاقات الوطن العربى وإمكانياته وموارده فى جبهة وجيش واحد يستطيع أن يرد للعرب اعتبارهم ويستعيد أرضهم وحقهم .

وإسرائيل قد قدمت للعالم كله من الأدلة ما كانت تعجز عنه أقوى أجهزة الدعاية مما يؤكد أنها دولة دخيلة عدوانية توسعية وأنها قاعدة استعمارية سلحها الاستعمار كى تهاجم وتخرب وتمزق أوصال الأمة العربية وتهدد السلام فى المنطقة كلها .

ومناقشات مجلس الأمن قد كشفت إسرائيل عندما تحدى مندوب الأردن أن تعلن إسرائيل قبولها قرار مجلس الأمن .. فتمحك المندوب الإسرائيلى فى المفاوضات .

ولقد آن للعالم كله أن يعرف أن إسرائيل قد ضربت بقرار مجلس الأمن عرض الحائط وأنها أوصلت مندوبه إلى طريق مسدود بإصرارها على

معاهدة صلح عن طريق المفاوضات وهو ما يرفضه العرب رفضا باتا سواء كان ذلك بمفاوضات مباشرة أو غير مباشرة .

وقرار مجلس الأمن بالنسبة للعرب واضح وهو يقوم أولا على انسحاب إسرائيل إلى حدود ٥ يونيه قبل أن تقوم إسرائيل بعدوانها والمفروض على مجلس الأمن أن يضع برنامجا تنفيذيا يكون هو نفسه ضامنا لتنفيذه إذا أراد لقراره أن يكون هو الطريق إلى حل سلمى .

ولكن النفوذ الاستعمارى الذى تتزعمه الولايات المتحدة الأمريكية قد جعل من الأمم المتحدة مسرحا للمناورات وأضاع الثقة فى قدرتها على أن تضع قراراتها موضع التنفيذ وأن تقدم بها حلا إيجابيا يوقف عدوان المعتدى ويرد الحق إلى المعتدى عليه .

والمناقشات التى دارت فى الجلسة الأخيرة لمجلس الأمن تكون صورة معادة لجميع المناقشات التى أعقبت الاعتداءات الإسرائيلية .

أغلبية توضح الحق وتقدم أدلته وأسانيده .

وأقلية تميع الموقف بسلسلة دعاوى باطلة .. وافتراءات كاذبة .

قال مندوب الأردن إن إسرائيل لا تريد السلام وأن أحدا لا يستطيع إقناعها به بعد أن امتلأت غرورا وطلب من مجلس الأمن أن يدين العدوان الإسرائيلى وأن يطبق الفقرة السابعة من ميثاق الأمم المتحدة التى تنص على فرض العقوبات الاقتصادية واستخدام القوة إذا اقتضت الضرورة تنفيذ قرارات المجلس ..

وقال مندوب سوريا إن القراصنة الإسرائيليين قد شنوا هجوما مدبرا ومتهورا على الأردن وأنها تحاول تبرير هجومها بأنه انتقام لأعمال المقاومة وهذه حجة لا يمكن أن يقبلها المجلس فقد شنت إسرائيل هجوما على مناطق مدنية وقرى آمنة وليس هناك أى مبرر لنسف البيوت والمدارس والمستشفيات وطالب مجلس الأمن بتوجيه اللوم العنيف إلى إسرائيل على

هذا العدوان الاجرامى .

وقال مندوب الجمهورية العربية المتحدة إن إسرائيل قد لجأت مرة أخرى إلى القوة العسكرية لإخضاع الشعوب العربية تحت سيطرتها منذ عدوانها الأخير وأنها تستهدف تقليل عدد الفلسطينيين العرب إلى أقل حد ممكن وأن من حق الشعوب العربية فى المناطق المحتلة مواصلة النضال من أجل حريتها وأعلن أن إدانة إسرائيل لا تكفى ولا بد أن يتخذ المجلس خطوات أخرى لمواجهة المعتدى والحفاظ على مبادىء ميثاق الأمم المتحدة .

وقال مندوب الاتحاد السوفيتى إن إسرائيل تتحدى الأمم المتحدة وتقوم بالعدوان لاعتمادها على التأييد السياسى والعسكرى والاقتصادى لأمريكا وبعض الدول الغربية وأكد أن حكومته قد أعلنت أن استمرار الاحتلال الإسرائيلى للأراضى العربية تهديد للسلام العالمى وطالبت حكومة إسرائيل بتنفيذ قرار مجلس الأمن والانسحاب من الأراضى العربية فورا وأكدت أنها ستواصل مساعدة الدول التى تعرضت للعدوان .

وقال المندوب البريطانى : إن الهجوم الإسرائيلى الأخير قد عرض مهمة يارنج للخطر وطالب المجلس بالإصرار على قراره الذى أصدره فى نوفمبر لأنه لا يوجد طريق آخر للعمل غير هذا القرار إذا كان هناك أمل فى إقرار تسوية دائمة للسلام فى المنطقة .

وتستمر المناقشة فى مجلس الأمن ..

والنتيجة !! ..

مزيد من قرارات اللوم والإدانة ..

ولن يضير إسرائيل .. قرار آخر من اللوم أو الادانة .. لأنها بلغت حدا من الغرور .. تحاول معه أن تفرض إرادتها بالقوة .

وخير من قرار الإدانه أو اللوم ..

هو هذا الذى أوقعته بها قوات المقاومة والجيش الأردنى .

ولكن قوات المقاومة وحدها .. وأى جيش عربى وحده .. لن يستطيع أن يعطى لإسرائيل الدرس الذى تستحقه .

من كل ما مر بنا من تجارب .. نخرج بحقيقة واحدة .

مجلس الأمن لا يعطى غير القرارات ..

والقرارات .. تذروها رياح القوة .. والغرور .. والصلف .

ومعاونات الأصدقاء المعنوية والمادية .. تشد أزرنا .. وتزيد حقنا وضوحا .. وصمودنا صلابة .

ولكن مجابهتنا لإسرائيل .. وصدامنا معها .. وجها لوجه .. لا يقدر عليهما .. غير الجبهة العربية المتماسكة والجيش العربى الموحد .. والخطة العسكرية الواحدة .. التى تجعل القوى العربية المحيطة بإسرائيل جسدا واحدا .. تتحرك كلها بذهن واحد .. ولا تجعل هناك معارك محلية متفرقة .. ولكنها معركة واحدة .. فى عدة جبهات .. يخدم العمل العسكرى فيها .. الخطة كلها ..

هذا أمر .. لا يحتاج إل بحث أو إقناع .

إن المصير العربى كله مهدد .

وعندما تضرب الأردن .. يشعر كل مصرى بأنه يضرب .. ويشعر كل عراقى بأن بيته مهدد .

فلماذا نجمد وكأن بنا شللا .. يجعل كل منا يصيح .. ولا يتحرك ..

أمعقول .. أننا لا نصيح فى طلب عقد مؤتمر قمة .. إلا كلما أنزلت إسرائيل ضربة بأحدنا .. ولطمت إحدى جبهاتنا .

ثم لماذا مؤتمر قمة ؟! .

إن الأمر يحتاج إلى وضع الوسائل والخطط التى تحشد الموارد فى خدمة العمل الموحد .

فلماذا لا توضع هذه المشروعات فورا ونبدأ الاتصالات من أجل تنفيذها .. حسب إمكانيات كل بلد عربى .

إن المصير العربى مهدد .. بسيف إسرائيل المصلت على عنقه فى كل وقت .

وتهديد إسرائيل لا ينتظر ..

ولن يعيننا أحد على مواجهته سوى أنفسنا نحن العرب .

والطريق إلى الهدف .. سواء كان سياسيا أو عسكريا .. يحتاج إلى العمل العربى المشترك .

ولقد أضحى هذا العمل يبدو وكأنه مجرد أمنية .

حتى بات الكاتب يحس بترديدها .. إنه يردد كلاما معادا .. لا أمل فى أن يتحول إلى حقيقة واقعة .

ومع ذلك لا نملك إلا أن ننادى به مرة .. بعد مرة .

لأنه ليس هناك غيره .

وبدونه .. سيتحطم المصير العربى .. والحضارة العربية .. وسنحمل نحن وزره .. على مدى التاريخ .

٢٧ مارس ١٩٦٨

بين الديمقراطية .. والعلم

فى بيان ٣٠ مارس أكد الرئيس جمال عبد الناصر فى تصوره لبعض المهام الرئيسية فى المرحلة القادمة من نضالنا ضرورة تدعيم بناء الدولة الحديثة فى مصر قائلا إن الدولة الحديثة لا تقوم بعد الديمقراطية إلا استنادا إلى العلم والتكنولوجيا ولذلك فإنه من المحتم إنشاء المجالس المتخصصة على المستوى القومى ، سياسيا وفنيا لكى تساعد على الحكم .

كما أكد الرئيس مرة ثانية فى اقتراحه للخطوط الأساسية العامة التى تتضمنها مواد الدستور أن ينص الدستور على قيام الدولة العصرية وإدارتها . لأن الدولة العصرية لم تعد مسألة فرد و لم تعد بالتنظيم السياسى وحده .. وإنما أصبح للعلوم والتكنولوجيا دورها الحيوى . ولهذا فإنه يجب أن يكون واضحا أن رئيس الجمهورية يباشر مسئولية الحكم بواسطة الوزراء وبواسطة المجالس المتخصصة التى تضم خلاصة الكفاءة والتجربة الوطنية بما يحقق إدارة الحكومة عن طريق التخصص واللامركزية .

وإذا كانت الديمقراطية والعلم هما دعامتى الدولة الحديثة . فإن الترابط والتساند والتنسيق والتوفيق بين كلتا الدعامتين بحيث لا تجور أحداهما على الأخرى أو تنعزل عنها أو تواجهها فى نوع من التحدى والتسلط والاستئثار والتجبر . هى أساس النجاح فى بناء الدولة الحديثة وتهيئتها لتقوم بدورها فى سبيل التقدم الإنسانى والنمو وتحقيق الحرية والرخاء والعدالة للشعوب وإقرار السلام فى العالم أجمع .

وعملية الربط بين الديمقراطية والعلم بحيث يتكون منهما قوة فعالة تصون البشرية وتحقق للإنسانية كل ما تصبو إليه من رخاء واستقرار

ليست قط عملية هينة .

وقد يكون إطلاق قدرة كل منهما لكى تحقق بإمكانياتها الهدف منها أمرا — رغم أنه يحتاج إلى جهد شاق — مستطاعا .. بل لقد حققه الكثير من الشعوب . ولكن المشكلة الحقيقية هى ربط كل منهما بالآخر ودفعهما معا بحيث يحققان للمجتمع الرخاء الحقيقى .

وقد لا يبدو هناك .. فى النظرة الأولى العابرة .. ما يمكن أن يسمى تناقضا بين الديمقراطية والعلم .. ولكنى أعتقد — وقد يبدو تعبيرى غريبا لأول وهلة — أن التناقض موجود دائما بين قوة الديمقراطية .. وقوة العلم ..

والديمقراطية .. هى قوة الناس .. قوة البشر العاديين .. مجتمعة لتعمل من أجل المجتمع ولتعبر عن رغبات المجتمع .. وتحقق سلطة المجموع .. فى خدمة المجموع .

وقوة العلم .. هى قوة أفراد متميزين .. يستطيعون بتميزهم أن يحققوا أشياء لا يستطيع سواهم أن يحققها .. أشياء قادرة على أن تحقق للمجموع .. ما لا يملك المجموع أن يحققه بكل ما يملك من قوى العمل والتجمع .

والمجموع .. لا يملك من أسباب التقدم والنمو الحضارى شيئا بغير هؤلاء المتميزين منه .. فهو بغيرهم .. يمكن أن يجمد فى مكانه الزمنى من الحضارة .. لا يحقق لنفسه .. إلا أسباب العيش البسيطة البدائية .

ومجرد ذكر .. أسماء أفراد .. كإديسون أو غيره .. يمكن أن يقدم الدليل الواضح على قيمة هؤلاء الأفراد المتميزين وما استطاعوا أن يؤدوه فى تاريخ البشرية .. والدفع الحضارى الذى أمكنهم أن يقدموه للإنسان .

ومع ذلك .. وبقدر ما تحتاج قوة المجموع التى تمثل بسلطتها قوة الديمقراطية .. إلى هؤلاء الأفراد الذين يمثلون بقدرتهم قوة العلم .. بقدر

ما تشعر بحاجتها إلى فرض السيطرة عليهم .. والرقابة على جنوحهم .

ولقد خطر ببالى مرة .. أن الاشتراكية .. والديمقراطية .. هما التجمع الشعبى .. ضد سيطرة المتميزين .. وحماية للمجموع .. من جنوحهم .

وقوة الديمقراطية .. بقياداتها السياسية المنتخبة تشكل السلطان الذى يستخدم قوة العلم فى صالح المجموع .. والذى يضع المتميزين بكل ما يملكون من طاقات خلاقة فى خدمة الجماهير .. ويقى من انحرافهم لخدمة فئة معينة على حساب بقية الجماهير .

ومن غير ما شك أن سيطرة المجموع على نتاج القوة المميزة الخلاقة لوضعها فى خدمة البشرية وخيرها أمر حتمى .. ونحن نرى الآن كيف يمكن أن يوجه نتاج هذه القوة المتميزة .. فى غير صالح البشر .. وفى غير خدمة مجموع الجماهير ..

وأن عجز سلطان الجماهير بقوة الديمقراطية عن السيطرة على هذا النتاج .. وتوجيه واستخدام قوة الذرة فى أعمال التدمير .. لا يمكن أن يكون حصيلة سيطرة قوة الديمقراطية على العلم .

ومع ذلك .. ومع كل تسليمنا بحيوية سيطرة قوة الديمقراطية على نتائج القوة المتميزة .. بحيث تجعله سبيلا للخير .. بدل أن يكون وسيلة للتدمير .. أو استعراضا لعضلات الذهن البشرى .. فى انطلاق أهوج لا فائدة منه .. يجب أن نسلم بأن هذه السيطرة يجب أن تكون فى حدود معينة .. بل وقد تكون بتعبير أدق .. سيطرة متبادلة من كل من القوتين .. إحداهما على الأخرى .

ولقد استمعت ذات مرة إلى خطبة لخروشوف فى اجتماع مجلس السوفيت الأعلى .. يحمل فيها .. على محاولات فرض سيطرة القيادات السياسية فى المجالات العلمية والفنية .. وعلى تدخلها بالتوجيه فى مجالات بعيدة عن تخصصها . تدخلا مخلا متلفا وأذكر قوله فى سخرية عن تدخل

رجال الحزب فى المجال الزراعى بما معناه « هو كل من أكل أكلة بطاطس .. حايعتبر نفسه خبير زراعى ؟ » وطلب من رجال الحزب الكف عن التدخل فيما لا يفهمون فيه . وأن يتركوا الأمر للمتخصصين فيه .

ومن هنا تنبت مشكلة التوفيق فى الدولة العصرية بين دعامتى الديمقراطية والعلم .. أو بين القيادات الشعبية السياسية والخبرات الفنية .

وسيطرة وقوة الديمقراطية المتمثلة فى سلطة القيادات السياسية المنتخبة تبدأ بالتعبير عن احتياجات الناس ورغباتهم وآمالهم وأمانيهم .. ثم بترجمة هذه الاحتياجات إلى خطوط عريضة لخطة عمل .. تبدأ بعدها سيطرة قوة العلم والتكنولوجيا . بحيث تنبت من خطة العمل — بكل ما تملك من قدرة وجهد — أفضل ثمرات الإنتاج متحررة من أية سيطرة إلا سيطرة العلم والقدرة الخلاقة .. مسيطرة بدورها — علميا على وسائل الإنتاج ومن بينها قوى الجماهير الكادحة بحيث تحقق بواسطتها أكبر قدر من الخير للجماهير نفسها .. ويكون دور قوة الديمقراطية فى هذه المرحلة .. هو دور الرقابة .. لتوقف أى جنوح لغير صالح الجماهير .. ولضمان توجيه حصيلة الإنتاج بالعدالة لرخائها ..

فقوة العلم يجب أن تطلق متحررة من أجل البحث العلمى وإنتاجها يجب أن يخضع لقوة الديمقراطية من أجل توجيهه لخير الناس والنمو الحضارى ..

وقوة العلم يجب أن تطلق .. من أجل توجيه عمل الجماهير الكادحة علميا لكى يحقق أفضل الإنتاج لصالح الجماهير .. ولرخاء البشر .

وإطلاق القوتين .. قوة الديمقراطية .. وقوة العلم أمر حيوى .. ولكن ربطهما فى قيادة واحدة منسقة — أمر أشد حيوية .

ولا جدال أن الوصول بالقوة الديمقراطية الممثلة فى القيادات السياسية المنتخبة .. إلى أفضل مستوى علمى نستطيعه .. والوصول بقوة العلم

الممثلة فى المتميزين من الشعب بالقدرة البانية والموهبة الخلاقة إلى أفضل مستوى سياسى هما خير وسيلة لتحقيق الحياة الحرة الكريمةالعادلة الآمنة المستقرة للشعوب .

إن تنمية القيادة السياسية علميا وتنمية الكفاءة العلمية سياسيا بقدر ما تسمح به قدرات الأولى .. ووقت الثانية هما خير طريق لربط القوتين فى قيادة متآلفة متجانسة .. من أجل بناء الدولة العصرية التى تحقق للشعب ما يصبو إليه من آمال فى الرخاء والعدالة والسلام .

السلام .. من موقع القوة

فى بيان ٣٠ مارس أكد الرئيس جمال عبد الناصر فى حديثه عن إعادة بناء القوات المسلحة أن منطق هذا العصر ولعله منطق كل العصور أن الحق بغير القوة ضائع وأن أمل السلام بغير إمكانية الدفاع عنه استسلام ، وأن المبادئ بغير مقدرة على حمايتها أحلام مثالية مكانها السماء وليس لها مكان على الأرض .

وعندما يقبل الشعب الفيتنامى العرض الذى تقدم به جونسون لتحقيق السلام فى فيتنام عن طريق المفاوضات فإنه يسعى إلى السلام وملء يديه إمكانية الدفاع عنه . ففى الوقت الذى يقبل فيه مفاوضات السلام نجد أنه قد استطاع فى بضعة أسابيع تعد على أصابع اليد وفى الفترة من ٣٠ يناير إلى ١٥ مارس قد استطاع أن ينزل بالقوات الأمريكية الخسائر التالية :

١٥٠ ألف جندى (منهم ٤٥ ألف جندى أمريكى) قتلى وأسرى .
٢٢٠ طائرة أسقطت .
٣٥٠٠ سيارة أمريكية دمرت .
١٧٥٠ دبابة ومصفحة .
٣٠٠ مدفع ثقيل .
٢٣٣ سفينة وزورقا أغرقت .
٣٠٠ جسر فى فيتنام الجنوبية دمرت .
٨٢٣ نقطة حراسة دمرت .

كما تم تحرير أكثر من ٦٠٠ قرية تضم ١٫٥٠٠,٠٠٠ مواطن فيتنامى . فى شهر ونصف .. أنزل الشعب الفيتنامى هذه الخسائر بالقوات

الأمريكية المعتدية . ومن هذا الموقف يقبل المفاوضات وبهذه الإمكانية يتقدم لتحقيق السلام مبديا استعداده للدخول مع الأمريكيين فى مباحثات حول وقف جميع العمليات الحربية التى تشنها أمريكا ضد فيتنام الشمالية على أن تتخذ الخطوة التالية على أساس نتائج هذه المباحثات .

والشعب الفيتنامى تقدم من موقع الاستعداد للنضال لتحقيق السلام القائم على العدل والحرية والحق المطلق فى تقرير المصير .

وقد خاض الشعب الفيتنامى قتالا مريرا .. وحربا ضارية .. ليس لأنه لم يكن منها مفر للدفاع عن وجوده وحقه فى الحياة الحرة الكريمة .. وهو لم يرفض الحل االسياسى إذا أمكن أن يجنبه مرارة القتال وآلام الحرب التى قاسى منها سنوات طويلة .. ويحقق له مبادئه وحريته ..

ولقد وضعه استعداده العسكرى .. موضع القوة فى الحل السياسى .. يقدم عليه بغير عجز أو استسلام .

ونحن نقف من العدوان الإسرائيلى الاستعمارى .. موقف الشعب الفيتنامى من العدوان الأمريكى .. حقنا فى أرضنا بغير القوة ضائع ، وأملنا فى السلام بغير إمكانية الدفاع عنه استسلام .

وعندما يؤكد بيان ٣٠ مارس أنه لا ينبغى أن يكون هناك الآن صوت أعلى من صوت المعركة ولا نداء أقدس من ندائها ..

وأن أى تفكير أو حساب لا يضع المعركة وضروراتها أولا وقبل كل شىء لا يستحق أن يكون تفكيرا ولا تزيد نتيجته على الصفر ..

وأن المعركة لها الأولوية على كل ما عداها وفى سبيلها وعلى طريق تحقيق النصر فيها يهون كل شىء ويرخص كل بذل . مالا كان .. أو جهدا .. أو دما .

ومهما كان السبيل الذى نسلكه إلى تحرير الأرض وتحقيق النصر .. فإنه يصبح سبيلا مسدودا بغير استعداد للمعركة .

ولكيلا نتخذ إلى مستقبلنا طريقا مسدودا .. يجب أن نستعد للمعركة .. أو نعيش المعركة ..

والاستعداد للمعركة يجب أن يكون فى نطاقات ثلاثة :

النطاق العربى بالجبهة العربية الكبيرة .. الموحدة .. المنسقة .. التى تتحرك فيها القوات العربية كوحدة واحدة .. فى خطة واحدة .

والنطاق الثانى : على الجبهة المصرية التى ترابط فيها قواتنا العسكرية .

والنطاق الثالث : على الجبهة الداخلية .. بكل ما تملكه من حشد للقوى .. فى الاستعداد للقتال .. وفى زيادة الإنتاج .

والنطاق الثانى قد تحقق النجاح فيه بما يملأُ النفس ثقة .

والنطاق الثالث نسعى إلى تحقيقه بكل ما نملك من رغبة وقدرة .

أما النطاق الأول .. فلشد ما أخشى أن يظل كما قلت من قبل .. مجرد أمنية .. فى مرحلة نحن فى أشد الحاجة إلى الأعمال منا إلى الأمانى .

إن المصير العربى معلق بالاستعداد للمعركة .. نحقق به السلام من موقع الثقة أو نخوض به القتال من موقع القوة .

ولن نمل من ترديد الأمنية والدعوة إلى تحقيقها حتى تصبح حقيقة واقعة .

غصن الزيتون وطلقات الغدر

كانت آخر كلمات الزعيم الزنجى مارتن لوثر كنج التى حملتها إلينا وكالات الأنباء هو ما قاله فى مؤتمره الصحفى إن الاضطرابات التى ينتظر أن تحدث ستكون أعنف بمراحل من اضطرابات العام الماضى .

وقال كنج « لست أحب أن أتنبأ بوقوع أعمال عنيفة غير أن الأوضاع التى تسببت فى اضطرابات وقلاقل الصيف الماضى لا تزال قائمة » .

وهاجم كنج سياسة جونسون العدوانية قائلا إنه يشن حربا فى فيتنام من أشد الحروب ظلما فى تاريخ العالم وأن الولايات المتحدة تنفق خمسين ألف دولار على قتل كل واحد من الثوار فى فيتنام الجنوبية .

وبعد أيام لقى الرجل الذى كان يكافح الظلم والغدر بغصن الزيتون تلميذ غاندى الحائز على جائزة نوبل من أجل السلام — مصرعه بطلقة غادرة اعتبرت كما قال المسئولون الأمريكيون أنفسهم فى موجة خجلهم « وصمة تجلب العار على المجتمع الأمريكى الذى يتسم بالعنف والغدر والاختلال العقلى » .

رحل الرجل الذى يكره العنف .. والذى تنبأ بوقوع أعمال أعنف بمراحل من أعمال العام الماضى — دون أن يدرى أن رحيله .. سيسبب — كما قالت إنديرا غاندى — نكسة لبحث البشرية عن الضوء .. ودون أن يدرى أن رحيله سيدفع بأمريكا إلى حافة حرب أهلية .. وسيكون — كما قال هيوبرت همفرى نائب الرئيس جونسون — « مأساة كبرى لأمريكا وسيجلب العار عليها » .. كأنما أمريكا ينقصها العار .

ولقد كنت أحب مارتن لوثر كنج .. لأنه يحمل غصن الزيتون .. كما أحببت من قبله غاندى .. وفجعت فى مصرعه .. كما فجعت فى مصرع غاندى .. وكرهت سخرية القدر .. وهو يصرع حاملى أغصان الزيتون .. بطعنات الغدر .. التى يحاولون أن يجنبوا البشرية آلامها .

و لم تسنح لى فرصة لقاء كنج .. ولكنى لقيت نقيضه الزعيم الزنجى صاحب دعوة العنف .. ستوكلى كارميكل .. عدة مرات .

وقال لى كارميكل :إنه لايقر أسلوب كنج فى مكافحة العنصرية لأن تاريخ النضال الزنجى من أجل إزالة التفرقة العنصرية يؤكد أن السبيل الوحيد إلى القضاء عليها هو الكفاح المسلح .

وقال إن الزنوج فى أمريكا أفريقيون يشاركون بقية الإفريقيين فى المعاناة من سطوة الاستعمار وظلمه .. وأن الإفريقيين قتل منهم ما يقرب من مائة مليون فى ترحيلهم كعبيد إلى أمريكا ، وأن السفن كانت تلقى بكل حمولتها من العبيد فى البحر عندما تضبط متلبسة بنقل العبيد هروبا من تهمة الاتجار بالرق . وكان الزنوج يشدون بسلسة واحدة فى السفينة بحيث يتعذر على أحدهم الهروب إلا إذا جر الحمولة كلها معه إلى البحر .

وقال لى كارميكل إن مطلب الزنوج فى أمريكا ليس إزالة التفرقة العنصرية .. بمعنى أن يشارك الزنوج البيض فى مطاعمهم ودور لهوهم ، لأن الزنوج لا يهمهم أن يجلسوا مع البيض فى مكان واحد .. وأنه إذا كان البيض يرفضون مخالطتهم .. فهم أشد منهم رفضا لهذه المخالطة .. ولكن ما يريده الزنوج هو حقهم فى حياة كريمة . هو أن تكون لهم كل ما للمواطن الأمريكى من حقوق . وعندما يحصلون لن يهمهم أن يجلسهم البيض معهم أو يبعدوهم عنهم .. بل قد يكونون هم أشد حرصا من البيض على تجنب البيض .

ولقد قرأت لكارميكل تصريحا بعد اغتيال كنج يقول : « إن أمريكا

البيضاء أعلنت الليلة الماضية الحرب ضد أمريكا السوداء وأن ما نحتاج إليه هو المزيد من البنادق وليست ثمة حاجة إلى الكثير من المناقشات الفكرية حول الموضوع . وأنه عندما قتل كنج فى الليلة الماضية قتل أيضا آخر أمل للرجل الأبيض » .

ولقد اشتعلت الحرائق فى كل المدن الأمريكية الكبرى .

ووجدنا أمريكا التى مارست بكل ما تملك من غرور وصلف .. أعمال العنف .. فى شتى أنحاء العالم .. تشيع فى ربوعها بين يوم وليلة أعمال العنف وتشتعل الحرائق فى دورها ويدوى الرصاص فى طرقاتها ويسقط فى شوارعها القتلى والجرحى .

أمريكا التى غطت سماء فيتنام بدخان الحرائق قد غطى سماء عاصمتها الدخان الأسود .

أمريكا التى مكنت إسرائيل من أن تشن العدوان على العرب وتشردهم قد غصت مستشفياتها بالجرحى وأصبحت شوارعها ميادين قتال وبيتها الأبيض حصنا حربيا .

أمريكا التى ظنت أنها تصدر الدمار ولا تستورده قد أضحت عاصمتها مدينة أشباح وهجرها سكانها .. وباتت شيكاجو مدينة يمزقها الخوف وتسرى النار فى كل أرجائها .

لقد سخر أحد الشعراء .. فى قصيدة أخيرة له من أن الشرق ما زال يلجأ إلى الله .. ويقول : « يا قهار يا غلاب » .

وأنا لا أومن بالتواكل .. ولا أومن بانتظار المعجزات من الله .

ولكنى لا أملك وسط هذا الدمار الذى أنزل بتجار الدمار ..

الا أن أهتف برغم كل شىء « يا قهار .. يا غلاب » .

١٠ أبريل ١٦٩٨

نظرة .. شاملة

قدم الرئيس جمال عبد الناصر برنامج ٣٠ مارس إلى جماهير الشعب بأن خير ما نستطيع أن نتسلح به لمواجهة مسئوليتنا المقبلة . هو أن يكون فى يدنا برنامج عمل محدد تتفق عليه إرادتنا جميعا .

برنامج عمل يكفل وصولنا إلى الأهداف القريبة لنضالنا .. ويقرب منا يوم الوصول إلى الأهداف البعيدة لهذا النضال .

برنامج عمل نمسك به فى أيدينا . ثم نمضى على طريق الكفاح الطويل . وفى يدنا خريطة للأفق الفسيح أمامنا وخطة عمل لتقدمنا على هذا الأفق .

ولقد وضع برنامج العمل واتفقت عليه إرادة شعبنا فى مصر . ونحن نمسك به الآن فى أيدينا ونمضى به على طريق الكفاح الطويل بخريطة واضحة لأفقنا وخطة عمل لتقدمنا إلى أهدافنا القريبة . وأهدافنا البعيدة .

ولكننا .. هنا فى مصر .. لا نتحرك وحدنا .. لنحقق هدفا خاصا بنا .. لأننا .. أردنا أو لم نرد .. نشارك الوطن العربى كله أهدافه بل إن وحدة المصير العربى تشكل فى حد ذاتها هدفا هو وحده القادر على خلق وجود عربى تتحقق فيه الرفاهية والعدالة والقدرة على المشاركة فى نمو الحضارة الإنسانية وتحقيق السلام العالمى .

فنحن ببرنامج عملنا .. الذى نمضى به على طريق الكفاح .. لا يمكن أن نمضى به وحدنا .. لأن الخيوط الوثيقة التى تشدنا بالوطن العربى يمكن أن تقيد من حركتنا .. وتثقل من خطواتنا ما لم تكن جزءا من حركة عامة للوطن العربى كله ..

وخريطة الأفق الفسيح فى وطننا .. وخطة عملنا للسير عليـه ..

ستكفل لنا التقدم إلى أهداف نضالنا .

ولو كانت هذه الأهداف .. مرتبطة بشعبنا .. محددة فى وطننا .. لأصبح برنامجنا للعمل .. وخريطة أفقنا التى وضعنا خطتنا للتقدم عليها .. كافية لبلوغ هذه الأهداف ..

ولكن ... هذه الأهداف التى تتطلب منا حشد كل قوانا العسكرية والاقتصادية والفكرية .. على خطوطنا مع العدو لتحرير الأرض وتحقيق النصر .

هذه الأهداف .. لا يمكن أن تكون أهدافا خاصة بنا .. فالعدو الذى يرابط على خطوطنا الأمامية هو نفس العدو الذى يرابط على خطوط سوريا والأردن والذى يمكن أن يهدد حدود لبنان .

وحركته هنا لا تنفصل عن حركته هناك . فنحن وغيرنا من البلاد العربية مسئولون عن مجابهته فى كل جبهة ..

وتهديد مصير أية دولة عربية .. هو تهديد لمصير الوطن العربى كله .. لأن مطامع العدو التوسعية لا تتخير بلدا عربيا دون آخر .. وإنما هو يخطط لوجوده العدوانى .. فى الأرض العربية كلها .

فنحن إذن فى خطة عملنا للتقدم على طريق النضال . لا نستطيع أن نتقدم فى عزلة عن الآخرين .. ولا نستطيع أن ننجو بأنفسنا بأسهل الطرق .. لأننا مسئولون عن الوجود العربى .. ليس لمجرد أننا جزء منه .. بل صيانة لأنفسنا ولوجودنا .. ومواجهة للعدو .. بوجود كبير .. قادر .. بوحدة عمله المشترك وحشد إمكانياته .. على تدمير العدو ووضع حد لعدوانه ومطامعه .

نحن إذن فى حشد قوانا على خطوطنا مع العدو لتحرير الأرض وتحقيق النصر .. مرتبطون ارتباطا وثيقا بخطة عمل يجب أن تكون جزءا من خطة عربية كبرى .. تتقدم على خريطة تشمل أفقا أوسع من أفقنا .. تشمل

الأفق العربى كله .

أما تعبئة جماهيرنا فى الداخل بكل ما لها من إمكانيات وطاقات كامنة من أجل واجبات التحرير والنصر وآمال ما بعد التحرير والنصر ..

فهى أيضا مرتبطة ارتباطا وثيقا بالعمل الشامل الذى يشدنا مع بقية الوطن العربى .. وإذا لم تكن خريطة الأفق العربى واضحة .. وخطة العمل للتقدم عليه محددة .. فإن تعبئة إمكانيات الجماهير وطاقاتها الكامنة .. يمكن أن تستنزف ونحن نوجهها لتحقيق واجبات التحرر والنصر . إذا لم يحكم توجيهها عمل عربى موحد .. وخطة عربية محكمة شاملة .

والبرنامج نفسه يؤكد الانتماء المصرى إلى الأمة العربية تاريخيا ونضالبا ومصيريا .

ومن أجل ذلك يجب أن تتسع خريطة الأفق الفسيح التى فى أيدينا لتمنحنا نظرة شاملة على قدرة الوطن العربى وإمكانياته .. ولتحدد لنا خطة عمل لتقدمنا على هذا الأفق تكفل لنا الوصول إلى الأهداف القريبة لنضالنا .. وتقرب يوم الوصول إلى الأهداف البعيدة لهذا النضال .

وخريطة الأفق الفسيح للوطن العربى والإمكانيات العربية .. وخطة العمل للتقدم على هذا الأفق .. من غير ما شك .. موجودة فى أذهان الكثير ..

ولكن المهم — كما قال الرئيس جمال فى برنامجنا يوم ٣٠ مارس — أن ندرسها معا .. ونقرها معا .. وتنفق عليها إرادتنا جميعا .. وبعد أن يتحقق لقاء فكرنا عليه نمضى على طريق الكفاح الطويل .

والذى نعرفه جميعا أنه ليس لدى العرب خطة سياسية واحدة أو خطة عسكرية مشتركة .

فنحن إذن نمضى على طريق الكفاح للهدف الأصلى الذى يجمعنا

جميعا .. كل فى طريقه .. وكل بخطته .. وكل بجهده .. دون أن يجمعنا طريق واحد أو خطة واحدة .. تجمع جهودنا .. فى عمل مشترك .

وخريطة الأفق العربى الفسيح أمامنا .. تبدو مهتزة .. غير واضحة .. وهى أول ما يجب أن يتضح لأعيننا .. حتى نعرف .. ماذا نريد .. وبماذا نحققه .

ومحور الارتكاز الذى ترتكز عليه خريطة الأفق العربى .. والنقطة التى .. من أى سبيل بدأنا .. فلا بد أن ننتهى إليها .. هى بغير جدال .. الوطن الفلسطينى .

وسواء سلكنا السبيل السياسى .. أو خضنا طريق النضال المسلح .. فالهدف هنا أو هناك .. هو حق الشعب الفلسطينى فى وطنه .

فبالنسبة لخطة العمل السياسى .. لو اعتبرنا قرار الأمم المتحدة حلا للمشكلة فإن أول ما يجب تنفيذه هو انسحاب إسرائيل .. إلى خطوط الهدنة قبل ٥ يوليو .. وإذا كانت إسرائيل تعتبر قرار الأمم المتحدة جدول أعمال قابلا للمناقشة على مائدة مفاوضات يعفيها من أية التزامات واردة فيه ..

فهو أمر مرفوض رفضا باتا لأن العرب لن يقبلوا الصلح مع إسرائيل سواء كان ذلك بمفاوضات مباشرة أو غير مباشرة .

فإذا قبلت إسرائيل الالتزام بقرار المجلس كحل للمشكلة لتحتم عليها أولا الانسحاب إلى حدود الهدنة .. وهنا تنبت مشكلة الحدود الآمنة وهى فى أذهاننا حدود ما قبل ٥ يونيو والمناطق المنزوعة السلاح يجب أن تكون على الجانبين .

ولا شك أن خير طريقة لتنفيذ قرار مجلس الأمن — إذا كان يشكل حلا يجب تنفيذه هو أن يضع مجلس الأمن — وهو الهيئة صاحبة القرار — برنامجا تنفيذيا بجدول زمنى لخطوات التنفيذ على أن يكون المجلس بما فيه

الأربع الدول الكبار ضامنا لتنفيذه لأن العرب يعتبرون إسرائيل طرفا غير مؤتمن على احترام التزاماته وتجربة رودس الفاشلة التى لم تحترمها إسرائيل وكذلك عدم احترام إسرائيل للمناطق المنزوعة السلاح واحتلالها العوجة سنة ١٩٥٥ لا يجعل هناك من طريق لضمان تنفيذ قرار مجلس الأمن سوى مجلس الأمن نفسه .

فإذا قبلت هذا إسرائيل نبتت النقطة التالية وهى مرور إسرائيل فى القناة .. التى لا نقبل مناقشتها قبل أن تحل مشكلة فلسطين ذاتها .. وقبل أن يحصل الشعب الفلسطينى على حقه فى أرضه .

إذن فنحن نلف وندور ثم نصل إلى بيت القصيد وهو .. أن شعب فلسطين يجب أن يحصل على حقه فى وطنه .. ومن غير ذلك .. تصبح كل الشروط الأخرى معلقة فى الهواء .

وبطريق العمل العسكرى ..

سيكون الهدف النهائى .. بعد إزالة آثار العدوان .. هو عودة الشعب الفلسطينى إلى وطنه السليب .

ويتحتم علينا .. لكى نتقدم بخطة عمل إلى هدفنا .. أن نمسك بخريطة الأفق العربى الفسيح .. ومعالم الوطن الفلسطينى .. كما يمكن أن نتصور تحقيقها .. واضحة أمام أعيننا .

الخريطة المثلى هى أن يعود الأفق العربى فسيحا كما كان قبل أن تعبث به يد العدوان فى سنة ١٩٤٧ عندما كانت فلسطين يقطنها ٢ مليون منهم ١,٥ مليون عربى ونصف مليون إسرائيلى .

يمحى من خريطة العدوان كل آثار الأيديولوجى العنصرى الصهيونى .. بكل ما يحمله من مطامع توسعية استعمارية .. ويعود الشعب الفلسطينى إلى أرضه ومستردا كل حقوقه .

تلك هى خريطة الأفق العربى الفسيح المثلى ..

فما هى خطة العمل للتقدم العربى على هذا الأفق .

هل نملك إمكانيات التقدم بهذه الخطة ؟

وإذا لم نكن نملكها .. فما هو البديل لها الذى يمكن أن يحقق إمكانياتنا .

يجب أن نحدد بشجاعة إمكانياتنا .. ويجب أن نضع بشجاعة أيضا خطة عمل للتقدم بهذه الإمكانيات لنحقق أهداف نضالنا .. وبيدنا خريطة للأفق الفسيح .. غير وهمية ولا مهتزة بحيث يمكن أن نتقدم عليها بخطة العمل التى تهيئها إمكانياتنا .

وأول هذه الإمكانيات ..

المقاومة الفلسطينية .. التى يجب أن تنفتح .. ليس فقط عربيا .. بل يمكن أن تذهب إلى مدى أبعد من هذا .. إلى مجال عالمى .. نقبل فيه المتطوعين من المحاربين القادرين من مسلمى ومسيحيى العالم .

ليس هناك جدال فى أننا لا نحارب اليهود كشعب ولكننا نحارب الصهيونية التى تحشد اليهود من أجل تنفيذ أحلامها التوسعية العنصرية .

فإذا كانت الصهيونية تحشد اليهود من أجل عمل عدوانى عنصرى .. وإذا كان آلاف المرتزقة من يهود العالم من أوروبا وأمريكا قد شاركوا فى عدوان ٥ يونيو .. وإذا كان الجنود اليهود الأمريكيون الذين اشتركوا فى العدوان على فيتنام قد سحبوا قبل ٥ يونيو من فيتنام للاشتراك فى العدوان على العرب .

أفلا يسمح بحشد المتطوعين من جميع أنحاء العالم لرد العدوان .. وإزالة آثاره ..

لن يكون المسلمون والمسيحيون المتطوعون فى أنحاء العالم مرتزقة .. ولكنهم سيكونون فدائيين وراغبين فى الاستشهاد من أجل رد العدوان الصهيونى على الأماكن المقدسة .

ويجب أن يفتح الباب للاستفادة بالمتطوعين الخبيرين بالقتال والذين يمكن أن تحتاج إليهم المقاومة العربية .

ويجب أن تكون هذه المقاومة جزءا من العمل العسكرى الذى يجب أن يوحد تحت قيادة واحدة وبخطة عمل واحدة على الأقل بالنسبة للبلاد التى تواجهها إسرائيل فعلا .. وتحتل أرضها أو تهددها باحتلال أرضها .

إن واجهة إسرائيل التى تواجه بها البلاد العربية تزيد على آلاف الأميال .. ومن العجيب عسكريا أن تستطيع مجموعة من اليلاد أن تحيط ببلد كإسرائيل من جميع الجبهات ومع ذلك تقف إسرائيل بينها تضرب هنا وهناك فى صلف وغرور وتحد .. لأن البلاد المحيطة ليس بينها من مظهر العمل المشترك ما يمكن أن يكون بين مجرد حلفاء .. كما كان العمل العسكرى فى الحرب الكبرى بين الحلفاء فى مواجهة دول المحور .

أما العمل السياسى فيجب أن يتفق على خطة العمل فيه على أساس ما هى الصورة التى يمكن أن يكون عليها الوطن الفلسطينى .

إن تقرير المصير الفلسطينى ملك الشعب الفلسطينى وحده ..

ولكن الإمكانيات التى يمكن أن يتحقق بها هذا المصير هى إمكانيات الوطن العربى كله ومن أجل هذا يجب أن يحدد الصورة .. الوطن العربى كله وفى مقدمته الشعب الفلسطينى .

على نطاق الوطن العربى كله يجب أن نفعل ما فعلنا هنا فى مصر .. وما قال عبد الناصر فى تقديم برنامجه .

يجب أن يكون لدينا برنامج عمل نمسك به فى أيدينا وبعد أن يتحقق لقاء فكرنا عليه .. نمضى على طريق الكفاح الطويل .. وفى يدنا خريطة للأفق الفسيح أمامنا وخطة عمل لتقدمنا على هذا الأفق .

إن لم نفعل هذا عربيا .. فسيكون ارتباطنا العربى وانتماؤنا إلى الأمة العربية .. محددا لحركتنا .. مثقلا لخطانا .. التى نتقدم بها لنحقق أهداف

نضالنا .

وما يحق علينا .. يحق على كل بلد عربى ..

ويصبح على الوجود العربى أن يواجه كارثة .. لو اضطر كل بلد عربى أن يسلك طريقه وحده .. بخطة منفردة لحل مشكلته كمشكلة خاصة وبأسهل الطرق .

وإذا تقدم كل بلد عربى فى طريقه بخطته لحل مشكلته .. بأسهل الطرق ..

فعلى الوجود العربى .. والحضارة العربية ـــ حينذاك ـــ العفاء ..

١٥ مايو ١٩٦٨

فى مفترق .. الطرق

عقدت لجنة الـ ٥٠ المشرفة على الانتخابات اجتماعها الأول بالرئيس جمال عبد الناصر لوضع البرنامج التنفيذى لعملية الانتخابات .. تبدأه بوضع الجدول الزمنى اللازم لعملية التنفيذ والذى يحدد أولا موعد فتح باب الترشيح للوحدات الأساسية وموعد وإجراءات انتخابات لجانها وأمنائها .. وكذلك ممثلوها فى المستويات الأعلى الذين يكونون هيئة مؤتمر القسم ، والمركز ، والبندر. ثم ثانيا تحديد موعد الترشيح وإجراءات الانتخابات للجان القسم والمركز .. وكذلك أمناؤها وممثلوها فى مؤتمر المستوى الأعلى وهو مؤتمر المحافظة .. ثم ثالثا تنظيم موعد وإجراءات الانتخابات للجان المحافظات وكذلك الأمناء .. ثم رابعا تحديد موعد انعقاد وإجراءات الانتخابات فى أكبر مستوى وهو مستوى الجمهورية وهى اللجنة المركزية العليا .

وفى يوم الاثنين قبل أن تعقد لجنة الخمسين اجتماعها الأول صدرت القرارات التى تحدد طريقة تكوين لجان الاتحاد الاشتراكى وتكوين مؤتمراته على مختلف المستويات بحيث أضحى شكل الاتحاد الاشتراكى واضحا بتفاصيله من القاعدة إلى القمة .

فلقد أوضحت القرارات الأربعة الطريقة العملية المحددة التى سيتم بها بناء الاتحاد الاشتراكى بالانتخاب وتسلسل تكوين مؤتمراته ولجانه على المستويات الأربعة .. وهى :

(١) مستوى الوحدة .. (٢) مستوى القسم أو ما يعادله ..

(٣) مستوى المحافظة .. (٤) مستوى الجمهورية .

وقد حدد عدد أعضاء اللجنة فى مستوى الوحدة بعشرة أعضاء ينتخبهم أعضاء الوحدة الأساسية ، على أن تقوم هذه اللجنة بانتخاب أمين وأمين مساعد ، وكذلك بانتخاب من يمثلها فى مؤتمر المستوى الثانى وهو مؤتمر المركز أو القسم أو البندر بواقع اثنين عن كل ٢٠٠ عضو وبحد أقصى عشرة .

وهكذا يتكون مؤتمر المستوى الثانى أى مؤتمر المركز من ممثلى اللجان المنتخبة من مؤتمر المستوى الأول وهو الوحدة .. وبعد ذلك يقوم مؤتمر المستوى الثانى بانتخاب لجان من ٢٠ وأمين و ٢ أمين مساعد ، وكذلك يقوم بانتخاب ممثلين له فى مؤتمر المحافظة بحد أدنى ٨ وحد أقصى ١٦ .

وبذلك يتكون مؤتمر المستوى الثالث أى المحافظة من مندوبين منتخبين من لجان المستوى الثانى .

ثم ينتخب مؤتمر المحافظة لجنته من ٢٠ عضوا وكذلك أمين وأمينين مساعدين على أن يتكون مؤتمر المستوى الرابع وهو الجمهورية من مجموع أعضاء مؤتمر المستوى الثالث المحافظة . ومعنى ذلك أنه ليس فى مؤتمر المستوى الثالث انتخابات للمستوى الرابع لأن جميع أعضائه وهم الذين انتخبتهم لجان المستوى الثانى أعضاء فى المؤتمر العام للجمهورية بحكم عضويته لمؤتمر المحافظة .

على أن يقوم المؤتمر العام بانتخاب اللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكى من ١٥٠ عضوا .

تلك هى الصورة الكاملة لبناء الاتحاد الاشتراكى بكل مؤتمراته ولجانه بالانتخاب ابتداء من المستوى الأول وهو مستوى القاعدة التى تتكون من الوحدات الأساسية متدرجا إلى المستوى الثانى للقسم أو ما يعادله إلى المستوى الثالث للمحافظة إلى المستوى الرابع للجمهورية بحيث يكون الشكل العام لكل مستوى يتكون من مؤتمر ولجنة أمناء .

وعملية الانتخابات القادمة .. بعد أن ألقى الرئيس جمال عبد الناصر على قوى الشعب الواعية عبء ضمان تحقيق بيان ٣٠ مارس — عملية حيوية خطيرة فهى الطريق الطبيعى الذى يجب أن يسلكه الشعب لتحقيق قدرته على الضمان بدقة انتخاب ممثليه وحسن اختيارهم .

إن هذا الاختيار الجاد الدقيق هو الذى يمكن أن يؤكد دور قوى الشعب العاملة وتحالفها وقياداتها فى تحقيق سيطرتها بالديمقراطية على العمل الوطنى فى كافة مجالاته .

فالديمقراطية هى سيطرة الشعب على طاقاته وقدرته وتوجيهها لمصلحته .

وهو لا يسيطر بجماهيره المبعثرة ولكن بتكتلها وراء قيادات هى صاحبة الحق فى وجودها .. وهى التى انتقتها واختارتها لتعبر عن مشاعرها وترسم اتجاهاتها وتحقق رغباتها .

فالوسيلة إلى سيطرة الشعب على السلطة من أجل مصلحته .. هم أولئك المختارون بواسطته المعبرين عن إرادته .. فإذا قصر فى اختيارهم أو ضلل فى انتخابهم فإن عملية الديمقراطية تصبح عملية زائفة وتصبح إرادة الشعب قاصرة عن بلوغ السلطة وتوجيهها ، ويصبح المختارون — بدل أن يكونوا أعصاب الجماهير الحساسة .. التى تمارس بها إرادتها وتعبر بها عن مشاعرها وإراداتها — يصبحون أداة منعزلة عن الشعب لا تعبر إلا عن نفسها ومصلحتها ورغباتها .. ويصبح وجودهم فرضا لا اختيارا .. وتنقلب وظيفتهم إلى نوع من السيادة يمارسونها على الشعب بدلا من أن تكون نوعا من الخدمة يؤدونها لتنفيذ إرادة الشعب والتعبير عن إحساسه .

من أجل هذا .. وفى هذه المرحلة بالذات .. التى يقف فيها الشعب فى مفترق طرق .. بين مرحلة سيطرة مراكز القوى .. وبين مرحلة إطلاق قوى الشعب للسيطرة الحقيقية على السلطة .. تنبت حيوية الاختيار

وخطورة الانتخاب .

إن الشعب وحده بحسن الاختيار وجدية الانتخاب هو القادر على أن يسلك الطريق الحقيقى للديمقراطية .. القادر على أن يؤكد دور قوى الشعب العاملة الواعية .. القادر وحده على أن يقضى على العيوب والقصور التى صادفت تكوين الاتحاد الاشتراكى بحيث يجعل منه بحق (وبعد أن أتيحت الفرصة له لكى يبنيه بالانتخاب الحر من القاعدة إلى القمة) أكثر الصيغ ملاءمة لحشد القوى الشعبية بوسيلة الديمقراطية وعلى أساسها القادر على أن يجعل منه بحق تجسيدا صحيا وحيا بحيث تكون الثورة بالشعب وللشعب .. وليست لفئة معينة تدعى لنفسها مكان السلطة أو موقع الطليعة بالفرض والادعاء .. القادر على أن يجعل منه بحق الضمان لعدم تحكم طبقة أيا كانت والضمان لتجنب دموية الصراع الطبقى والضمان لكفالة التقدم والضمان لتأكيد الصلة الوثيقة بين الحرية الاجتماعية والحرية السياسية وأن تتوافر كل الضمانات للحرية الشخصية والأمن بالنسبة لجميع المواطنين فى كل الظروف وأن تتوافر كل الضمانات لحرية التفكير والتعبير والنشر والرأى والبحث العلمى والصحافة .

وعملية الانتخاب المقبلة بكل ما تمثله من حيوية وخطورة ستؤدى دورها الحقيقى إذا أنجبت وليدا يمثل هذا الشعب بكل رغباته وإرادته وأحاسيسه .

وتأدية الانتخابات دورها الحقيقى تتوقف على أمرين :

الأول : تهيئة المناخ الصالح لكى يقوم الشعب بعملية الاختيار ..

والثانى : أن يمارس الشعب نفسه عملية الانتخاب بجدية ووعى ودقة اختيار .

والأول من واجب القيادة .

والثانى من واجب الشعب ..

وما تم حتى الآن من ناحية القيادة يشعر المرء بالأمانة والإخلاص .. فى كل ما اتخذ من إجراءات مهيئة للانتخابات . وبأنها تسعى حقا لكى تحقق بالانتخابات سيطرة قوى الشعب بالديمقراطية على العمل الوطنى فى كافة مجالاته .

لقد هيأت المناخ اللازم للانتخاب الحر من القاعدة إلى القمة .. بإطلاق عملية الانتخابات .. دون ارتباط بقيادات سابقة .. وبفتح الباب على مصراعيه للانضمام إلى عضوية الاتحاد الاشتراكى .

ولقد شكلت اللجنة المشرفة على الانتخابات من مجموعة بعثت الارتياح والطمأنينة فى نفوس الناس .. استطاعت عملية الاختيار (سواء بأسس التكوين أو بنتيجة الاختيار على هذه الاسس) أن تقدم للشعب نخبة ممتازة قادرة على أن تهيىء المناخ الصالح للانتخابات .

بقى دور الشعب فى الانتخابات ..

والسؤال الذى يطرح هنا : على أى أساس يكون الاختيار .. ورغم أن تلك هى حرية كل فرد فى التقويم وفى الاختيار فإنى أعتقد مع التسليم أولا وقبل كل شيء .. بأنه يتحتم على كل مواطن أن يؤدى دوره فى الانتخابات على أساس المشاركة الجادة الدقيقة فى اختيار ممثليه الذين سيتولون التعبير عنه والعمل بإرادته وبمشاعره .

أعتقد أن اختيار المرشح يمكن أن يكون على أساس شخصية الفرد ومبادئه ، وأسلوبه فى العمل .

أما بالنسبة لشخصه فيجب أن يقوم الاختيار على أساس الثقة فى خلق الفرد ، فى وفائه وصدقه مع من يتعاملون معه . فى احترامه للغير .. فى فهمه للمسئولية وشجاعته فى تحملها .. فى قدرته على التفاهم والتعاون وفى سعة صدره ورحابة أفقه وألا تغلب أنانيته تصرفاته .

أما بالنسبة لمبادئه فهى أن يكون مؤمنا بدينه ووطنه ومجتمعه الاشتراكى

الديمقراطى .

أما بالنسبة لأسلوبه فى العمل فإنه يجب أن يكون ..

١ ـــ السعى لتحقيق حرية الوطن ورفاهيته بالعمل الجاد والسعى لتحقيق الاشتراكية بأوضح مفاهيمها وهو أن الدين أساس المجتمع والاشتراكية ليست متاهات فلسفية أو قوالب مصبوبة بل هى البيت السعيد يحققه القادرون على العمل تظللهم مظلة الصحة والعلم والأمان الاجتماعى .

٢ ـــ الإنتاج هو الأداة الفعالة لتحقيق الاشتراكية.ومعيار الإخلاص للوطن والاشتراكية هو التفوق فى الإنتاج .

٣ ـــ الصدر الرحب وعدم الاستعلاء والمناقشة المنطقية والحوار المقنع هى أسلوب الارتباط بالجماهير .. والتعبير عنهم .. وتحقيق إرادتهم .. وليس بالتقارير والوشايات أو التنكيل أو الاستعلاء ..

تلك هى صورة المنتخب الذى يمكن للإنسان أن يختاره لمواقع القيادة ويأمن إليه فى تعبيره عن مشاعره وممارسته لإرادته فى العمل السياسى .

وكما قلت إن المسألة أولا وآخرا شعور بالمسئولية عن نتيجة الانتخاب والمسئولية عن مرحلة مقبلة يبنى فيها مستقبل وطننا .. وتتأكد فيها قدرته على النصر وعلى تحقيق آمال ما بعد النصر ..

وإذا كنا نريد أن نقرر مصيرنا فى هذا المستقبل فيجب أن نمارس هذا التقرير بكل ما نملك من وعى وفهم .

إننا نحن الشعب القوة التى تشكل مصير الوطن .

إننا نحن الضمان لكى لا تتكرر مأساة خلق مراكز القوى .. أو ضياع سلطة الشعب .. وضياع كل ما نحققه من حريات وضمانات لأمن المواطن وكرامته .

٢٢ مايو ١٩٦٨

عمل تكتيكى ؟ أم استراتيجى

أعلن الاتفاق على أسس تشكيل المجلس الوطنى الفلسطينى الذى سيمثل جميع الفلسطينيين والذى تنبثق منه السلطة التى تقود العمل الفلسطينى الشامل فى كل نواحيه .

وقد اتفقت المنظمات الفلسطينية على تشكيل لجنة تحضيرية تمثل جميع الهيئات لاختيار المجلس الوطنى من مختلف جوانب العمل الفلسطينى .

وكانت تلك هى أمنية كل عربى ، التى نرجو أن تتم بالاتفاق على تشكيل المجلس الذى يوحد العمل الفلسطينى ويجمع القادة الفلسطينيين فى قيادة موحدة للعمل السياسى والعسكرى .

ولقد كان عمل الفدائيين بكل ما اتسم به من شجاعة وتضحية .. هو الخطوات السديدة التى قادت العمل الفلسطينى إلى مجراه الطبيعى السليم .

ولم يكن من الممكن .. والعمل الباهر يتفجر .. مشرقا بالروح الفلسطينية .. مؤكدا للوجود الفلسطينى .. أن يفرض عليه أى قيد من أى نوع .. حتى ولو كانت قيودا تنظيمية .. فى محاولة للتوحيد والتنسيق .

كان أهم ما فى الأمر أن تطلق الروح الفلسطينية الشجاعة .. لتواجه العدو .. فى معاقله .. بعد أن أسفر للعالم عن وجهه العدوانى .. وأطماعه ووحشيته .. وبعد أن كشف القناع فى صلف وغرور عن دعوى المستضعف فى محاولة اكتساب الوجود الشرعى .. وبدا أمام العالم محتلا طاغيا ..

لم يكن من الممكن والشعب الفلسطينى يتحول من خيام اللاجئين إلى معسكرات التدريب . ويتدفق شبابه باحثين عن الموت .. من أجل عودة

الروح الفلسطينية .. باذلين حياتهم فعلا .. دون انتظار لشيء .. إلا أن يجعلوا من أجسادهم المستشهدة معبرا للعودة ..

لم يكن من الممكن والحال هذه .. أن ينتظر العمل الباهر .. حتى تجرى عملية التنظيم .. بعد أن أعطى السلاح لكل فدائى يندفع نحو الاستشهاد .. من أجل فلسطين .. دون تمييز إلا أن يكون مخلصا قادرا .

ولكن . بعد أن توطدت أقدام العمل الفدائى .. وازداد حجمه .. وتعددت منظماته ..

وبعد أن بدا الوجه الفسلطينى المشرق القادر ..

أضحى العمل الفلسطينى يتطلب أسلوبا آخر .. هو أسلوب المواجهه .. الذى بدأ فعلا فى معركة الكرامة ..

و لم تعد الأعمال الفدائية التى تعتمد على أسلوب « اضرب واهرب » قادرة ، وهى متفرقة ، على طريقة المواجهة ..

بل لقد باتت فلسطين نفسها .. تحتاج إلى تنظيم أقوى وأكبر .. يجمع كل هذه القوى المخلصة الشجاعة لتكون الدعامة للوجود الفلسطينى .. والبناء القومى .

وأنا أذكر فى المؤتمر الذى نظمته اللجنة الشعبية لدعم المقاومة العربية الفلسطينية تأييدا لحركة المقاومة ودعما لكفاحها واشتركت فيه جميع الاتحادات العربية ، أن النغمة السائدة فى خطب الممثلين للقوى الشعبية العربية هى الرغبة فى توحيد العمل الفدائى ، والرغبة فى دعمه بكل ما تملك القوى الشعبية من وسائل .

ولقد أعلن ممثلو الاتحادات يومذاك عن مساهمة اتحاداته المادية فى دعم أعمال المقاومة .

و كان من المتحدثين الزميل أحمد بها الدين كنقيب للصحفيين . ولقد أبدى يومها رأيا فى مناقشة مع الأخ شفيق أرشيدات والأخ خيرى حماد فى

مسألة المساهمات المادية التى قدمتها الاتحادات مؤكدا أن المنظمات الفلسطينية ليس أمس حاجاتها .. المال .. وليس معنى ذلك أنها لا تحتاج إلى الدعم المادى .. ولكن المال لا يمثل حاجتها الملحة .

ولقد التقيت بأحد قواد المقاومة فى منظمة الفتح ولم تختلف وجهة نظره عن وجهة نظر أحمد بها الدين وتناقشنا فيما تحتاج إليه المنظمات الفلسطينية فى الدرجة الأولى . ولم يكن هناك شك فى أن التدريب على مستوى عال .. والسلاح المتقدم هو ما تحتاج إليه المنظمات الفلسطينية .. فالأفراد من ناحية العدد متوافرون .. والإقبال على معسكرات التدريب مذهل .. ولكن خبراء التدريب على هذا النوع الخاص من الحروب هو الذى تحتاج إليه المنظمات .. وكذلك نوع الأسلحة .

وبعد ذلك ينبت سؤال .. بعد أن أدى العمل الفدائىً هدفه الأول .. التلقائىً .. وهو هدف معنوى لتحقيق عودة الروح الفلسطينية .. ومادى فى إقلاق العدو المستمر وعدم إعطائه الفرصة للاسترخاء فى الأراضى التى احتلها .. واعتبارها مكاسب للعدوان يحق أن يستتب له الأمر فيها .

بعد أن أدى العمل الفدائىً هدفه الذى حققه ينبت سؤال : ما هو الهدف الأكبر الذى يحدد طبيعة الفدائىً .. هل هو تكتيكى .. أم استراتيجى ؟ ..

هل هو جزء من عمل كبير .. ينسق معه ويرتبط به .. أم هو عمل مستقل سيحقق هدفه .. بنفسه ؟ .

هناك ردان على السؤال ..

فمن وجهة النظر العربية .. يمكن أن يكون العمل الفدائىً عملا تكتيكيا فى مرحلة كاملة .. عملا مرتبطا بالعمل العربى الموحد (إذا وجد) وهو لا بد أن يتخذ مكانه فى الخطة العربية الموحدة لمواجهة إسرائيل .

ومن وجهة النظر الفلسطينية يمكن أن يكون العمل الفدائى .. هو عملا فلسطينيا مستقلا .. له الشكل الاستراتيجى وهدفه تحرير الأرض الفلسطينية ..

وسواء كان أى الردين أسلم .. وسواء كان العمل الفلسطينى عملا استراتيجيا أو تكتيكيا فالمهم هو أن يتوحد العمل وينمو .. ويرتبط بالعمل السياسى الفلسطينى .. على أن يرتبط كلاهما بالعمل العربى الموحد ..

والمهم أن يتدعم العمل الفلسطينى بواسطة العرب بكل ما يملكون من طاقة .. بالمال والسلاح والتدريب ..

إن فلسطين قد بعثت بالعمل الفدائى .. ويجب أن يستقطب هذا العمل الباهر .. كل العناصر القادرة .. بحيث يخلق بها الوجود الفلسطينى .. وتتكون الدولة الفلسطينية الموحدة بجيشها القادر وكيانها القوى .

٢٩ مايو سنة ١٩٦٨

فلسطين الجديدة

بعد عشرين عاما من غرس الخنجر الإسرائيلي فى جانب العرب ..

وبعد عام من آخر نخسة أدمت الجسد العربى ومزقت المزيد من لحمه .. نقف لنلقى نظرة سريعة شاملة وراءنا .. لنرى إلى أين وصل بنا الحال .

ماذا فعلنا بأنفسنا .. وماذا فعل بنا العدو ؟ .

نظرة إلى الوراء .. من حق كل لاهث مكروب .. ليرى .. أى أرض قطع .. وفوق أى ظهر يستوى ..

تقدير موقف .. من وجهة نظر ..

ومن حق كل إنسان له نظر .. وله عقل .. أن ينظر .. ويقدر .

أين تقع منا فلسطين .. وما هى بالنسبة لنا ..

بعد تجارب الأعوام الطويلة .. ما أظن هناك من يجسر على أن ينكر أنها — أردنا أو لم نرد — قد باتت من الحيوية فى موضع القلب .. و لم يعد ارتباطنا بها مجرد ارتباط مودة وأخوية .. وإنما بات ارتباط كيان ووجود ..

فالعرق .. والجهد .. ومشقة السنين الطويلة فى البناء .. قد تراق .. مع دماء الآلاف من أعوادنا الخضر .. كما حدث .. بالأمس .. فى ارتطام مع العادى عليها وعلينا .. القاضى على وجودها .. المهدد لوجودنا .

ونحن قد أخطأنا خلال السنوات الطويلة الماضية .. ويجب أن نعرف أخطاءنا .. وأن نوقفها .. ونعمل على تجنبها ..

والعدو أخطأ — رغم كل مظاهر انتصاره — ويجب أن نعرف حقيقة

أخطائه حتى تتصيده بها . ونعرف مقتله منها .

وأول أخطائنا .. هو أننا بلا قيادة موحدة .. متفرغة للعدو .. وليس مقصودا بالقيادة مجرد القيادة العسكرية .. وإنما هى قيادة لمواجهة العدو فى كل مجالات مقاومته وتدمير إمكانياته .

والقيادة المطلوبة .. كان يجب أن تستند إلى دراسات واسعة عميقة فى كيان العدو .. تكوينه البشرى .. وعلاقات مجتمعه .. وأهدافه .. وقدراته على تحقيق الأهداف .. وامتداداته الخارجية .. ومدى ارتباطها به معنويا وماديا ..

والقيادة المطلوبة كان يجب أن تدرس كيفية تقليم امتدادات العدو الخارجية .. وكيفية لقائه فى الميادين المتفرقة فى العالم الواسع كما نعرف كيف نلقاه فى مجتمعه الداخلى .

إنه يتكون من خليط عجيب .. مستورد .. ساعدنا نحن .. بغير وعى فى الإضافة إليه .. وتنميته .

ولو كانت لدينا قيادة .. وللقيادة خطة .. لمواجهة إسرائيل فى الداخل لما اتخذنا الموقف المتناقض بين مقاومة الهجرة إلى إسرائيل .. والمعاونة فيها .. بطرد اليهود العرب من البلاد العربية .. ليهاجروا إلى إسرائيل .

والقيادة المطلوبة .. كان يمكن أن تحدد ــ بشجاعة ــ الصورة التى يجب أن تكون عليها فلسطين ..

وتحدد موقفها من اليهود العرب والمسيحيين العرب داخل فلسطين .. لأنهم مواطنون فلسطينيون عرب .. ولأنهم يجب ألا يشكلوا عداء للعرب .

والقيادة المطلوبة كان عليها من أول الأمر .. ألا تساعد على تمزيق الدولة الفلسطينية .. وعلى تحويل شعبها إلى لاجئين ..

كان يجب عليها أن تبقى على فلسطين التى لم يحتلها اليهود .. كمرتكز

للوطن الفلسطينى .. يجمع أهله .. لا فى معسكرات اللاجئين ولكن فى بلد قوى .. يقيم نهضة وينشد بناء ويحشد جيشا .. ويواجه المعتدين .. كغزاة احتلوا جزءا من أرضه .. بحيث يواجه العالم .. ببلد .. قائم .. احتله الغزاة الغرباء .

والقيادة المطلوبة .. كان يجب أن تجمع الموارد العربية .. من كل نوع فى عمل عربى موحد لدعم النضال الفلسطينى من أجل استعادة أرضه المحتلة .. كان يجب أن نفعل ذلك كله .. ولكننا لم نفعله .

ومع ذلك .. فقد فعلنا أشياء إيجابية .. فعالة .

لقد نجحنا فى عزل السوسة الإسرائيلية التى تحاول أن تنخر فى الجسد العربى . وفى حصار سرطانها الذى حاول أن يسرى فى الجسد العربى خلال السنين الطويلة ليتشعب فيه ويصبح جزءا منه .

لقد نجحنا فى منح الجسد العربى مزيدا من المناعة ضده .. والكراهية له ..

و لم يفلح بعد كل هذا الزمن الا فى أن يبقى غريبا كما هو . لم يعرف طعم الراحة والاستقرار .. بل استمر وجوده معزولا .. وعلى استعداد دائم .. لأن يلفظ بعيدا ..

ولقد نجحنا ــ رغم فشلنا فى التجمع كقوة ــ فى أن يصبح كل منا أقوى مما كان فى بنائه الذاتى .. بحيث أصبح من المحقق لو وصلنا إلى نوع من التجمع .. أن يكون تجمع الاقوياء .. لا زحمة الضعفاء ..

ولقد نجحنا أيضا ــ ولعل بعض الفضل يرجع إلى عدونا ــ فى تعريته أمام الرأى العام العالمى .. وفى كسب الكثير من الأصدقاء ..

تلك هى نواحى الخطأ والصواب . فى مواجهتنا للعدو ..

ما هى نواحى الخطأ والصواب فى مواجهته لنا ؟

أولى نواحي الصواب : هى استغلال قدرته وتفوقه العلمى وإمكانيات

أصدقائه بأقصى ما يستطيع .. فى البناء الداخلى لتوطيد بنائه . وفى المعارك العسكرية لتأمين وجوده وفى الدعاية الخارجية لكسب موضع عالمى يضمن بقاءه ونموه .

ولقد استطاع بذلك أن يحقق لنفسه الوضع الذى وصل إليه الآن .

ولكن السؤال الذى يدور فى الأذهان .. ولا سيما فى ذهن العدو نفسه .. هل حقق له هذا الوضع ما يريد من استقرار وأمان واستمتاع بما حققه من رخاء .

الإجابة .. قطعا لا ..

والسبب .. فى أغلبه .. أخطاؤه هو .

وللعدو أخطاء .. فرضت عليه بطريقة تكوينه . بل بمجرد وجوده .. وله أخطاء .. لم يكن منها بد .. لمحاولة تثبيت وجوده .. الذى كان فى حد ذاته .. خطأ كبيرا ..

مهما كانت وجهات النظر الصهيونية التى تبرر وجود إسرائيل ومهما كانت المبادئ التى قامت عليها الصهيونية .. فهى بغير جدال فكرة حمقاء انفعالية .. لا يمكن أن تجد لها عندما توضع مجردة فى عصرنا هذا .. أى قبول لدى الذهن البشرى المتقدم .

ليس هناك ذهن عادى فى هذا الزمن يقبل قيام الدولة الدينية العنصرية .

وليس هناك ذهن طبيعى يقبل حجة الأرض الموعودة بعد آلاف السنين .

وتصبح نتيجة الأخطاء هى محاولة تكوين دولة من أجناس مختلفة .. من العسير أن تجمعها ألفة أو مودة . أو تقارب . بل يصبح كل ما يجمع المواطنين من مشاعر هو الخوف على المصير . والجزع من عدو يهدد وجودهم بملايينه المائة فى كل لحظة .

ذلك هو الخطأ .. الذى لم تكن لإسرائيل يد فيه .. لأنها ولدت

نتيجته .

خطأ فى طريقة الوجود ..

ينبع منه بعد ذلك .. خطأ فى محاولة الاستقرار .. بالعنف .. والفرض ..

والسؤال البسيط الذى لا يريد الصهاينة أن يسألوه لأنفسهم ..

هل يمكن اكتساب الأمان بالكراهية .. وهل يمكن فرض الطمأنينة بإيغار الصدور ؟ .

والرد واضح أمام إسرائيل .

واضح .. كالشمس .. فى الوضع الذى وصلت إليه الآن .. وبعد ما حققت أقصى ما يمكن أن تحققه .. تدمير جيوش .. واستيلاء على أراض .. والتحكم فى مواقع تمنحهم الأمان العسكرى ..

ومع كل هذا .. لم يحدث أن شعرت إسرائيل .. بأقل أمان كما تشعر الآن .

والوطن العربى أمام الصهاينة طويل عريض . والعرب كثيرون .. يقفون أمامهم — رغم فرقتهم — كالشبح المخيف .. صابرا .. صامدا .. كارها .. حاقدا ..

والرجل فى إسرائيل ما زال يقول لامرأته .. اذبحى نفسك .. واذبحى الأولاد .. لو جاء العرب ..

أى حياة .. وأى أمان ..

بعد عشرين عاما .. ما زال الإسرائيلى — رغم ما حققه من انتصارات — يعيش فى ذعر من وصول العربى .

وقد يمنحهم أصدقاؤهم المزيد من الطائرات .

وقد يحصلون على مزيد من الانتصارات .

ولكن بمزيد من الكراهية ومزيد من الحقد ..

ويبقى وجود إسرائيل معلقا .. بمدافعها وطائراتها ..
معلقا .. بفرقة العرب وتخلفهم ..
معلقا بقوة الاستعمار .. وغناه ..
وذلك هو أحد أخطاء إسرائيل .. فى الحساب والتقدير ..
أن تبنى وجودها على الفارق بين ضعف العرب .. وقوة خصومهم ..
إن قوة الاستعمار تضمر ..
وإن العرب مهما .. مر بهم من محن وأزمات .. يسيرون .. إلى أفضل .. ماديا .. ومعنويا ..
هكذا أراد الله ..
أنبت البترول فى أرضهم ..
وأنضج شعوبهم .. ذهنا وروحا .. والمقارنة بين ما كنا فيه .. وما أصبحنا عليه .. غير عسيرة .. وسنصبح أفضل .. وأفضل .. مهما أحاط بنا فى بعض الأوقات من ضباب التشاؤم .
وفلسطين قد بعثت .. فى فدائييها .. وشبابها الذين قدموا أرواحهم فى فرحة ولهفة .. كأن صبرهم إلى الاستشهاد قد طال .
هذه الأرواح لم تذهب سدى .. ولن تذهب سدى ..
إنها النبراس الحقيقى الذى يضىء طريق العودة .
إنها الدعامة التى تستند عليها فلسطين الجديدة .. فلسطين .. الأبطال . وليس فلسطين اللاجئين .. هذه هى نظرة سريعة خاطفة إلى الوراء وفق الله خطانا إلى الأمام .. وهدانا إلى وحدة عمل .. نحقق بها قدرنا الحقيقى فى مواجهة كل التحديات التى تواجهنا وتهدد وجودنا ومصيرنا .
٥ يونية سنة ١٩٦٨ .

جبهة .. تحتاج إلى التركيز

اجتمع وزراء الخارجية العرب فى الدورة الخمسين لمجلس الجامعة العربية والجو مشحون بالاحداث والمسألة العربية تقفز مرة أخرى لتحتل الصدارة من مشاكل العالم التى تهدد بالانفجار ..

فقبل يومين من بدء الاجتماع بدأت إسرائيل تتحرش وكأنها تقدم لعدوان جديد وأعلن ديان بعد حادث اختطاف الجندى الإسرائيلى ومصرع اثنين آخرين من جنود إسرائيل فى الضفة الشرقية للقناة بأن إسرائيل تعتزم التصرف بعيدا عن هيئة الرقابة الدولية وفسر مصدر عسكرى إسرائيلى تصريح ديان بأنه مقدمة لإجراء ما ضد الجمهورية العربية المتحدة .

كما أكدت وكالات الأنباء فى جميع أنحاء العالم بأن الموقف خطير بين مصر وإسرائيل وأنه ينذر بانفجار مفاجئ .

ومن قبل أكدت دوائر لندن أن إسرائيل تستعد لعدوان واسع قريب على الأردن وأنها تجرى تحركات عسكرية واسعة النطاق ، وأنها قد أعدت الكبارى المتحركة لتعبر المدرعات الإسرائيلية فوقها من الضفة الغربية إلى الشرقية من نهر الأردن وقد أعلن بعد ذلك أن يارنج سلم أبا إيبان رسالة من أوثانت تحذر من أى عدوان .

وتبدو إسرائيل فى حركاتها العصبية كأنها قد أصبحت فى قفص من عدوانها . وأنها تتخبط فى ذعر كلما لوح لها بالتهديد من جانب إلى جانب . وأنها ترفع يدها هنا .. ثم ترفع يدها هناك فى محاولات للبطش لعل النخسات التى ما فتئت تنخسها فى جانبها . تكف عن إقلاقها وتتركها فى

راحة تستمرئ ما اقتضمته بالعدوان .

ولقد عادت إسرائيل بعد محاولات التحرش والتمهيد للعـدوان .. لتطلب عقد اجتماع خاص لبحث ما وصفته بأنه « عدوان مصرى » على خط وقف إطلاق النار فى منطقة القناة بعد أن أعدت شكوى توضح فيها مدى الخطورة التى تنظر بها إلى الحادث .

وإسرائيل فى كل تصرفاتها تصر على أن تجعل من العدوان أمرا واقعا إما باستتباب الأمر عليه .. أو بالمساومة فيه لنيل ما تبغى من مكاسب الوجود الشرعى .. بالصلح معها والاعتراف بها .

فهى تحاول أن تجعل من وجودها فى الأرض المحتلة وجودا دائما يتوافر له الاستقرار بتخطيط مرسوم قائم على طرد العرب بطريقة منظمة مستمرة لكى يحل محلهم اليهود المجلوبون من شتى أنحاء العالم . وبمحاولة تهويد القدس واستتباب الأمر لهم فى غزة .

والمقاومة العربية المتزايدة تشكل عنصرا فعالا فى حرمان إسرائيل من ممارسة الاستقرار ومن تحويل العدوان إلى واقع مسلم به . وهى من أجل هذا تتحرك فى عصبية بتهديداتها المستمرة واعتداءاتها التى لا تتوقف .

ولقد استطاعت حركة المقاومة الفلسطينية أن تشكل خطرا حقيقيا .. شهدت بهذا الأوبزوفر البريطانية عندما قالت « إن الفدائيين الفلسطينيين أصبحوا مصدر خطر سياسى وعسكرى لأمن إسرائيل على المستوى العربى والدولى وأن إسرائيل انفقت ٥٠ مليون جنيه لتزويد مستعمراتها الواقعة على خطوط وقف القتال بالمخابئ ، كما أنفقت ملايين أخرى لإنشاء حواجز دفاعية على هذه الخطوط » .

وفى نفس الوقت جمدت مهمة جونار يارنج حتى أضحى كما وصفه السيد محمود رياض وزير الخارجية المصرية يدور فى حلقة مفرغة لا ينتهى إلا إلى طريق مسدود بسبب موقف إسرائيل واستخفافها بالقـرارات

الدولية وتعمدها وضع العراقيل والعقبات فى طريق المبعوث الدولى .

فى هذا الوقت الذى تتزايد فيه المقاومة الفلسطينية .. وتجمد فيه إسرائيل مهمة يارنج .. وتتحرك فى حماقة وعصبية محاولة التهديد بالانتقام قضاء على المقاومة العربية واستنفادا لجهد العرب عن الاستعداد للمعركة الأصلية الفاصلة للخلاص من العدوان .

فى هذا الوقت الذى تعمل فيه إسرائيل على الاستقرار فى الأرض المحتلة وتجميد الوضع بها لتحويله إلى واقع .. ليكون قاعدة لمزيد من العدوان أو قاعدة للمساومة على قبول الوجود الشرعى بالاعتراف والصلح ..

فى هذا الوقت ..

يجب أن ينبت العمل الإيجابى العربى الموحد .. لمواجهة حركات إسرائيل وإحباطها .. ثم للحركة الإيجابية من أجل المعركة الفاصلة .

ولقد أعلن وزير خارجية مصر فى اجتماع وزراء الخارجية العرب أن الخطوات الإيجابية للدفاع قد استكملت وأنه يجب الاهتمام كل الاهتمام بالجبهة الأردنية .. والجبهة الأردنية من غير ما شك .. هى الجبهة التى يجب أن يركز فيها العمل العربى الموحد .. بتدعيم الدفاع .. وتدعيم المقاومة .. ثم تحويلهما فى خطة واحدة إلى عمل إيجابى يمكن أن يكون له أثره الحاسم الفعال فى المعركة الفاصلة .

وإسرائيل لم تندفع إلى حرب يونيو الا بعد إحساسها بأن هناك عملا مشتركا يمكن أن يقوم بين الجبهتين .. الجبهة المصرية والجبهة الأردنية ..

والمعركة .. أى معركة .. لا يمكن أن تكون فى جبهات متعددة منفصلة .. بل إن جبهاتها جميعا يجب أن تعمل فى خطة مشتركة واحدة .. وجبهة الأردن هى الجبهة المباشرة التى تواجه العدو والتى يمكن فيها تلقى أول ضرباته .. أو توجه أقسى وأخطر الضربات له .

وإذا كان الدفاع فى الجبهة السفلى — جبهة القناة — قد استكمل ..

ومعنى هذا أن هجوم العدو .. لم يعد بالمسألة السهلة .. وأن عنقه يمكن أن يدق لو غامر بالهجوم فيها .. وقد يكون هذا هو السبب فى تحوله فجأة عن التهديد بالعدوان إلى الشكوى فى مجلس الأمن .

إذا كان الأمر كذلك فى جبهة القناة فإن التركيز العربى يجب أن ينتقل إلى جبهة الأردن .. بكل ما يملك العرب من قدرة ، بعد أن باتت الأردن هى مقتل العرب .. يمكن أن يلاقوا فيه الضربة التالية . ووزراء الخارجية يعلمون هذا . ولكن العمل يحتاج إلى شىء أكثر من مجرد العلم .. وشىء أكثر من مجرد الاقتراح أو التوصية .. أو القرارات .

إنه أمر عاجل يحتاج إلى تنفيذ ..

يحتاج إلى قوات تحشد وإلى مطارات تعد .. وإلى أعمال عسكرية .. تواجه إسرائيل .. فى مقتلها .. كما تواجهنا هى بحشودها فى مقتلنا .

لقد وصف عبد الناصر فى رسالته إلى الطلاب المصريين التحدى الذى يواجه وطننا العربى بما تعرض له الوطن « وما زال » من عدوان . ووصفه بأنه عثرة عابرة يثق ثقة مطلقة بأننا قادرون على التغلب عليها بمشيئة الله وعونه .

والعمل العربى الموحد فى مواجهة العدو .. هو أول منابع هذه الثقة التى تجعل من هذا التحدى عثرة عابرة سوف نجتازها إلى أفق أرحب وأكثر إشراقا يمكننا فيه أن نواجه تحديات أكبر من أجل الرخاء والعدالة والاستقرار والسلام .

مشكلة .. شباب العصر

نخطئ عندما نتعامل مع مرحلة من السن على أن أصحابها يشكلون نوعا .. أو طبقة .. أو شيئا محددا جامدا مستديما .. وننسى أنها مجرد فترة يمر بها البشر لينتقلوا إلى مرحلة غيرها .

والمشكلة الحقيقية لنا فى مختلف مراحل السن .. ناتجة أصلا عن أنها مجرد مرحلة .. وأن أصحابها وهم يمرون بها لا يقدرون أنهم سيعبرونها غدا إلى مرحلة جديدة .. وأنهم عندما يصلون إلى المرحلة الجديدة سينسون أنفسهم فى المرحلة السابقة .. ولا يعودون يذكرون إلا المرحلة التى يمرون بها .. ويتعاملون مع أصحاب المراحل السابقة واللاحقة وكأنهم قد جمدوا فى هذه المرحلة .. وكأنها هى العمر كله يتحتم على المراحل كلها أن تفكر بتفكيرها وتعمل بأسلوبها .

الطفولة والمراهقة والشباب والرجولة والكهولة والشيخوخة مراحل محتم علينا المرور بها إذا مد الله فى أعمارنا .. وأطفال اليوم هم مراهقو الغد وكهول اليوم هم شباب أمس .. ولكننا نعزل أنفسنا فى كل مرحلة نمر بها وكأننا سنخلد فيها .. نسخر من المراهقين وكأننا لم نكن مراهقين ونهزأ بالشيوخ وكأننا لن نصبح شيوخا .

ولكل مرحلة مشاكلها .. ولكن المشكلة تتعقد أكثر عندما يتجمد الناس فى المراحل المختلفة .. وينعزل أصحاب كل مرحلة فى المرحلة التى يمرون بها فتنقطع روابط الثقة .. والمحبة .. والتعاون .. ويصبح التعامل بين المراحل المختلفة مبنيا على الشك .. وسوء الفهم .. وسوء الظن .. ويشوب العلاقة بين المراحل .. أو الأجيال إحساس من الصغار بأن الكبار

لا يفهمونهم وأنهم يقفون عقبة فى طريق تقدمهم .. وأنهم يسدون الطريق إلى المستقبل .. وإحساس من الكبار بأن الصغار جيل عاجز أحمق لا يعتمد عليه .

من هنا تتمزق أواصر العلاقة الوثيقة بين الأجيال .. وتنشأ بينها فجوة ثقة واحترام وحب .. لا بد منها لوصل الأجيال بعضها بالبعض الآخر .. من أجل الامتداد الطبيعى السليم للحياة .. وتزداد مشاكل الأجيال تعقيدا .. بعد أن ينعزل كل جيل فى المرحلة المؤقتة التى يمر بها .. ويفقد الارتباط الطبيعى الواجب بين الأجيال السابقة له واللاحقة به .

ومشاكل الشباب من أعقد المشاكل التى تمسك بخناق العصر الذى نمر به .. وجزء من هذه المشاكل طبيعى .. تتميز بها مرحلة الشباب فى كل جيل .. فهى مشاكل سن .. أو مشاكل مرحلة .. ناتجة عن احتياجات السن وانفعالاتها وهى مشاكل عامة إنسانية مزمنة عانتها الأجيال عبر العصور المختلفة فى جميع بقاع العالم .. واختلف التعامل معها .. والقدرة على علاجها حسب طبيعة المجتمع الذى يعيش فيه أصحاب المشكلة .. وما يمكن أن يقدمه من إمكانيات لعلاجها وهى مشاكل بدنية وروحية .. مشاكل اللقمة والجنس والعاطفة وآمال المستقبل .. من طبيعة الشباب أن يعانيها .. ومن حقه أن يطلب حلا لها .. ومن واجب الجيل الأكبر أن يعاونه فى حلها .

وغير المشاكل الطبيعية المزمنة .. توجد مشاكل العصر التى يتميز بها عصر بذاته .. وقد تختلف من مجتمع إلى مجتمع ومن بيئة إلى بيئة فى نفس العصر .

والشىء الذى يميز مشاكل عصرنا .. هو أزمة الثقة .. وفجوة الإيمان والمحبة التى تواجه الشباب .. والتى تدفعه إلى أن يكفر بالجيل الأكبر وبقدرته على حل مشاكله .. ويتقدم هو لحلها محطما كل القيم والتقاليد .

والجيل الأكبر فى عصرنا .. وهو الجيل المتهم بالجمود وعدم الفهم .. لطبيعة الشباب ومشاكلهم قد يكون غير مذنب فى كثير من التهم التفصيلية الصغرى التى توجه إليه من الشباب والتى تفرضها ثورة الشباب وانفعاله وطموحه وطبيعته وتبرمه بتلكؤ الجيل السابق له أمامه .. يسد عليه الطريق إلى التقدم .. محاولا التشبث بمواطئ أقدامه فى الحياة إلى آخر لحظة ممكنة فى عمره .. هذه التهم التقليدية التى وجهها الشباب إلى الشيوخ فى كل عصر .. قد يكون الجيل الأكبر غير مذنب فيها .. ولكنه فى يقينى مذنب فى التهمة الكبرى التى يمكن أن يوجهها الشباب إليه .. وهو أنه فشل فى أن يقدم إليه برغم كل التطور العلمى عالما أفضل .. ومستقبلا أكثر رخاء وأمنا .. وسلاما ومحبة .

هذه التهمة .. قد شارك فيها الجيل الأكبر مع غيره من الأجيال السابقة .. ولكن المشاركة لا تعفيه من الذنب .. ومن تحمل وزره أمام الأجيال اللاحقة له .

هذه هى التهمة الكبرى التى تدين الجيل الأكبر الذى قاسى فى مرحلة الشباب تعاسة القلق وذاق مرارة الحرب والدمار .. ومع ذلك تقدم إلى مرحلة المسئولية وكاد يعبرها .. دون أن يفلح فى أن يخطو بالعالم خطوة واحدة .. نحو الهدوء والاستقرار .. ودون أن يرفع عن كاهل الشباب .. ما أثقل ظهره هو .. بل ربما .. حمل الشباب المزيد من أعباء التوتر والقلق .

تلك هى التهمة الكبرى .. التى تدين الجيل الذى تحمل مسئولية هذا العصر .. فى العالم كله .. إدانة قاطعة تزعزع ثقة الجيل الأصغر فيه .. وتخلخل الإيمان به وبقدرته على أن يقدم لهم أرضا أصلب وأرحب يمكن أن يوطدوا أقدامهم عليها .. وأفقا أوسع وأشرق .. يمكن أن ينطلقوا فيه .. لممارسة حياتهم فى أمان وسلام .

تبقى بعد ذلك التهم الصغرى المتبادلة بين الأجيال . تهمة الجمود وعدم الفهم التي يتهم بها الجيل الأكبر .. وتهمة الطيش وعدم النضج التى يتهم بها الجيل الأصغر بالإضافة إلى إحساس الشباب بوقوف الشيوخ عقبة فى سبيلهم .. وإحساس الشيوخ بتعجل الشباب قطف ثمار المستقبل قبل نضجها .

ويضاعف من أثر التهمة فى عصرنا أزمة الثقة وفجوة الإيمان والمحبة .. التى كانت فيما مضى يمكن أن تشد الأجيال بعضها إلى بعض وتدفع فيها الإحساس بالترابط الذى يشعر كل جيل أنه امتداد للجيل الذى يسبقه وأن الأجيال بترابطها تكون الوضع الطبيعي المتماسك للحياة .

إن أسوأ ما يمكن أن يصيب جيل الشباب هو فقده الإيمان بقدرة الجيل السابق له وثقته فيه واحترامه له .. وأن تتحكم فيه اللهفة على الخلاص منه من أجل أن يحل محله .. لأن هذه المشاعر .. لا شك سيورثها للجيل اللاحق له .. وسيعانى منها هو .. ويصبح بعد بضع سنوات .. فى وضع الجيل السابق له .. بلا ثقة ولا محبة .. من الجيل الذى يليه .. وتصبح الحياة أجيالا مفرقة معزولة .

وأسوأ ما يفعله الجيل الأكبر .. هو أن يتعالى على الجيل الأصغر .. أو يحاول أن يفكر له .. بطريقة تفكيره هو .. بعد أن تعدى الشباب وجاوز انفعالاته ومشاعره .. أو يفرض عليه أسلوب أيام شبابه هو .. بعد أن تطور المجتمع .. وتغير أسلوب العيش فيه .

يجب ألا يفرض الجيل الأكبر .. نفسه على الجيل الأصغر وأن خير ما يمكن أن يهتدى به هو حديث الرئيس جمال عبد الناصر فى الجلسة الثانية عشرة لمجلس الأمة يوم ٢٠ يناير ١٩٦٥ فى عهده الذى قبل به ترشيح مجلس الأمة له لرئاسة الجمهورية .

لقد أكد الرئيس جمال أن المهمة الأساسية التى يجب أن نضعها (نحن

الجيل الأكبر) نصب عيوننا فى المرحلة القادمة .. هى أن نمهد الطريق لجيل جديد يقود الثورة فى جميع مجالاتها السياسية والاقتصادية والفكرية .. ولسنا نستطيع القول بأن هذا الجيل قد أدى واجبه إلا إذا كنا نستطيع — قبل كل المنجزات وبعدها — أن نطمئن إلى استمرار التقدم وإلا فإن كل ما صنعناه مهدد بأن يتحول — مهما كانت روعته — إلى ثورة لمعت ثم انطفأت .. إلى بداية تقدمت ثم توقفت .

وقال الرئيس جمال إن الأمل الحقيقى هو فى استمرار النضال ويتأكد الاستمرار حين يكون هناك — فى كل وقت — جيل جديد على أتم استعداد للقيادة ولحمل الأمانة ومواصلة التقدم .. أكثر وعيا وصلابة وطموحا من جيل سبق .

وينبغى أن ندرك أن التمهيد لهذا الجيل واجبنا وأننا نستطيع — بالتعالى والجمود — أن نصده ونعقده .. وبالتالى نعرقل تقدمه وتقدم أمتنا .

إن علينا — بالصبر أن نستكشفه دون من عليه ولا وصاية .. وعلينا — بالفهم — أن نقدم له تجاربنا دون أن نضيع حقه فى تجربته الذاتية . وعلينا — فى رضا — أن نفسح الطريق له دون أنانية .. تتصور غرورا أنها قادرة على شد وثاق المستقبل بأغلال الحاضر .. وعلينا أن نتيح له — بفكره الحر — أن يكشف عصره دون أن نفرض عليه — قسرا — أن ينظر إلى عالمة بعيون الماضى .

هذا هو ما وضعه الرئيس جمال عبد الناصر أسلوبا للتعامل مع الجيل الأصغر .. لا تعال ولا جمود ..

وبقى على الجيل الأصغر .. أن يثق فى الجيل الأكبر .. فلا يمكن أن يكون وضعه الطبيعى إلاامتدادا طبيعيا للجيل الذى سبقه .. كما كان الجيل الأكبر .. امتدادا طبيعيا للجيل السابق له .. وهو لا يمكن أن ينبت من الفراغ .. بل أن يستند إلى أصل يثق فيه ويؤمن به .. لكى يكون هو ذاته

قاعدة لجيل لاحق .. يمنحه نفس الثقة والإيمان اللذين منحهما هو للجيل الذى قبله .

يجب أن نقضى على أزمة الثقة ونملأ فجوة المحبة والإيمان المتبادلة بين الأجيال .. وإلا انتهى العالم .. إلى أجيال ممزقة حاقدة .. حانقة .. لا يمكن أن تقدم للحياة .. محبة ولا رخاء .. ولا سلاما .

إن شباب مجتمعنا المصرى .. ما زال يحمل فى قرارة نفسه هذه الثقة والمحبة .. التى افتقدها الشباب فى معظم أنحاء العالم .

ومن أجل هذا يجب أن يعمل الجيل الأكبر على الاحتفاظ بهذه الثقة وأن يضع كلمات الرئيس جمال موضع التنفيذ الفعلى من كل جيلنا .

يجب ألا نتعالى عليه .. ويجب ألا نتجمد أمامه .. ويجب أن نقدم له بأسلوب عصره .. الحل لكل مشاكله التقليدية .. أو التى خلقها العصر .

يجب أن نمهد له الطريق .. ونمنحه كل ما نملك من تجربة .. ونترك له الحرية فى أن يختار طريقه ويصنع تجربته وأن نمد أيدينا إليه لنجذبه .. لا لنصده .. حتى نكون أهلا لثقته وحبه وحتى نجعل من الثقة والحب والإيمان أواصر متينة تربط الأجيال لتصنع التطور الطبيعى للحياة و للحضارة .

١٦ أكتوبر ١٩٦٨

بين الحق .. والباطل . !

منذ أيام ألقى وزير الدفاع فى إسرائيل الجنرال موشى ديان خطابا فى مؤتمر لاتحاد الطلبة الإسرائيليين أبدى فيه وجهة نظره فى مشكلة الشرق الأوسط واحتمالات تطورها فى المستقبل وأسلوب مواجهة هذه التطورات من جانب إسرائيل والخطوط العريضة لهذه المواجهة .

والتطورات التى يبنى عليها ديان خططه للمستقبل تنبع من ضياع فرص السلام الذى تأمل فيه إسرائيل على أساس شروطها .. ومن توالى ازدياد قوة العرب العسكرية التى استعادت ما كانت عليه قبل ٥ يونية وزادت ما يعادل النصف .. والتى ستحقق مضاعفة قواتها الضاربة فى خلال عام ونصف عام وكذلك إلى تزايد نشاط الفدائيين الذى أنزلوا بإسرائيل منذ العدوان حوالى ١١٠٠ قتيل وجريح .

والخطوط العريضة لمواجهة هذه التطورات تقوم على أساس مضى إسرائيل فى الاستعداد لحرب أخرى مع الدول العربية .. مع الاستعداد فى نفس الوقت لإدماج الأراضى المحتلة أو أجزاء كبيرة منها إدماجا كاملا فى إسرائيل بحيث تتخذ الخطوات الرسمية لضمها عند اليأس من عقد سلام مع العرب .. والإقدام على الحرب الثانية .

أما بالنسبة لمضى إسرائيل فى الاستعداد للحرب .. فبعضه علنى يعرفه العالم كله كصفقة طائرات الفانتوم التى أعلن جونسون موافقة حكومة الولايات المتحدة على تزويد إسرائيل بها والمفروض أن تنتهى المفاوضات الخاصة بها لكى تقوم أمريكا بتسليمها لإسرائيل فى أقرب وقت .. كما أذيع نبأ أن مجموعة من الطيارين الإسرائيليين قد بدأت التدريب عليها بواسطة

بعثة أمريكية كمحاولة لكسب الوقت حتى يتم شحن الطائرات الفانتوم إلى أسرائيل .

وقد أعلن أيضا على لسان مارسيل داسو صاحب مصانع الطائرات الفرنسى عن قرب تسليم صفقه طائرات الميراج الخمسين التى كانت إسرائيل قد تعاقدت عليها وفرض الحظر على تسليمها حتى الآن .

هذا هو ما أعلن من استعداد إسرائيل للحرب .. وبقى ما لم يعلن .. ومما قد تعرفه الأجهزة المسئولة عن مثل هذه الأشياء .. ومما لا تعرفه .

أما عن الجانب الآخر من مواجهة إسرائيل لتطورات الموقف فى الشرق الأوسط .. وهو الاستعداد لإدماج الأراضى المحتلة من الدول العربية إدماجا كاملا فى إسرائيل توطئة لاتخاذ الخطوات الرسمية لضمها عند اليأس من عقد سلام مع العرب بشروط إسرائيل أو بمعنى أوضح فرض سلام دائم على العرب يحقق إرادة إسرائيل القائمة على الفلسفة الصهيونية وجودا وتوسعا .

إن الخطوط العريضة التى أعلنها ديان لإدماج الأراضى المحتلة هى :

١ ـــ تعمير مرتفعات جولان بالسكان .

٢ ـــ التدعيم العسكرى لشبه جزيرة سيناء .

٣ ـــ ضم الضفة الغربية وقطاع غزة اقتصاديا وإداريا مع إدماج شباب هذه المناطق فى الأجهزة الإدارية الإسرائيلية .

ذلك هو تقدير الموقف للمستقبل من وجهة نظر وزير الدفاع الإسرائيلى وهو مبنى على أساس نمو القوة العسكرية للعرب وازدياد المقاومة الفلسطينية وتمسك العرب بعدم التسليم لشروط إسرائيل .

ولقد أكد مناحم بيجن عضو الوزارة الإسرائيلية وجهة النظر هذه عندما هاجم الحل السياسى قائلا : إن قبوله هزيمة لإسرائيل وإن أساس وجود إسرائيل هو حقها الخالد فى أرض أجدادها .. يعنى بذلك إسرائيل

الكبرى التى تمتد من النيل إلى الفرات .

ومن كل ما قاله ديان ومناحم بيجن وما سبق أن أعلنه بن جوريون من أن إسرائيل وجدت بالقوة المسلحة .. وستبقى بالقوة المسلحة .. من أقوال هذا الفريق الواقعى الذى يمثل المدرسة العسكرية صاحبة مبدأ القوة فوق الحق الذى يعرى حقيقة إسرائيل دون أن يأبه بما يقوله الرأى العام العالمى .. ودون أن يهتم بتغليف وجهة نظره بما يستر طبيعة إسرائيل الفاشية العدوانية .. يبدو أن احتمالات الموقف فى الشرق الأوسط من وجهة النظر الإسرائيلية الواقعية تتبلور فى إحدى النقطتين التاليتين :

١ — قبول العرب استسلاما لشروط إسرائيل بحكم الانتصار العسكرى الذى حققته .. والذى يمنحها حق فرض وجود شرعى تضمن أمنه ودوامه مكاسب حققها العدوان والانتصار العسكرى .

٢ — حرب أخرى يمهد لها المضى فى الاستعداد العسكرى .. والمضى فى إدماج الأراضى المحتلة .

تلك هى وجهة النظر الإسرائيلية الواقعية عن احتمالات المستقبل بالنسبة للمشكلة .. قائمة أساسا على فرض إرادتها بالقوة .. وإذا لم يحقق لها عدوان ٥ يونيو ٦٧ ما ترجوه من ثمار .. فليس أمامها إلا الإقدام على عدوان آخر تفرض به ما فشلت فى فرضه بالعدوان الأول .

وجهة نظر إسرائيل للمستقبل .. على كل ما فيها من عدوان وظلم وافتراء وباطل .. واضحة .. وطبيعية .. ومنطقية من طرف أقام كيانه على العدوان المسلح والمطامع التوسعية والوجود العنصرى .

ما هى وجهة نظرنا نحن العرب للمستقبل .. التى تقابل وجهة نظر إسرائيل .. والتى على أساسها نقدر موقفنا ونرسم خططنا ونبنى استعدادنا .. لمواجهة خطط إسرائيل واستعداداتها

إن الشكل العام للقضية من وجهة نظرنا واضح لا لبس فيه وهو أن

هناك عدوانا على الشعب الفسلطينى العربى وعلى أرضه من قوى دخيلة مستوردة من الخارج ذات طبيعة توسعية تساندها قوى استعمارية تلتقى معها فى مصالحها .. وأن هذه القوى المجسدة فى إسرائيل المحققة للمطامع الصهيونية والمصالح الاستعمارية فى سبيل تأمين وجودها وتوسعها قد شكلت عدوانا على أراضى البلاد العربية المجاورة .

وعلى هذا الفهم للقضية يصبح هدفنا العام هو إزالة العدوان من الأرض العربية وإعادة حق الشعب الفلسطينى المسلوب إليه واضعين فى الاعتبار أننا لا نوجه عداء لليهود وأن حق التعايش بين اليهود وغيرهم من الأديان الأخرى مكفول فى البلاد العربية وبينها فلسطين العربية .

ذلك هو فهمنا المبسط للقضية وغرضنا الذى نهدف إلى تحقيقه فيها ..

يأتى بعد ذلك السؤال .. الطبيعى .. كيف نحقق غرضنا .. وبأى إمكانيات ؟ وماذا نملك من هذه الإمكانيات الآن .. وعلى أى مدى نستطيع أن نستكمل الإمكانيات المحققة للهدف .

ويصبح السؤال التالى .. ماذا نملك أن نحققه بإمكانياتنا فى كل مرحلة .. حتى نستكمل الإمكانيات الكاملة المحققة لهدفنا العام .

أن نقول .. إن هدفنا الذى لا بديل له .. هو إزالة آثار العدوان عن البلاد العربية وأن تصبح فلسطين عربية .. وأن يعود شعب فلسطين إلى أرضه .. مع السماح لليهود والعرب بالتعايش مع العرب فى فلسطين العربية .. حق لا يقبل المناقشة .

ولكن أن نواصل قوله .. والمزايدة فيه .. دون أن نرسم الخطة لتحقيقه . ونضع الإمكانيات اللازمة لكل خطوة فى هذه الخطة .. فأمر .. غير مجد .. إلا فى تجميد أنفسنا فى مكان من القضية .. يصبح تحقيق هدفنا فيها .. أمرا مستحيلا .

ونحن الآن نواجه عدوانا إسرائيليا واقعا وعدوانا إسرائيليا منتظرا ..

وإصرارا من إسرائيل على رفض الحل السياسى على أساس قرار مجلس الأمن وتصميما على فرض السلام بشروطها أو فرض جولة أخرى من المعركة .

ومواجهتنا لإصرار إسرائيل .. قائمة على أساسين :

١ — الحل السياسى على أساس قرار مجلس الأمن والمسبق بإعلان رفض التفاوض مع إسرائيل والاعتراف بها والصلح معها .

٢ — مواصلة البناء العسكرى استعدادا لجولة أخرى . لم يعد منها مفر بعد استحالة التقاء وجهات النظر مع إسرائيل فى الحل السياسى .. وإصرار إسرائيل على أن تكون القوة هى الحكم النهائى فى الوضع فى المنطقة .

ورغم وصولنا إلى مرحلة يبدو فيها الحل السياسى أشبه بالشبح .. أو الوهم . فإن وجهة نظرنا التفصيلية فى الحل السياسى ومطابقتها لوجهة نظرنا العامة فى القضية .. تحتاج إلى مزيد من الوضوح لأنفسنا ومزيد من الفهم المتبادل .. بيننا نحن العرب .

أن قبولنا للحل السياسى على أساس قرار مجلس الأمن يحتاج إلى توضيح لأنفسنا وتنسيق مع الهدف العام .. ورغم أنه غير مقبول لإسرائيل .. فإن ذلك لا يمنع من مناقشته بيننا وبين أنفسنا على أساس ربطه بالحل العام للقضية وعلى أساس الوضوح الشامل لكل خطانا فى طريق حل المشكلة .

قرار مجلس الأمن ينص على انسحاب قوات إسرائيل إلى خطوط ما قبل ٥ يونيو إلى حدود آمنة وعلى حرية الملاحة وحل مشكلة اللاجئين . وفهمنا للقرار يحتم انسحاب قوات إسرائيل انسحابا غير مشروط . وعلى أن تكون الحدود الآمنة هى حدود ما قبل ٥ يونيو وتؤمنها الأمم المتحدة فى منطقة منزوعة السلاح بين الطرفين . ثم نعلق بعد ذلك حرية الملاحة على حل المشكلة الفلسطينية .

وليصبح بذلك حل مشكلة فلسطين مفتاحا للموقف لأنه لا حرية ملاحة بدونها ولأن انسحاب إسرائيل سيعقبه مطالبتها .. بضمان حدود

آمنة وبحرية الملاحة .

وإذا كان حل مشكلة فلسطين هو مفتاح الموقف .. فيجب قبل أن يوضع قرار المجلس موضع القبول .. أن يكون حل مشكلة فلسطين كما نقبله واضحا بتفاصيله .. كل الوضوح .

وإذا كان حل مشكلة فلسطين .. هو أولا وآخرا بيد الشعب الفلسطينى نفسه .. فيجب أن يكون الشعب الفلسطينى طرفا رئيسيا فى قبول القرار وتنفيذه .. ما دام هو المعنى الأول والمسئول الأول عن هذه الفقرة فى القرار وإلا فيصبح القرار .. فاقدا .. لمفتاح الموقف فيه . ما دمنا لا نضعه فى يد المعنى به والمسئول عنه .

ويبرز بذلك السؤال .. هل هناك اتفاق واضح متفق عليه بين العرب .. وفى مقدمتهم الشعب الفلسطينى على حل عملى للمشكلة الفلسطينية يمكن أن يوضع بشجاعة ووضوح كأساس لتنفيذ قرار مجلس الأمن .

وهنا ينبت سؤال .. قد يكون عجيبا بعض الشىء .. هل يوجد الكيان الفلسطينى الموحد الجامع للنظام السياسى والقوة العسكرية والذى يمكن أن يعبر عن الشعب الفلسطينى بمسئولية وبكفاءة وقدرة على التنفيذ .

هل يوجد ما يقابل جبهة التحرير الجزائرية .. وجبهة التحرير الفيتنامية .. كممثل وحيد للكفاح الوطنى السياسى والعسكرى .. وكمعبر وحيد عن الشعب المكافح ؟ .

إن من الزم اللوازم للقضية هو وجود هذا الكيان .. المسئول .. الذى يمكن أن يقول لأى راغب فى مناقشة القضية الفلسطينية .. إن هذا الكيان هو وحده الذى يمكن أن يناقش ويبت .

هذا الكيان المسئول الذى يضم القوة السياسية والعسكرية والذى

يمكن أن يقوم بمسئولية البرنامج السياسى المفصل الذى يضمن الحل الواقعى للمشكلة .. والذى يملك الإمكانيات للكفاح من أجلها .

لقد أعلنا قبولنا لقرار مجلس الأمن .. — وكما لا يختلف عليه اثنان — بحل المشكلة الفلسطينية على رأسه ..

فما هو الشكل العملى المحدد الواضح الذى تقدمنا به .. كحل للمشكلة الفلسطينية .. وكمفتاح لا بديل عنه لقرار مجلس الأمن . الحل الذى لا بد أن يكون العرب قد اتفقوا عليه وفى مقدمتهم الشعب الفلسطينى ..

ولماذا لا يعلن هذا الشكل المتفق عليه كحل للقضية الفلسطينية .. — إذا كان موجودا بالفعل — لكى يجمع عليه الرأى العام العربى .. ولكى يكون هناك فهم واضح للشعوب العربية لمدى تحقيقة للهدف العام الذى نسعى إليه .. حتى لا يكون هناك تخبط ومزايدات قد تبنى على عدم الفهم أو عدم التقدير وعدم المسئولية .

إن حل المشكلة الفلسطينية .. لا يمكن أن يكون بمعزل عن إزالة آثار العدوان .. لأن العدوان .. حدث من أجلها .. وإزالته .. كما قال الرئيس جمال .. كمجرد عدوان .. ليس مشكلة فى حد ذاتها .. ولكن مشكلته أنه مرتبط بقضية فلسطين . وإلا استطاع كل بلد عربى أن يزيل آثار العدوان باتفاق ثنائى .. وعلى فلسطين العفاء ..

وحل المشكلة الفلسطينية .. لا جدال .. مسئولية الشعب الفلسطينى أولا .. ولكنها مسئولية مرتبطة بكل البلاد العربية .. ومن أجل هذا يجب أن يكون للشعب الفلسطينى كيان مسئول .. ويجب أن يقود الكفاح الفلسطينى ويشارك فى العمل السياسى الذى يبذل من أجل الحل السياسى .. ويتحمل مسئوليته الحقيقية فيه .. باعتبار أن حل المشكلة الفلسطينية .. هو مفتاح الموقف فى أى حل سياسى .

ومن أجل هذا يجب أن يوحد الكفاح الفلسطينى تحت راية واحدة وبحيث أن يتحمل مسئولية العمل السياسى والعسكرى .. كجزء من العمل العربى .. معبرا بمسئولية عن الشعب الفلسطينى .. كجزء من الأمة العربية .. يشارك فى خطتها العسكرية .. وفى عملها السياسى .

وتصبح مواجهتنا لإسرائيل فى الحل السياسى .. واضحة .. لأنفسنا .. وللعالم .. وإذا كانت النتيجة السياسية محكوما عليها بالفشل .. وإذا كان العمل السياسى يتباعد ويتوارى ليصبح مجرد طيف فى أحلام الكرى لمحبى السلام أو أمنية فى أحلام اليقظة لأصحاب النوايا الطيبة .

وإذا كانت إسرائيل تشعر أن ما لم تحققه بعدوانها الأول .. يحتاج لعدوان آخر لتحقيقه .

فإن علينا .. على كل مخلوق عربى .. أن يعرف .. أن على العرب أن يواجهوا إسرائيل فى هذه الجولة .. ليس لمجرد استرداد حق الشعب الفلسطينى .. أو لاسترداد أرض محتلة .. أو الدفاع عن أرض عربية أخرى يمكن أن تقع فريسة للعدوان الإسرائيلى .. ولكن دفاعا عن الكيان العربى كله .. والحضارة العربية كلها ..

إن ما قاله أولئك الذين تحدثوا فى إسرائيل بواقعية وصراحة .. مؤكدين أن إسرائيل ماضية فى الاستعداد لحرب أخرى مع العرب .. يجب أن يواجه بفهم واقعى مشترك من العرب .. كل العرب ..

إننا نحاول جهدنا أن نمضى فى تدعيم قواتنا العسكرية .. وإسرائيل تحاول جهدها كذلك .. وقد يتحول السباق بيننا إلى سباق بين السلاح السوفيتى .. والسلاح الأمريكى .. وسباق التدريب وكفاءة الحرب .. ويبقى لنا فرصة التفوق .. بالعمل الموحد .. بالخطة العسكرية الموحدة .. باستعمال إمكانيات العرب كلها .. فى معركة المواجهة ..

الإمكانيات المادية .. والبشرية .. المطارات .. والموانى .. والجيوش .. تصبح كلها .. تحت أمر واحد .. وفى خطة واحدة .. لنخوض المعركة بروح المقاتل العربى من أجل المصير العربى .

هذا هو مجال التفوق .. فعسى ألا نخطئه .. وعسى ألا تدهمنا المعركة القادمة .. ونحن مازلنا نفكر فيه ونحاوله ..

إنها معركة مصير .. فيجب أن نواجهها بالصراحة والوضوح والصفاء .. والفهم العميق لحقيقة أبعادها بالنسبة للعرب كلهم ..

٢٣ أكتوبر سنة ١٩٦٨

ماذا تستطيع .. أمريكا ؟

فى حديث للسيد محمود رياض مع السفير جونار يارنج فى آخر زيارة له فى القاهرة أكد وضوح موقفنا على أساس قبولنا لقرار مجلس الأمن واستعدادنا لتنفيذه .

وفى نفس الوقت تصر إسرائيل على ألا تعلن عن قبولها لقرار مجلس الأمن .

وإذا كانت مشكلة الشرق الأوسط — كما تبدو للرأى العام — هى مشكلة تعذر إقرار السلام العادل فى المنطقة .. لأن إسرائيل تدعى أن أمنها مهدد وأنه لا سبيل لإقرار السلام إلا بمفاوضات مباشرة مع الدول العربية لتوقيع معاهدة صلح تحل محل اتفاقيات الهدنة .

فى الوقت الذى يجد العرب فى إسرائيل أداة لتهديد أمنهم وتشريد مواطنيهم والاستيلاء على أراضيهم .. وتهديدهم بالنوايا التوسعية .

وبالنسبة للرأى العام العالمى يتحتم لحل المشكلة أن يبطل العدوان الذى يهدد أمن المنطقة وأن يضمن سلامة دولها فى نطاق حدود مأمونة غير مهددة .

وقرار مجلس الأمن يحدد كيفية الوصول إلى هذا الحل .. وقبوله أو عدم قبوله بالنسبة لكل طرف يحدد مدى رغبة هذا الطرف فى إقرار السلام العادل الذى يوصل إليه قرار مجلس الأمن .

ويبدو لى — والحديث قد كثر — عن قرار مجلس الأمن .. ونصوصه قد تباعدت عن أذهاننا حتى كادت تبهت ..

يبدو لى أنه من الخير — والقرار يبرز كطريق لا بديل له للحل السياسى

أن نستعيد تفاصيله .

نص قرار مجلس الأمن :

إن مجلس الأمن إذ يعبر عن قلقه المستمر للموقف الخطير فى الشرق الأوسط ..

وإذ يؤكد عدم شرعية الاستيلاء على الأراضى عن طريق الحرب والحاجة إلى سلام عادل ودائم تستطيع أن تعيش فيه كل دولة فى المنطقة .

وإذ يؤكد أيضا أن جميع الدول الأعضاء عندما قبلت ميثاق الأمم المتحدة قد التزمت بالتصرف وفقا للمادة الثانية من الميثاق .

١ — يعلن أن تطبيق مبادىء الميثاق يتطلب إقامة سلام عادل ودائم فى الشرق الأوسط وهذا يقتضى تطبيق المبدأين التاليين :

(ا) انسحاب القوات الإسرائيلية من الأراضى التى احتلتها فى النزاع الأخير .

(ب) أن تنهى كل الدول حالة الحرب وأن تحترم وتقر الاستقلال والسيادة الإقليمية والاستقلال السياسى لكل دولة فى المنطقة وحقها فى أن تعيش فى سلام فى نطاق حدود مأمونة ومعترف بها متحررة من أعمال القوة أو التهديد بها .

٢ — ويؤكد المجلس الحاجة إلى :

(ا) ضمان حرية الملاحة فى الممرات المائية الدولية فى المنطقة .

(ب) تحقيق تسوية عاجلة لمشكلة اللاجئين .

(ج) ضمان حدود كل دولة فى المنطقة واستقلالها السياسى عن طريق إجراءات من بينها إنشاء مناطق منزوعة السلاح .

٣ — يطلب من السكرتير العام أن يعين ممثلا خاصا إلى الشرق الأوسط لإقامة اتصالات مع الدول المعنية بهدف المساعدة فى الجهود للوصول إلى تسوية سلمية ومقبولة على أساس النصوص والمبادىء الواردة فى هذا

القرار .

٤ — يطلب من السكرتير العام أن يبلغ المجلس بمدى تقدم جهود المبعوث الخاص فى أقرب وقت ممكن .

هذا هو قرار مجلس الأمن من أجل تحقيق السلام العادل فى المنطقة ونحن قد أعلنا بوضوح أننا نقبله وأننا على استعداد لتنفيذه . بل وطالبنا بوضع برنامج زمنى لتنفيذه وضمان هذا التنفيذ بواسطة مجلس الأمن .

و لم يصدر من التصريحات ما يناقض هذا الموقف الواضح .

ولقد كان الموقف الذى حدده الرئيس جمال عبد الناصر فى آخر جلسة من جلسات الدورة الطارئة للمؤتمر القومى والذى أكد فيه أننا لا نقبل الجلوس إلى مائدة مفاوضات مع إسرائيل وأننا لن نتنازل عن بوصة واحدة من الأرض . لا يتعارض مع قرار مجلس الأمن لأن القرار لم يلزمنا بالجلوس إلى مائدة مفاوضات مع إسرائيل وهو يؤكد ضرورة انسحاب القوات الإسرائيلية من الأراضى التى احتلتها فى النزاع الأخير .

ومن الناحية الأخرى تؤكد إسرائيل رفضها لقرار مجلس الأمن واستمرارها على العمل ضده . وإعلان نواياها التوسعية التى يدلى بها المسئولون فيها معبرين عن السياسة التى وضعتها الصهيونية العالمية والتى واصلت تحقيقها بإقامة الدولة اليهودية فى فلسطين والتوسع بها عن طريق العدوان .

ولقد جاءت مذكرة السيد وزير خارجية ج . ع . م . الأخيرة إلى يارنج تؤكد بما لا يقبل الشك اتجاه إسرائيل التوسعى سواء بما قامت به من تصرفات أو بما أدلى به على لسان المسئولين .

ذلك هو الشكل السياسى للمشكلة ..

العرب يريدون السلام العادل ويعلنون عن رغبتهم فيه بقبولهم قرار مجلس الأمن الذى ينص على انسحاب إسرائيل من الأراضى التى احتلتها فى النزاع

الأخير وإنهاء حالة الحرب واحترام استقلال كل دول المنطقة فى حدود مأمونة ومعترف بها عن طريق إجراءات من بينها المناطق المنزوعة السلاح . وضمان حرية الملاحة فى الممرات المائية الدولية وتسوية عاجلة لمشكلة اللاجئين .

وإسرائيل ترفض قرار مجلس الأمن وترفض بالتالى الانسحاب وتمارس فعلا ضم الأراضى المحتلة .

ومعنى ذلك أن هناك استحالة لإقرار السلام العادل عن طريق الحل السياسى .

ويتحتم على العرب أن يتصرفوا .. ببساطة .. ككل صاحب أرض محتلة .. يواجه عدوا مغتصبا .. يواجهونه بالقوة .. فى معركة تحرير وخلاص لا مناص منها .. حتى تحرر أرضهم .. وتستعاد حقوقهم .. مهما بذل فيها من تضحيات .. ومهما طال بها الزمن .. فهى معركة مصير .. إن لم يكسبها جيل .. فلا بد أن تواصلها الأجيال .. حتى تكسب النصر .

ذلك منطق بسيط .. لا يدفع إليه حماس .. بل يقود إليه الواقع المحتوم .. لا ينظر فيه إلى قدرة على القتال .. أو تفوق فى التسليح .. ولكن تحتمه كرامة الإنسان .. ورفضه الطبيعى للظلم والعدوان والطغيان ..

وإذا اتحد العرب .. فسيواجهون العدو قوة مجتمعة .. وسيحقق النصر فى وقت معقول .. وإذا لم يتحدوا .. فسيواجهونه فرادى .. ولكنهم سيواجهونه .. وسينتصر كل منهم فى معركته .. لأنها معركة حياته .. ولكن على مدى أطول .

وذلك هو الشكل العسكرى للمشكلة .. لابد من المواجهة .. بأى طريقة .. وعلى أى مدى .. مواجهة بكل ما يملك العرب من اسلحة للقتال وأساليب للمعارك .. بالمقاومة الشعبية فى كل بقعة محتلة ..

وبالمواجهة العسكرية للقوى المسلحة فى جبهات القتال .. بالنار .. والحديد .. والعصى .. والحجارة .. والمخالب .. والأسنان .. والنصر محقق بعد عام .. أو بعد مئات الأعوام .. فى هذا الجيل .. أو بعد عدة أجيال .. ولكنه آت لا ريب فيه .

الشكل السياسى واضح ..

والشكل العسكرى واضح أيضا ، للعالم كله .. وأمريكا من بينه ..

ولقد اتخذت أمريكا موقفا .. أعمى .. بعصابة على عينيها .. ويدها تتحسس إسرائيل ..

وبعد الانتخابات الجديدة .. يبدو أن أمريكا تريد أن ترفع العصابة عن عينيها .. لترى .. الشرق الأوسط بعينى مصالحها .. وليس بعينى مصالح إسرائيل ..

ولقد التقيت مع أول شعاع ضوء ترسله أمريكا لاستكشاف المنطقة وهى ترفع العصابة عن عينيها ..

رأيت سكرانتون مبعوث نيكسون إلى الشرق الأوسط لتقصى الحقائق فى الطائرة التى أقلته من بيروت إلى القاهرة ..

وسألته هل فوجئت بتعيينك فى هذه المهمة ؟ فقال : أجل .

وصمت الرجل برهة ثم قال وهو يبتسم :

— أنا أميل دائما .. إلى الإنسان الذى وقع عليه الظلم .

وعاد أول ضوء كشاف إلى أمريكا .. يتابعه ضيق إسرائيل وقلقها .. وتبرمها بتصريحاته ..

« لأنه ببساطة كشف عن الحقائق . والحقائق .. تفضح إسرائيل » .

ولست أظن أن الحكم الجديد فى أمريكا .. يريد أن يكشف الحقائق .. لمجرد التسلية .. ومن باب العلم بالشىء .. ولا ليعيد وضع العصابة من جديد على عينيه ..

بل ليفعل شيئا ..

فما هو هذا الشيء المطلوب أن يفعله .

لقد أعلنت إسرائيل .. على لسان ديان وزير الدفاع عما هو مطلوب من أمريكا .. من وجهة نظر إسرائيل .

قال ديان :

« إن مفتاح السلام فى يد أمريكا » !

كيف ؟!!

ويرد ديان شارحا :

« إذا أمدت إسرائيل بالأسلحة التى لا تستطيع إنتاجها . وإذا تدخلت لوقف التدخل السوفيتى فى الشرق الأوسط » .

يعنى ببساطة .. أن تعطى أمريكا إسرائيل السلاح .. (وهذا أمر حتمى لأن إسرائيل لا تنتجه) وأيضا — ليس فقط أن تمنعه عن العرب — بل تمنع الاتحاد السوفيتى من إعطائه للعرب .

أى يجرد العرب من السلاح .. ويعطى السلاح لإسرائيل !

ثم تترك إسرائيل .. لتقر السلام .

لأن — كما قال ديان — إسرائيل لا تثق فى قدرة الأمم المتحدة على تأمين مطالب إسرائيل وضمان مرور السفن الإسرائيلية فى مضيق تيران .

وعلى هذا فيجب أن نعطى إسرائيل السلاح الذى لا تستطيع إنتاجه .. ويحرم العرب من السلاح .. وتترك إسرائيل على العرب بسلاح أمريكا لكى تؤمن مطالبها وتمر فى مضايق تيران .

هل تسمع أمريكا ؟ ..

هل يسمع نيكسون ماذا يريد ديان وزير دفاع إسرائيل منه ؟ ..

وماذا يريد العرب ؟ ..

العرب قالوا لسكرانتون ماذا يريدون .

وهم يعلنون ببساطة .. أنهم يقبلون قرار مجلس الأمن ومستعدون لتنفيذه ..

فأى المطلبين معقول أكثر ؟ ..

وأى المطلبين تجد أمريكا نفسها فى وضع طبيعى وإنسانى أمام العالم كله لو حققته ..

إن كل ما يطلبه العرب من أمريكا هو المساعدة فى أقرار السلام العادل الذى يدعو إليه قرار مجلس الأمن الذى واقفت عليه .

وهى قادرة على ذلك . بمجرد أن ترفض المطلب الأحمق الغريب الذى يطلبه ديان وزير دفاع إسرائيل لإقرار السلام .

ليس عليها إلا أن ترد على هذا المطلب بما يستحقه .

فإذا لم تذعن إسرائيل .. للحل السلمى .. فلتتركها وشأنها مع العرب .

لتنفض يدها عنها ..

ولتتركها تسو أمورها وحدها مع العرب وسيعرف العرب كيف يسوون أمورهم معها وكيف يقرون السلام فى المنطقة .

لقد وضحت الحقائق لأمريكا .. وأعلن ديان ببساطة عن طريقة إسرائيل الوحيدة فى إقرار السلام ..

وهى السلاح لإسرائيل .. ومنع السلاح عن العرب .

فإذااستطاعت أن تبصر الحقائق وإذا استطاعت أن تردع إسرائيل عن حماقتها بالكف عن معاونتها بالسلاح من أجل العدوان المستمر لتحقيق المطامع التوسعية فستضع أمريكا نفسها فى الوضع الإنسانى اللائق بها فى العالم .

وإذا لم تفعل .

فكما قال الرئيس عبد الناصر :

« لسنا أقل من شعوب أخرى اكتسبت الحياة بالتضحية وبالموت وبالدم وحققت شرفها بتضحياتها . لسنا أقل أبدا من أى دولة من الدول ولا أى شعب من الشعوب ضحى بأبنائه .. بدمائه .. » .

هذا هو نص ما قاله الرئيس فى خطابه فى المؤتمر القومى .

١٨ ديسمبر سنة ١٩٦٨

فى .. معركة الصبر

تتصاعد الجهود الدولية من أجل الوصول إلى تسوية سلمية لمشكلة الشرق الأوسط المشحونة بكل عناصر الانفجار بعد أن أوقف السفير جونار يارنج نشاطه وعاد إلى موسكو لمباشرة منصبه كسفير للسويد لدى الاتحاد السوفيتى .

والاهتمام العالمى فى تصاعده المستمر بالمشكلة مبنى على أمرين أولهما تزايد المعرفة بالحقيقة ـــ حقيقة مخططات إسرائيل ونواياها التوسعية ـــ التى تنقض كل ما ضللت به الرأى العام من دعوى الضعف والمسكنة والرغبة فى العيش فى هدوء وسلام . وثانيهما الضير المتزايد الذى يلحق بمصالح هذه الدول نتيجة استمرار المشكلة ثم الخوف من تفجرها تفجيرا يمكن أن يمتد إلى أبعد من حدود المنطقة ليودى بالعالم كله إلى حرب شاملة لا يعرف أحد مداها .

واهتمام أمريكا بدا بعد الانتهاء من الانتخابات بإرسال الرئيس المنتخب نيكسون بمبعوثه سكرانتون إلى الشرق الأوسط لتقصى الحقائق الذى صرح أكثر من مرة خلال جولته بأن لأمريكا فى المنطقة مصالح حيوية غير مصالحها فى إسرائيل وأنها يجب أن تتخذ موقفا أكثر إنصافا .

واتجاه أمريكا إلى تقصى الحقائق .. والحديث عن مصالح أمريكا فى المنطقة .. واتخاذها موقفا أكثر إنصافا قد جاء بعد الانتهاء من معركة الانتخابات .. وبعد أن أصبح يحدد خطوات السياسة الأمريكية القادمة مصلحة أمريكا الحقيقية أكثر مما يحددها كسب أصوات اليهود .

ووراء مصلحة أمريكا توجد احتكارت البترول التى يضيرها الموقف

المتفجر فى المنطقة وتضيرها خصومة العرب وغيرها من مصالح رأس المال الأمريكى الذى يضيره استمرار إغلاق القناة وعداوة العرب لأمريكا نتيجة مساندتها لإسرائيل فى أعمالها العدوانية ..

ووراء اهتمام أمريكا تقف احتكارات اليابان التى أضارها إغلاق القناة والتى تتزايد خسائرها عاما بعد عام باضطرارها إلى اتخاذ الطريق الأطول لتجارتها .

وراء اهتمام أمريكا إذن مصالحها الحقيقية ومصالح حلفائها فى المنطقة .. التى أضارها استمرار المشكلة .. نتيجة لصمودالعرب .. وتزايد مقاومتهم .. ورفضهم الاستسلام .

وفى نفس الوقت قررت بريطانيا أن توفد روبرتس وزير الدولة بوزارة الخارجية إلى المنطقة فى جولة لمحاولة جديدة لدراسة فرص السلام .. واعتبرت هذه الخطوة من بريطانيا جزءا من عملية الاستطلاع التى تقوم بها الدول الكبرى للتسوية السلمية للمشكلة .

والمعروف أن حزب المحافظين أثار فى أحد اجتماعاته حملة قاسية على حزب العمال الذى لم يستطع أن يقوم بخطوة حاسمة من أجل حل المشكلة المتفجرة فى الشرق الأوسط والتى تسبب باستمرارها خسائر غير قليلة للاقتصاد البريطانى نتيجة لإغلاق قناة السويس .

وفى هذا الأسبوع أوفد إلى القاهرة أندريه جروميكو وزير خارجية الاتحاد السوفيتى نتيجة لقرار اتخذته رياسة اللجنة المركزية للحزب .

وإذا كانت الدوائر السوفيتية قد وصفت زيارة جروميكو بأنها زيارة عمل وأن الزيارة ستتيح الفرصة لمناقشة مفتوحة لأزمة الشرق الأوسط من جميع نواحيها ولبحث العلاقة بين البلدين فمن غير شك أن توقيت الزيارة جاء فى وقت بلغت فيه الأزمة حدا يهدد العالم كله بالانفجار ويحتم الإسراع ببذل أقصى جهد ممكن لمنع الانفجار قبل وقوعه واتساع مداه

ليشمل العالم كله بحيث يجر الدول الكبرى إلى حرب يحاول العالم كله تجنبها حتى لا تودى به إلى الدمار .

والاتحاد السوفيتى قد ساند العرب فى معركتهم ووقف إلى جانبهم فى كل محاولة بذلت من أجل وقف أطماع إسرائيل وإزالة آثار عدوانها . ولا جدال أن مساهمته فى الجهود المبذولة من أجل حل الأزمة المتفاقمة فى الشرق الأوسط إنما هى جهود من أجل إقرار سلام عادل .

وخلال هذه الجهود المتصاعدة من أجل التسوية السلمية فى المنطقة تبدو وجهة نظر العرب واضحة محددة فى قبول قرار مجلس الأمن وفى تأكيد رفض الجلوس إلى مائدة مفاوضات مع إسرائيل وعدم التنازل عن بوصة واحدة من الأرض وأن الانسحاب من كل الأراضى العربية التى احتلت بعد ٥ يونيو عملية لا تتجزأ .

يبقى بعد ذلك ما سبق أن أكدته ج . ع . م . من أنها ترى أن طريقة تنفيذ قرار مجلس الأمن باعتباره يشكل حلا يجب تنفيذه هو أن يضع المجلس برنامجا تنفيذيا له ويكون المجلس (بما فيه الدول الأربع الكبرى) ضامنا للتنفيذ . وأما كيفية الوصول إلى حدود آمنة فهى الانسحاب إلى حدود ٥ يونيو على أن تكون المناطق المنزوعة السلاح على الجانبين . أما المرور فى القناة فمتعلق بحل مشكلة اللاجئين واستعادة الشعب الفلسطينى لحقه المسلوب . ولا نظن حاجة سفن إسرائيل للمرور فى القناة أكثر إلحاحا من حاجة اللاجئين للعودة إلى ديارهم .

هذه هى احتمالات التسوية السلمية من وجهة النظر العربية تحددها فى وضوح .

ويزداد الموقف تفاقما وتزداد الأزمة حدة وتبدو جهود الأمم المتحدة عاجزة أمام غرور إسرائيل وصلفها فهى ما زالت ماضية فى إجراءاتها المضادة لقرارات مجلس الأمن وفى تحدى العالم كله بإعلان نواياها التوسعية

والعمل على تنفيذها وفى إصرارها على إملاء شروطها من موقف المعتدى وعلى تأكيد العدوان كوسيلة للتوسع والكسب .

وآلاف اللاجئين مشردون فى العراء لا تكاد تقيهم الخيام قسوة البرد . ونزوحهم من الأرض المحتلة يستمر نتيجة لما يوقعه الاحتلال الإسرائيلى بالمواطنين العرب فى الأرض المحتلة من اضطهاد وتعذيب جعلهم يفضلون التشرد فى العراء على البقاء فى ديارهم . وقرار الأمم المتحدة بإعادتهم إلى ديارهم كمواطنين لهم حق الإنسان فى العيش الآمن قد ضربت به إسرائيل عرض الحائط وما زالت ماضية فى عرقلة تنفيذه .

هذا هو الموقف الذى يواجهه العالم الذى بدأت مصالحه تضار بالأزمة والذى بدأ يحس أنه على شفا جرف من الدمار يوشك أن يودى به إليه هذا الموقف المتفجر فى الشرق الأوسط .

ولا يستطيع أن يزعم أحد أننا نحن العرب .. نمر بوقت طيب أو أحداث سعيدة .. فمرارة النكسة تملأ حلوقنا والعدو الجاثم على حدودنا يحتل قطعة عزيزة من أراضينا . إنما يثقل صدرنا ويطبق على أنفاسنا ويشيع الانقباض ـــ مهما افتعلنا من مظاهر المرح ـــ فى نفوسنا .

ولكننا مع ذلك .. نحس أننا حققنا ما يعيننا على معركة الصبر التى نخوضها .. والتى حولنا بالصمود منها رياح المعركة تحويلا يكاد يكون كاملا . فمن فراغ بين العدو المتحرك على حدودنا لا يمنعه عن قلب الوطن بضع بنادق . إلى جبهة قوية تمثل أكبر حشد عسكرى شاهدته المنطقة . يستطيع أن يقف صامدا أمام أى تفكير أحمق للعدو للقيام بمغامرة جديدة .

والمقاومة العربية فى شتى الميادين قد باتت تشكل مطرقة دائمة الطرق على رأس العدو .. ولغما دائم التفجر تحت أقدامه .. بحيث كف عن الاختيال فى صلف وغرور وتعذر عليه أن يستمرىء اللقمة التى قضمها بعدوانه على الأرض العربية .

ومهما قاسينا من رد فعل العدو .. ومهما كان جو النكسة كئيبا قاتما من حولنا .. فمن غير جدال أننا فى معركة الصمود التى خضناها قد حققنا هدفين خطيرين ..

أولهما أننا منعنا إسرائيل من بلوغ هدفها الأصلى من العدوان . وهو تحقيق الأمن والاستقرار اللذين ظلت طوال العشرين سنة الماضية تحاول تحقيقهما عبثا بل على النقيض لقد زاد إحساسها بالقلق والتهديد بحيث لا يستطيع أحد من المهاجرين اليهود الموعودين بالجنة يدعى أنه قد حقق الأمل المرجو بهجرته .

ثانيهما أن القوى العالمية التى بدأت مصالحها تضار مع استمرار الأزمة بتفجرها قد أخذت تدخل طرفا فى الموضوع — ليس فقط من أجل الحق .. ولكن من أجل مصالحها هى — لكى توقف أطماع إسرائيل وتردها إلى صوابها .

ونحن وإن كان وضوح الحق للقوى العالمية يمنحنا أملا أقوى فى سلام عادل . فإن وضوح الطريق لنا يمنحنا صلابة أكبر وقدرة أعظم على تحقيق النصر .

أن معركتنا .. حقيقة .. هى معركة صبر .

صبر على الاستعداد المستمر لخوضها . وعدم الضيق بتأخرها .

صبر على الدق فوق رأس العدو بما يسمونه الطرق المتواصل لإجهاد الصلب ، بحيث نواصل إقلاقه وتكبيده خسائر منتظمة ومتواصلة . حتى يصيبه الإرهاق . ونحن لن نعجز عن هذا بمختلف الطرق . ولا نظن النسبة بين قوة الفيتناميين الذين أرهقوا الجيش الأمريكى بالدق المتواصل وقوة الولايات المتحدة يمكن أن تكون أكبر من النسبة بين قوتنا وقوة إسرائيل .

وصبر على رد فعل العدو الذى يمكن أن يصيبنا به . والذى يرد به علينا فعلا . ولا نظن أيضا رد فعله يمكن أن يكون أكبر من رد فعل الأمريكيين

فى غاراتهم المتواصلة على فيتنام الشمالية .. التى استطاع شعبها أن يقاوم الغارات خلال هذه السنوات الطويلة . فى معركة بين الإنسان على الأرض والطائرة تلقى الحمم من السماء .

وصبر على تجميع قوى العرب .. عسكريا واقتصاديا .. دون أن يصيبنا الملل أو اليأس من أى فشل أو عرقلة يمكن أن تحول دون هذا التجميع والحشد فى مواجهة العدو ..

وأخيرا وأهم من كل ما قلت . صبر على أنفسنا .. فى الداخل .. لكى لا نضيق بهذا التصرف أو ذاك .. أو بهذه المتاعب أو تلك .. فنندفع فى نوبة غضب أو حمق لنحطم أصلب ما يمكن أن نواجه به العدو .. وهى جبهتنا الداخلية ..

وأيا كانت خلافاتنا .. وأيا كان التناقض بين وجهات نظرنا .. فيجب أن نصبر عليها .. ولا نذكر إلا أننا عرب فى مواجهة عدو .. يحاول أن يهدد مصيرنا جميعا ويقضى علينا جميعا..فلا تعد لنا فرصة..حتى فى أن نختلف .. أو نتخاصم .

الصبر .. فى معركة الصبر .. هو سلاحنا الماضى .

ولسنا وحدنا فى التاريخ الذى دخلنا معركة الصبر .. كان سلاح الصبر أمضى فيها من كل الأسلحة . فمن قبلنا رد الروس نابليون بعد أن وصل إلى موسكو .. بالصبر ..

إن ديننا دين الصبر .. وشعبنا شعب الصبر .. فلنتق الله فى أنفسنا .. ولنمض فى معركة الصبر ولنبتلع كل ما فى حلوقنا من مرارة النكسة . ولنطو فى صدورنا كل ما تركته من قتامة واكتئاب .

لنصبر على العالم حتى يعرف الحق ويعمل على إقرار السلام العادل .

ولنصبر على الاستعداد للمعركة حتى نخوضها ..

ولنصبر على أنفسنا حتى نرد العدوان عن أراضينا .

٢٥ ديسمبر سنة ١٩٦٨ .

على أبواب عام جديد

وسط الأحداث الصاخبة المتزاحمة .. ونحن نعبر من عام إلى عام ، عبورا شكليا موهوما .. فالأحداث تندفع متدفقة لا يحكم حركتها تقسيم زمنى ولا تحدد مداها أشكال محددة من الشهور والأعوام .

ومع ذلك يحلو لنا أن نضع على طريق حياتنا محطات زمنية تذكرنا بما قطعناه على الطريق .. وبما تبقى لنا لنقطعه عليه .. إن لم نسقط فيه فجأة .. بين إحدى المحطات .

وفى كل عام .. والأحداث تعدو بنا متلاحقة لتدفعنا فى ضجيج وعجلة .. يحلو لنا أن نقف .. لنلتقط أنفاسنا ونتلفت خلفنا .. نلقى نظرة خاطفة على مرحلة من مراحل العمر .. ماذا فعلنا بها .. وماذا فعلت بنا .

ونحدث أنفسنا .. ونتحدث إلى من حولنا .

وحديثنا إلى أنفسنا .. لا يحاسبنا عليه أحد .. فهو طليق من كل قيد .. من قيود الخوف والنفاق .. والجبن والخداع .. هو أخلص الحديث وأصرحه وأنقاه .. وهو السبيل إلى كشف ضعفنا .. ومناقشة مساوئنا .. مع أنفسنا .. دون أن نخاف الشماتة أو نخشى الهوان .

قل لنفسك ما تشاء .. عما تشاء وعمن تشاء .. وأصدقها القول .. ولا تخش الملامة .. فكل حديث صادق إلى النفس .. منصف لها .. وللغير .. قل لها الحقيقة التى لا تجرؤ أن تقولها لأحد .. الحقيقة التى لا تحجبها غمامة الغرور .. ولا تطمس معالمها زواء الرغبة فى تهدئة النفس وإراحة الضمير .

وفى وقفة آخر هذا العام الحافل بالأحداث ونحن نوشك أن نضع أقدامنا

على عام تتدفق إليه أحداث العام الماضى لتشكل معالم أيامنا المقبلة . نلقى نظرة إلى الخلف وأخرى إلى الأمام ونتحدث إلى أنفسنا وإلى من حولنا .

أما الحديث إلى النفس فلندخره فى باطننا .. نناقشه بيننا وبين أنفسنا . لا يحاسبنا عليه إلا الله .

أما الحديث إلى من حولنا .. فإلى هؤلاء الذين شغلنا بهم طوال العام .. نوجه بعض كلمات .. يعلم الله إن كان لها وسط صخب الأحداث جدوى أم أن الصمت عنها أجدى وأنفع .

كلمات نبدأها للمكافحين الفلسطينيين .. الذين فجروا الثورة الفلسطينية . والذين حولوا القضية الفلسطينية من قضية شعب لاجئ يجلس فى الخيام .. ينتظر الحسنة الدولية .. إلى قضية شعب مكافح من أجل مصيره . والذين وضعوا الشعب العربى الفلسطينى فى طريق النضال الإيجابى الفعال . وأكدوا قدرتهم على إيجاد الكيان الفلسطينى القائم على النضال والبذل والتضحية .

لقد استطاع العمل الفلسطينى الإيجابى أن يستقطب كفاح الفلسطينيين ويضعه فى إطار الكفاح التحررى للشعب العربى .. كما استطاع أن يجعل الدعم العربى للقضية الفلسطينية عملا فعالا ذابت أمامه كل المصاعب والمتناقضات العربية .

وفى المجال العالمى استطاع العمل الفلسطينى أن يبدد الأباطيل التى نسجتها الدعاية الصهيونية حول القضية الفلسطينية وأن يبرزها فى صورتها الصحيحة . قضية شعب وقع عليه العدوان .. وشرد من أرضه وسلب حقه .. يحاول بالنضال البطولى أن يسترد حقه المسلوب ويستعيد أرضه الضائعة . لقد وضع العمل الفلسطينى القضية الفلسطينية فى إطارها الصحيح أمام الرأى العام العالمى .. قضية تحرر وطنى من الاستعمار الاستيطانى .

(من وراء الغيم)

هذا ما استطاع المكافح الفلسطينى أن يحققه فى عام مضى مع كل ما حققه من نجاح عسكرى فى داخل الأرض الفلسطينية . مما جعل خطوات إسرائيل على الأرض المحتلة تترنح فى قلق ومما جعل النصر الذى حققته بعدوانها .. نصرا بلا مذاق . وبلا هدف .

وبقى للمكافح الفلسطينى أن يحقق وحدة العمل الفلسطينى والبناء السياسى الفعال للثورة الفلسطينية مع نمو العمل العسكرى وتطوره .

هذه كلمات نقولها ونحن نخطو إلى العام الجديد .. لهؤلاء الذيـن استرخصوا بذل الدماء .. ودفعوا بشهدائهم إلى الموت .. وبأشبالهم إلى المعركة .. ليؤكدوا أن الشعب الفلسطينى كائن .. مناضل .. مصر على وجوده فى أرضه .. واسترداده لحقه .

وكلمات .. لإخوة لنا وأبناء يقفون فى جبهة القتال .. صامدين فى يقظة وتحفز وصبر وجلد ..

لقد مرت بهم أيام شاقة ثقيلة .. أثقل من المعركة ذاتها ..

أيام كئيبة .. كان عليهم أن يحملوا على أكتافهم .. فـوق عبء الهزيمة .. ظلم الظالمين .. وشماتة الشامتين .. وسخرية الساخريـن .. ونكت الظرفاء .

وكان عليهم أن يمروا بعملية بناء شاقة سريعة .. يعوضون بها ما فقدوه من جنود وعتاد . وكان عليهم أن يستردوا الثقـة الضائعـة .. ثـقتهم بأنفسهم .. وثقة الناس بهم .

ومر بهم عام الصمـود .. ثبتت أقدامهـم .. وتوطـد بنيـانهم .. واستطاعوا أن يردوا ضربات العدو بضربات قاصمة رادعة ..

ووقف وراءهم الشعب متماسكا بعد أن أكـد تمسكـه بقيادتـه .. وإصراره على الصمود ورفضه أن يجعل من الهزيمة العسكرية .. سبيلا إلى الاستسلام .

ولم تستطع إسرائيل أن تحقق الهدف الذى تنشده .. من عدوانها . ووجدت نفسها من المعركة التى خاضتها .. تسير فى طريق مسدود .. يسده رفض الشعب العربى للهزيمة .. واستعادة بنائه لقواته المسلحة .. وانبثاق العمل الفلسطينى المسلح .

ويطوى العام .. وأنتم درع الشعب العربى .. تتصدون للعدو فى جبهات القتال .. لتسدوا الطريق أمام أطماعه .. وتردوا عدوانه فى حزم وصلابة ..

وعدونا .. لا تردعه غير القوة ..

قال قادة عصابته العسكرية أنه وجد بالقوة .. وسيبقى بالقوة .. وستمتد رقعته بالقوة ..

وأعلنوا فى كل مناسبة .. أن العدوان وسيلتهم إلى التوسع .. والكسب .

وهم — رغم أنهم لم يحققوا هدفهم الأصلى .. من النصر العسكرى الذى حققوه — إلا أن رءوسهم قد أدارتها نشوته .. وهم يصرون .. على أن يستغلوه لإملاء إرادتهم — ليس فى مجرد العيش فى أمان — بل فى تحقيق نواياهم التوسعية ..

والذى يعتقد أن القوة .. كانت وما زالت .. وسيلته لفرض إرادته على الغير .. لن يغير اعتقاده .. إلا بقوة مضادة .. تردع قوته .. وتسلبه هذه الوسيلة التى يستند إليها فى الطغيان وفى الاعتداء على من حوله ..

مع هذا العدو الذى يؤمن بالقوة كوسيلة للبطش يفرض بها وجوده وبقاءه وتوسعه .. لا بد من قوة تبطش به وتؤدبه .

وانتم .. بإيمانكم وتدريبكم ومهارتكم فى القتال وقيادتكم القادرة .. وبالشعب كله متماسكا من ورائكم .. القوة التى لا بد منها لكى تبطل وسيلة العدو .. التى يحاول بها أن يفرض إرادته .

وفى عصر العلم .. قد يبدو تفوق السلاح .. مفتاحا للقوة .. وقد لا تتيح لنا الظروف ألا نحقق هذا التفوق .. ولكن قتال المصير لا يحقق النصر فيه إلا قوة النفوس .. قوة الإيمان بحتمية النصر من أجل المصير .. وهذا ما يجب أن نحقق التفوق فيه ..

كلمات أيها الإخوة والأبناء الرابضون فى مواجهة العدو .. مليئة بالتقدير والحب .. هى أبسط ما يمكن أن نقولها لكم فى بداية العام الجديد وأنتم تقفون صامدين فى انتظار المعركة .

وانتظار المعركة أيها الأحباءالأعزاء — للذى جرب الانتظار — أمرّ من المعركة ذاتها فليقبل عليكم العام الجديد .. بكل بشائر النور والنصر .

وكلمات لإخوة لنا فى الإنسانية أحسسنا بقلوبنا تخفق من أجلهم وهم ينطلقون لأول مرة فى تاريخ الإنسان ليدوروا حول القمر وليستكشفوا معالمه بأعينهم

وانطلاق الإخوة الثلاثة جاء عقب سلسلة من الجهود الخارقة التى تعاقبت فى سباق الفضاء بين الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة والتى تنبىء عن قدرات بشرية لا حدود لها .. والتى تفتح الطريق أمام الإنسان فى الانطلاق لارتياد آفاق الدنيا وكشف أسرار الكون وخباياه .

وإذا كان هذا النصر الرائع الذى حققه أولئك الذين ساهموا فى التجربة الخطيرة للدوران حول القمر من رواد وعلماء ومصممين للمشروع ينبىء عن الآفاق الواسعة المتفتحة أمام الإنسان فى غزو الفضاء .. فإنه ينبىء أيضا بما يمكن أن تحققه البشرية من تعاون من أجل سعادة البشر وينبىء بما يمكن أن يسود البشرية من حب قادر على أن يطوى هذه الخلافات المجنونة التى تدفع بالعالم إلى سباق التسلح وإلى استنزاف موارده التى يمكن أن يحقق بها حياة راضية كريمة للإنسان وإلى استغلال طاقته العلمية من أجل تنمية الحضارة الإنسانية وازدهارها .

فبعد انطلاق الرواد الثلاثة حبس الناس أنفاسهم وأحس كل منا كأن كل رائد منهم أخوه أو ابنه وهو يتابعهم فى لحظاتهم الحرجة عند بدء الدوران حول القمر وعند تشغيل صاروخ العودة الذى يتوقف عليه انتزاع السفينة من جاذبية القمر ..

وتنفس كل منا الصعداء عندما وصلوا إلى الأرض سالمين .. لا فارق فى مشاعرنا بين أمريكى وإفريقى وسوفيتى .

بل لقد أعلن خلال الرحلة أن السوفيت سيكونون أول من يهب لنجدة ركاب أبوللو ٨ إذا حدث لمركبتهم أى عطل يمنعهم من العودة .. ففى إمكان الاتحاد السوفيتى أن يطلق مركبة إنقاذ تتسع لمزيد من الركاب ويمكنها مقابلة أبوللو ٨ ونقل ركابها إليها والعودة بهم إلى الأرض .

وكانت تهنئة الاتحاد السوفيتى للخبراء الأمريكيين التى جاء فيها أن نجاح استكشاف الفضاء بواسطة كل من الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة قد أدى — بلا شك — إلى تعميق الاتصالات بين البلدين وأثر تأثيرا طيبا على الموقف الدولى عامة .. ويعتبر حافزا على تدعيم التعاون فى مختلف الميادين .

إن ارتياد آفاق الدنيا وكشف أسرار الكون انتصار كبير للبشرية .. ولكن الانتصار الأكبر هو أن نرتاد آفاق أنفسنا ونكشف ما فى خباياها من حب ومودة يمكن أن نطوى بها خصوماتنا التى تفسد علينا كل مكاسب الذهن البشرى وتضيع كل ما يحققه من انتصارات ويوجهه إلى الدمار بدل أن يحقق به السعادة والأمن للبشرية وهو الهدف الحقيقى لكل ما نقوم به من جهد وما نحققه من انتصارات .

كلمات من أجل الناس كلهم فى عامنا الجديد .. ليطوى حبنا عداوتنا .. وليغلب تسامحنا أحقادنا .. وليكن عامنا المقبل عام حب وتعاون فى سبيل سلام البشرية ورخائها وسعادتها .

١ يناير ١٩٦٩

الحقائق والمنطق وسياسة أمريكا

يتحرك العالم هذا الأسبوع من أجل إنقاذ الموقف فى الشرق الأوسط قبل حدوث الانفجار الذى يمكن أن يهدد سلم العالم كله .

وحركة العالم نحو إيجاد تسوية سلمية عادلة يجمدها موقف الولايات المتحدة .. على الأقل حتى تنتهى أيام جونسون .. وقد باتت معدودة .

فجونسون تعمد أن ينهى صفقة الفانتوم قبل انتهاء أيامه .. ومندوبه فى مجلس الأمن رغم قرار إدانة إسرائيل فى هجومها الغادر على مطار بيروت .. قد بذل الجهود الخارقة التى وصلت على حد تعبير مندوب الاتحاد السوفيتى إلى حد لوى الأذرع ـــ تمييع القرار وعدم توقيع العقوبات على إسرائيل وإلزامها بدفع التعويضات .

وإسرائيل تعتمد اعتمادا مطلقا على القوة .. صرح بذلك زعماؤها دون مواربة أو تستر .. اعتمدت على القوة فى زرع نفسها فى جسد العالم العربى .. وفى عدوانها التوسعى المستمر .. وفى محاولة تحقيق أطماعها .. والقوة التى تعتمد عليها إسرائيل فى وجودها وفى توسعها وفى فرض إرادتها كما صرح وزير دفاعها موشى ديان فى زيارته الأخيرة لواشنطون .. لا تملك إسرائيل أسبابها .. بل هى تعتمد فى الحصول عليها .. اعتمادا مطلقا على الولايات المتحدة .. ولقد وضح ديان فى صفاقة لا مثيل لها . أن طريقة إقرار السلام ـــ الذى تملك الولايات المتحدة مفتاحه ـــ هى أن تمنح إسرائيل السلاح .. وتطلب من الاتحاد السوفيتى أن يوقف تزويد العرب به .. حتى تستطيع إسرائيل أن تفرض إرادتها وتضمن سلامتها وتفرض السلام الذى تريده بقوة السلاح الذى يتحتم على أمريكا أن تمنحه إياها ..

هذا هو مفتاح السلام الذى تملكه الولايات المتحدة للمشكلة من وجهة نظر إسرائيل .

وهو بداهة .. السبب المعرقل لكل حل سلمى عادل للمشكلة يمكن أن يبذل فيه كل جهد سواء عن طريق الأمم المتحدة أو بواسطة الدول الكبرى .

وأمريكا .. حتى الآن تساند إسرائيل .. بإصرار أعمى لا منطلق له .. يغفل كل عدل وحق .. بل ويغفل حتى مصالح أمريكا الحقيقية فى المنطقة .

وليس هناك من بصيص أمل .. فى أن يتصرف جونسون فيما يتبقى من أيامه أو ساعاته بما يخالف أسلوب المساندة العمياء الظالمة التى تعودت أمريكا أن تبذلها لإسرائيل .. رغم وضوح حقيقة إسرائيل العدوانية .. التوسعية .. للعالم كله .. ورغم أن المساندة لم تعد مساندة دولة مهددة تطلب العيش فى سلام .. بل مساندة دولة تحتل أراضى الغير .. وتواصل العدوان بالقوة .. وتتحدى فى صلف .. وعجرفة .. كل قرارات مجلس الأمن والأمم المتحدة والرأى العام العالمى كله .

لم يعد هناك أمل فى جونسون .. وأيامه الغاربة .. التى حملت المساندة الظالمة العمياء .. التى يمكن أن تشكل عقبة كأداء فى سبيل أية محاولة سلمية .. وهى تبذل السلاح الذى تعتمد عليه إسرائيل فى عـدوانها المستمر .

والسؤال الذى يبرز بعد ذلك ..

هل يمكن أن يوجد أمل فى أن تتخذ الولايات المتحدة فى عهد الرئيس الجديد نكسون .. سياسة تساعد على تحقيق النجاح للجهود التى تبذل من أجل تسوية سلمية عادلة ..

والرد الطبيعى البسيط .. الذى يمكن أن يبنى على ما وضح للحكم

الجديد من حقائق .. هو .. إننا نرجو ذلك ..

فمن خلال التصريحات التى نشرت للمسئولين من رجال نيكسون .. يبدو اقتناعهم .. ببعض الحقائق التى تجعل استمرار السياسة الأمريكية السابقة .. أمرا غير معقول .

فقد صرح تشارلز يوست مندوب نيكسون لدى الأمم المتحدة أنه يعتقد أن التوصل إلى نسوية واقعية وكريمة لإعادة توطين اللاجئين العرب فى فلسطين وتنفيذ قرار مجلس الأمن هما مفتاح الاستقرار فى الشرق الأوسط وأن من العقبات أمام تسوية الموقف وهم إسرائيل بأن العمليات الانتقامية ضد القوى العربية توقف عمليات المقاومة فى إسرائيل .. وأضاف أن هناك حقيقة لا مفر من الاعتراف بها وهى أن إسرائيل محاطة بدول عربية أكثر ازدحاما بالسكان ولديها إمكانيات القوى وما لم تتمكن إسرائيل من التفاهم الودى مع هذه الدول فإنها لن تتمكن من البقاء إلا كمعسكر مسلح .

وغير معقول أن تكون أمريكا — بناء على هذا الفهم من مندوبها القادم فى الأمم المتحدة للمشكلة .. واقتناعه بحتمية توطين اللاجئين العرب فى فلسطين وتنفيذ قرار مجلس الأمن الذى يحتم على إسرائيل الانسحاب (والذى ترفضه إسرائيل) ستواصل العمل على تزويد إسرائيل بالأسلحة .. لكى تستمر فى البقاء كمعسكر مسلح وتواصل العمليات الانتقامية والعدوان التوسعى ضد العرب .

غير معقول .. أن تكون سياسة أمريكا مضادة .. لكل ما يمكن أن يعكسه آراء خبرائها من حقائق .

ومن قبل ذلك صرح سكرانتون مندوب نيكسون لمعرفة الحقائق فى الشرق الأوسط بأن أمريكا يجب أن تتخذ موقفا أكثر إنصافا .. وأن لها مصالح أخرى حيوية فى المنطقة غير إسرائيل .

ولا يتخيل عاقل أن الولايات المتحدة فى عهد نيكسون ..بعد أن أوضح مندوبه سكرانتون أنها يجب أن تكون أكثر إنصافا .. أن هذا الانصاف يمكن أن يكون بمزيد من الأسلحة لإسرائيل .

المنطق والعقل إذن يحتمان .. أن الحقائق التى حاول الرئيس نيكسون أن يعرفها عن المشكلة .. تؤكد أن مواصلة تسليح إسرائيل .. وإبقائها كمعسكر مسلح .. هى أمر لا يمكن أن يؤدى إلى إنجاح الجهود المبذولة من أجل إيجاد تسوية سلمية عادلة .. ولا يمكن أن يكون كذلك .. أحد العناصر التى تحقق مصالح أمريكا فى . (بل لن يكون إلا وسيلة .. تؤدى إلى حتمية الانفجار فى المنطقة .. وإلى تهديد السلام العالمى كله) .

والعرب موقفهم من السلام المبنى على العدل .. واضح .. فى قبولهم قرار مجلس الأمن الذى أجمع العالم كله (عدا إسرائيل) على أنه الطريق السلمى إلى حل المشكلة .

ومع ذلك .. فالمنطق والعقل — من خلال تجارب السنين الماضية فى سياسة أمريكا — لا يبدوان هما العنصرين الأساسيين فى توجيه السياسة الأمريكية .. لأن النفوذ الصهيونى فى الولايات المتحدة يبدو أقوى من كل منطق .. ومن كل عقل .. وأنه يمكن أن يجرف فى طريقه .. أى شىء .. حتى المصالح الأمريكية ذاتها .. بما فيها .. احتكارات البترول .. وغيرها .. من الاحتكارات الأمريكية واليابانية .

ولا يصبح أمام العرب .. غير ما نؤكده جميعا فى كل لحظة .. وبكل ما نملك من إصرار .. وما يؤمن به كل عربى .. من أن حق العرب الذى تؤكد إسرائيل فى عجرفتها وصلافتها أنها سلبته بالقوة .. وستبقيه فى حوزتها بالقوة .. وستسلب المزيد منه بالقوة .. لن ترده

سوى قوة مضادة .. قوة العمل العربى الموحد فى جبهات القتال .. وقوة الكفاح المسلح فى كل بقعة من بقاع الأرض المحتلة .. وقوة الصمود والصبر فى الجبهة الداخلية للشعب العربى كله .. حتى يتحقق لنا النصر .. ليس فقط من أجل إنقاذ أرضنا المحتلة وحقنا المسلوب .. بل من أجل إنقاذ الحضارة العربية كلها .

٨ ينـاير ١٩٦٩

ديجول ومنطق زعماء إسرائيل

يعتبر قرار ديجول بفرض الحظر الشامل على تصدير الأسلحة إلى إسرائيل نقطة تحول خطيرة فى مشكلة الشرق الأوسط بالنسبة لوضعها العالمى .

ومنبع أهمية القرار ليس من مجرد الأثر العسكرى له فى حرمان إسرائيل نهائيا من الخمسين طائرة الميراج أو مما يحتاج إليه السلاح الإسرائيلى الفرنسى الصنع من أجزاء احتياطية لازمة لتشغيله وصيانته بحيث يجعله قرار الحظر عاجزا عن العمل بعد بضعة شهور .

ليست أهمية القرار نابعة من هذا الأثر العسكرى — رغم خطورته — فى العمل على شل السلاح الإسرائيلى المستورد من فرنسا والذى يعتمد عليه الجيش الإسرائيلى أساسا .. بل إن أهميته تنبع من وضع المشكلة التى تهدد السلام فى الشرق الأوسط فى وضعها الحقيقى المجرد .. ومن المساعدة على تجريد الوجود الإسرائيلى وتعريته لكى يبدو على حقيقته ليس فقط لجزء من العالم لا يستطيع أن يرى الحقيقة من خلال غمامة التضليل الإسرائيلى التى استطاعت إسرائيل أن تطمس بها الحقائق خلال السنين الماضية .. بل أنه ليجرد الوجود الإسرائيلى ويعرى إسرائيل أمام اليهود الذين هاجروا من أنحاء العالم ليحققوا حلم الاستقرار والأمن فى أرض سلبت من أصحابها بالقوة .

لقد كشف القرار .. مدى قيمة وجود .. فرض بالقوة .. ولا يستطيع أن يبقى بغير القوة .

لقد اعترف قادة العصابة العسكرية فى إسرائيل وعلى رأسهم بن

جوريون بأن إسرائيل وجدت بالقوة .. ولن يؤمن بقاؤها .. وتحقق أحلامها إلا بالقوة ..

ولم يسأل قادة إسرائيل أنفسهم ..

قوة من ؟!!

قوة من التى استطاعت أن تفرض وجود إسرائيل .. وتؤمن بقاءها .. وتحقق مطامعها التوسعية ؟

هل هى قوة إسرائيل ؟ .

إن ديان وزير الدفاع الإسرائيلى .. أجاب ضمنا على هذا السؤال عند زيارته الأخيرة لواشنطون عندما قال إن مفتاح السلام فى المنطقة فى يد الولايات المتحدة التى تستطيع أن تمنح إسرائيل السلاح الذى لا تملك إنتاجه من أجل فرض إرادتها على العرب .

قادة إسرائيل إذن يعرفون أن أسباب القوة التى وجدوا بها .. والتى تؤمن وجودهم .. وتحقق أطماعهم .. لا يملكونها .. بل يملكها غيرهم .

ولكنهم مع ذلك .. لم يشكوا لحظة فى استمرار هذه القوة .. لأنهم يشعرون فى قرارة أنفسهم .. أنها موجودة دائما .. وأنهم رغم افتقادهم لأسبابها يضمنون دائما مصدر هذه الأسباب .. وإلا لما تركوا وجودهم وأمنهم .. الذى يتوقف توقفا كاملا على القوة .. معلقا فى الهواء على أسباب غير مؤكدة ولا مضمونة .. ولما يتبخترون فى صلف وغرور وثقة فى أن القوة التى تسند وجودهم .. قوة مضمونة .. دائمة .. تحقق مطامعهم العدوانية التوسعية .

قواد إسرائيل العسكريون .. الذين اختالوا بالقوة المستمدة من الغير .. لم يخطر ببالهم قط .. وهم يتباهون بعدوانهم المتواصل .. أن هذه القوة قد تفقد أسبابها فجأة .. لتتركهم كعرائس المسرح بغير أصابع تحركها ..

لم يخطر ببالهم أن قوتهم .. ليست قوتهم .. وأنها — وهى وحدها كما أكدوا ، سبب وجودهم ووسيلة أمنهم — يمكن أن تسحب فجأة من أيديهم .. ليصبحوا مجموعة من المهاجرين واللاجئين فى أرض غير أرضهم ووطن غير وطنهم .. ولا يعود هناك معنى لوجودهم بعد أن زالت أسبابه .. وهى القوة المستمدة من الغير .

لقد عرى قرار ديجول حقيقة إسرائيل أمام نفسها ..

إنها وجود قام على أسباب مؤقتة .. يمكن أن تزال بقرار .

ولسنا نزعم أن قرار ديجول .. سينزع عن إسرائيل أسباب وجودها .. ولكنه .. قد أكد .. أن أسباب هذا الوجود — وهى القوة — يمكن أن تزول .. بأسرع وأبسط مما يتصور هؤلاء الذين يفرضون الوجود الإسرائيلى بالقوة .. ويواصلون بها عدوانهم التوسعى .

قرار ديجول .. رغم أنه لا يزيل الوجود الإسرائيلى .. يوضح لإسرائيل قبل غيرها .. أن وجودها يقوم على أسباب غير طبيعية .. وأن هذا الوجود يمكن أن ينهار .. بقرار .

وقادة إسرائيل .. سيكابرون .. سيحاولون الحصول على مزيد من أسباب القوة .. لأنها هى سبب وجودهم .. سيلجأون إلى التلويح بالقنبلة الذرية .. وإلى استعجال صفقة الفانتوم .. وإلى الحصول على مزيد من الأسلحة من الولايات المتحدة لمواصلة حشد الأسلحة للإبقاء على إسرائيل كقاعدة مسلحة تستمد وجودها من القوة العسكرية المستقاة من الغير ..

ويبقى بعد ذلك سؤالان .. بالنسبة لهذه القاعدة المسلحة التى تريد أن تفرض وجودها فى المنطقة بقوة السلاح .

الأول إلى المضللين من اليهود الموعودين بالجنة الآمنة .. منذ متى كانت الجنة .. قاعدة مسلحة ..

وأى أمن حققوه بالهجرة من أوطانهم الأصلية .. بالاستقرار فى قلعة

مسلحة تفرض وجودها وأمنها بالسلاح وبالعدوان الدائم والقتال المتواصل .

والسؤال الثانى .. إلى الولايات المتحدة .. أو السبب الحقيقى الباقى لوجود هذه القاعدة العدوانية المسلحة .

إلى متى تصر على تدعيم العدوان المسلح فى المنطقة .. بعد أن وضح من هو الذى يريد أن يعيش آمنا .. ومن هو الذى يريد أن يواصل العدوان والتوسع .

إذا كانت الولايات المتحدة لم تعرف بعد حقيقة الوجود الإسرائيلى التوسعى العدوانى .

وإذا كانت الحقائق .. لم تبد لها بعد من خلال مندوبيها الذين حاولوا جهدهم أن يتقصوا الحقائق فهل يمكن أن تدركها من خلال بعض ما يقال فى إسرائيل نفسها .. من غير العصابة العسكرية ؟

لقد جاء فى مقال لمردخاى بنتوف وزير الإسكان الإسرائيلى وممثل المابام فى حكومة أشكول ما يلى ..

« إننا ما دمنا نطالب بالتوسع الإقليمى نتيجة لقوتنا (يعنى القوة التى قال عنها ديان إن إسرائيل لا تملك أسبابها إلا من الولايات المتحدة) أو رغبتنا أو حتى بسبب عقيدتنا ، فإن العالم كله وليس العالم العربى وحده ، سيقف ضد مطالبنا لأنها لا تتفق ومصلحة المواطنين فى هذه الأقاليم . وليس من المعقول أن يحل هذا الموضوع على الطريقة الشكلية التى نعالجه بها كأن نسمى الضفة الغربية اليهودية أو السامرا أو أن نسمى الأراضى المحتلة مناطق محررة أو أن نسمى الضم عودة إلى الوطن الأم . إن العرب سيثورون يوما ويطبقون على أعناقنا . وسيقف العالم مسرورا لنهايتنا » .

هل يمكن أن تدرك الولايات المتحدة .. الحقيقة من خلال كلام الوزير الإسرائيلى ؟

هل المفروض فيها أن تواصل تدعيم القاعدة المسلحة .. لتمنحها القوة

التى يحقق بها قادتها العسكريون أحلامهم التوسعية ؟!

لقد بدأ العالم كله يدرك حقيقة المشكلة ..

مشكلة القاعدة المسلحة التى تهدد أمن المنطقة بالأطماع التوسعية الإقليمية .

ولقد استطاع الجنرال ديجول بقراره الشجاع .. أن يواجه حقيقة إسرائيل بحزم وصدق .. وأن يمنع عنها ما يمكن أن تساهم به فرنسا من أسباب القوة التى تدفعها إلى العدوان التوسعى .

وإذا كان زعماء إسرائيل سيواصلون مكابرتهم فى تلمس بديل من أسباب القوة .. عما حرمهم منه الجنرال ديجول .. فلا بد أنهم — وسكان إسرائيل المضللين — قد أدركوا .. أن القوة .. لا يمكن أن تكون وسيلة لوجود دائم .. أو استقرار آمن .. وأن أسبابها يمكن أن تزال .. بقرار .. مجرد قرار .. ويتحتم على الولايات المتحدة أن تدرك حقيقة المشكلة .. وألا تواصل منحها من الأسباب ما يساعد على زيادة تعقيدها .

أن المشكلة .. هى مشكلة عدوان توسعى .. يعتمد — كما اعترف جميع زعماء إسرائيل — على القوة ..

فعلى أمريكا .. أن تكف عن دعم القوة التى تشكل هذا العدوان التوسعى وتساعد على المزيد منه ..

وعلى العرب .. أن يدعموا قوتهم الموحدة .. لردع هذه القوة العدوانية .. إذا تعذر وقف أسبابها من منابعها الأصلية ..

إن زعماء إسرائيل يؤكدون اعتمادهم على القوة وحدها فى فرض مطامعهم التوسعية ..

فلا سبيل إذن .. لدفع عدوانهم .. إلا بأمرين .. العمل على وقف أسباب هذه القوة .. والعمل على مواجهتهابقوة .. تلغى قدرتها على فرض الإرادة العدوانية التوسعية ..

١٥ يناير سنة ١٩٦٩

التوازن بين الكلمات والأعمال

من ألزم الأشياء لنا فى هذه المرحلة الخطيرة التى نمر بها .. الوضوح .. وأعنى بالوضوح .. أن نكون أولا وقبل كل شيء واضحين لأنفسنا .

أين نقف ؟

وماذا نريد ؟

وكيف ؟

وبماذا ؟

ومتى ؟

فعملية الصراخ .. بما نريد .. والتى تعودنا مجرد الهتاف بها فيما مضى .. كمجرد أمل .. لم تعد تجدى ..

ولقد كان من أبرز ما قاله الرئيس جمال عبد الناصر فى خطابه فى مجلس الأمة :

« إن التجربة العملية أثبتت أنه لا قيمة لأية أقوال إذا لم تكن كلماتها مقياسا حقيقيا للقدرة الفعلية ..

لقد قلنا كثيرا فى الماضى وكنا نتصور أن هناك توازنا بين الكلمة والقدرة ولكن التجربة علمتنا أن ذلك لم يكن صحيحا كما تصورنا . وأننا الآن يجب أن نلزم أنفسنا .. مهما كانت المعاناة .. بأن يكون حساب الكلمات هو نفسه حساب القدرات » .

ولكى نعرف حساب القدرات التى يجب أن تكون أساسا لما نطلقه من كلمات .. — وأخطر من هذا — لما نخطوه من خطوات . يتحتم أن يتوافر لأنفسنا من الوضوح ما يحدد لنا قدر كل حركة .. ونوعها ..

واتجاهها .. بحيث يكون عملنا الذى نريد أن نحقق به هدفنا .. مبنيا على قدرة حقيقية .. وبحيث تكون كلماتنا التى نعبر بها عن عملنا .. متوازنة مع القيمة الحقيقية لهذا العمل . ولا تعود الفجوات السحيقة تفصل بين حرارة كلماتنا .. والعمل الحقيقى الذى تعبر عنه هذه الكلمات .. وبين العمل الذى نتلهف على أن نقوم به .. وقدرتنا على تنفيذ هذا العمل .. ويصبح هدفنا .. بعد ذلك .. وبعد سلسلة الفجوات الفاصلة بين الكلام والعمل والقدرة .. مجرد أمنية سرابية تبرق من بعيد .. أو مجرد حلم من أحلام اليقظة .

وفى حديثه الأخير للمؤتمر الفلسطينى استطاع الرئيس عبد الناصر أن يحدد بوضوح معالم الطريق ..

حدد أولا طبيعة الصراع القائم .. بأنه صراع بين القومية العربية والعنصرية الصهيونية .. وبالتالى فهى ليست ضد اليهود فى جانب والفلسطينيين فى جانب آخر .

فلقد أعلنت الثورة الفلسطينية أنها لا تعادى اليهود وأنها تسعى إلى إقرار السلام العادل فى المنطقة على أساس وجود دولة فلسطينية ديموقراطية تقدمية تتساوى فيها حقوق اليهود والمسيحيين والمسلمين .

فى الوقت الذى قامت فيه إسرائيل على أساس العنصرية الصهيونية التى تعمل فى إصرار لم يعد موضع شك على تحقيق الهدف التوسعى بين النيل والفرات . والذى يهدد مصير الأمة العربية كلها .

وبالتالى أضحت المعركة هى معركة بين أطماع الصهيونية العنصرية الدخيلة فى المنطقة . وآمال الأمة العربية وحقها فى النمو والتقدم والعيش فى سلام فى الأرض العربية .

ولما كان الشعب الفلسطينى العربى والأرض الفلسطينية العربية هما أول أجزاء الوطن العربى تعرضا للعدوان التوسعى الإسرائيلى أو نقطة البداية

للمخطط الصهيونى فقد كان من المحتم أن يوجد الكيان الفلسطينى وتبرز المقاومة الفلسطينية فى مقدمة النضال العربى . بحيث نضع الشعب الفلسطينى فى مكانه الحقيقى شعبا مناضلا من أجل حقه فى أرضه وفى تقرير مصيره وفى استعادة حقوقه المسلوبة .

وتوضع مشاركة الشعوب العربية فى موضعها السليم .. مشاركة فى الدفاع عن النفس وعن المصير .. ويصبح على كل بلد عربى — كما قال الرئيس عبد الناصر — أن يخوض المعركة كجزء من الأمة العربية التى يوجه إليها التهديد ككل .. وأن يعطى ما يعطى للنضال الفلسطينى باعتباره مقدمة النضال وليس من باب التضامن العاطفى أو التكرم .. بل كما قال الرئيس عبد الناصر « دفاعا عن النفس ودفاعا عن الحياة فى إطارها الوطنى وفى بعدها القومى » .

وحدد الرئيس عبد الناصر بوضوح موقف الجمهورية العربية المتحدة من النضال الفلسطينى فى نقط ثلاث :

١ — التأييد المادى والمعنوى بغير حدود ولا تحفظات ولا شروط .

٢ — إن عملية التوحيد التى تراها الجمهورية العربية المتحدة واجبة لحركات التحرير الوطنية يجب أن تتم بالجهد السياسى لقوى الشعب الفلسطينى بلا ضغط وبغير وصاية من الخارج .

٣ — تقدير موقف النضال الفلسطينى من قرار مجلس الأمن الذى إذا كان كافيا لإزالة آثار العدوان فلا يمكنه أن يكون كافيا للمصير الفلسطينى لأن قضية فلسطين ليست قضية لاجئين تحل بالإحسان وإنما قضية وطن وقضية شعب وحقه فى تقرير مصيره واستعادة وطنه .

وبعد ذلك أوضح الرئيس تعدد الطرق المفتوحة لتحقيق أهداف الأمة العربية مؤكدا أن الاستعداد لاستعادة الأراضى بالقوة لا يمكن أن يعطل عملنا السياسى لاستعادة ما ضاع منا إذا كانت للعمل السياسى وسيلة أو

فرصة وتبقى بعد ذلك حقيقة مؤكدة — هى أوضح ما فى الوضع كله — وهى ضرورة استعادة أرضنا وتطهيرها إلى آخر شبر تطهيرا كاملا ونهائيا .

وعلى السؤال الذى يدور فى الخواطر ويلح على الأفكار .. لم يشأ الرئيس أن يرد عليه إلا بكلمات قلائل محددة .. مؤكدا ما قال فى مجلس الأمة من أنه :

« ليس يضيرنا أن تكون كلماتنا أقل من قدراتنا فذلك أكثر أمانا من أن يقع العكس .

فليس عدونا بعيدا .. وليس عدونا جاهلا .

ولن يكون لكلماتنا وزن إذا لم يتحقق من قدرتنا على تدعيمها وإلا فإننا نعطيه الفرصة لكى يسخر منا .. بينما نحن نخدع أنفسنا .. ونسىء إلى أمة حافظت — برغم الكرب والعذاب — على إيمانها ومنحت من ثقتها ما هو لازم لتصحيح الميزان .. » .

لم يجب الرئيس ردا على السؤال الملح .. بسوى كلمات ثلاث « إن الجمهورية العربية المتحدة تعمل وتبنى وتقوى » .

وذلك هو مربط الفرس ..

ذلك هو منبع التوازن الحقيقى للمعركة .. من جانبنا .. أن نعمل ونبنى ونقوى .

وإذا كان الرئيس قد قاله فى ثقة واختصار ..

فإننا نحن .. الشعب المصرى .. الذى يجب أن نؤكده .

فقبل كل شىء .. وبعد كل شىء .. لن يكون لنا أمل فى شىء .. أى شىء .. إلا .. إذا عملنا لكى نبنى ونقوى .. فالصراع .. ليس مجرد .. صراع قوات مسلحة على الجانبين .. والمعركة .. ليست .. معركة قتال .. بين طرفين .. ولكنها صراع بين حضارتين .. حضارة مستوردة من الخارج .. تريد أن تقضى على حضارة العرب .. بقوة السلاح

المستورد .. وبقوة التقدم التكنولوجى المجلوب من الغرب .. صراع طويل .. يحدد نتيجته .. البناء الوطنى .. والقوة الوطنية .. فى كل بلد عربى :

ثم .. البناء العربى .. المترابط .. والقوة العربية الموحدة .. التى تواجه الخطر الصهيونى العنصرى فى المنطقة ..

إننا نعمل .. ونبنى .. ونقوى ..

شعار يجب أن يتحقق فى كل بلد عربى ..

ولا يقل عنه أهمية .. أن نترابط .. ونتوحد وأن نكون واضحين أمام أنفسنا .. فى كل خطوة نخطوها .. حتى لا نضيع فى متاهات الخطب والأمانى .. والشعارات .

وحتى تتوازن كلماتنا .. مع عملنا .. مع قدراتنا .. من أجل تحقيق أهدافنا فى البقاء .. والتقدم .. والعدالة .. والسلام .

٥ فبراير سنة ١٩٦٩

كيف يفكر المثقفون الإسرائيليون

وصلتنى رسالة من تل أبيب عن طريق روما أرسلها المهندس الإسرائيلى إبراهام حبيب وقد قدمها بأنه بعث منذ عام برسالتين متتاليتين إلى جيرانه العرب أملا فى شىء من تبادل الرأى حتى ولو انطوى على التضارب بصارم الكلام وقارصه .

ولكنه امتنع عن موالاة الكتابة بتأثير من شعور عنيف انتابه مدى طويلا من اقتناعه بأن الكلام بينه وبين هؤلاء الجيران لا ينفع وأنه ضرب من المستحيل ..

وقرأت الرسالة المرسلة واقتنعت فى نهايتها بشىء واحد مما قاله صاحبها وهو أن التفاهم ضرب من ضروب المستحيل ..

وكان المفروض أن ألقى الرسالة جانبا .. ولكنى أحسست أن ثمة شيئا يجب أن يقال لصاحب الرسالة .. وأن كلمة ما يجب أن يرد بها على وجهة النظر التى يمثلها ..

فوجهة النظر العربية .. حق .. يجب أن نجهر بها لكل الناس .. حتى لهؤلاء الذين نشعر باستحالة التفاهم معهم لأنهم يعجزون — بعد أن أصبح الباطل قوامهم — عن فهم الحق .. مهما بسط .. ووضح .

يقول صاحب الرسالة إن سبب شعوره بأن التفاهم ضرب من المستحيل هو « أن جيراننا العرب يطالبون بأن نجلو عن الأراضى التى استولى عليها جيشنا قائلين بأننا ما دمنا نرفض التخلى عن تلك الأراضى فإنهم غير مستعدين للتحدث فى أى مشروع » .

إن زعماء العرب قد خلقوا ورسخوا الرغبة فى القضاء على الإسرائيلين

أذهان العرب . لأن إسرائيل جسم غريب .

وأنا أعلل رغبة زعماء العرب فى القضاء على إسرائيل واعتبارها جسما غريبا بأنهم يكرهون المجتمع الحر المفتوح ويكرهون التقدم الطبى ويكرهون تعليم الأحداث والمساواة الصحيحة بين المرأة والرجل . وعدد صاحب الرسالة مزايا المجتمع الإسرائيلى . الذى تجعله — كما يتصور — جسما غريبا بالنسبة للزعماء العرب يجب القضاء عليه .

وعجيب أن يتصور مثقف إسرائيلى المسألة بمثل هذه البساطة .. مجرد غيرة من الزعماء العرب .. من إسرائيل ذات المجتمع الحر المفتوح والتقدم الطبى وتعليم الأحداث والمساواة بين الرجل والمرأة .. وغيرها من المظاهر التى قال عنها صاحب الرسالة بالحرف الواحد « تثير وتغيظ الزعامة العربية وتجعلها تستغرب هذا الكيان الإسرائيلى وتحقد عليه » .

ولم يعد علينا .. لكى نحل المشكلة .. إلا أن نعالج الزعماء العرب من الحقد والغيظ والحسد الذى يملأ نفوسهم من المجتمع الإسرائيلى الباهر .. وبعدها .. يرضى الشعب العربى كله عن إسرائيل .. ويسلم بوجودها ..

أحقيقة يمكن أن يكون هذا هو تفكير المثقفين الإسرائيليين .. الذى يفهمون به المشكلة .. وأى مشكلة .. مشكلة وجودهم .. أو وجود الجسم الغريب الذى غرسه العدوان فى هذه المنطقة ؟ .

أما أن يكون المثقفون الإسرائيليون من السذاجة بحيث يفهمون مشكلتهم على أنها مجرد حسد وغيظ من الزعماء العرب ؟

أو أنهم يتصورون أن المثقفين العرب من السذاجة بحيث يمكن أن يقنعهم هذا المنطق الأبله ؟ .

إسرائيل جسم غريب .. لأنه متميز عن الجسم العربى .. متميز بالتعليم والخدمات الطبية والمساواة بين الرجل والمرأة وبالمجتمع الحر المفتوح .

ومن أجل هذا حسده الزعماء العرب .. وخلقوا ورسخوا الرغبة فى

القضاء عليها .. فى نفوس العرب .

ولم يعرف السيد صاحب الرسالة .. أن التعليم والخدمات الطبية والمساواة بين الرجل والمرأة والمجتمع الحر المفتوح .. لم تعد أشياء يمكن أن يخافها الزعماء العرب ويخشوا من انتقال عدواها من المجتمع الإسرائيلى إلى المجتمع العربى .. لأنها أشياء قد تأصلت فى المجتمع العربى .. وأنها تنمو وتتزايد . (وإذا كان هناك ما يقلل من تزايدها فإنما هو وجود إسرائيل بما تحمله من تهديد للعرب يستدعى زيادة ميزانية الأمن على حساب ميزانية الخدمات) .

وإذا كانت ميزانية إسرائيل مثلا فى عام ٦٦ / ٦٧ تحتوى على :

٢٠ ٪ خدمات اجتماعية (تعليم وصحة وإسكان وضمان اجتماعى)

٥ ٪ خدمات اقتصادية (زراعة وصناعة وبترول ومصاريف مواصلات) .

٥ ٪ خدمات عامة .

٣٠ ٪ دفاع وأمن .

٥ ٪ صناعات .

٨ ٪ فائدة .

٢٧ ٪ ميزانية ائتمان وسداد ديون .

فإن أية ميزانية عربية لا يمكن أن تقل فيها نسبة الخدمات التعليمية والصحية والإسكان و .. الخ . عما هو موجود فى ميزانية إسرائيل . وإذا حددنا الجمهورية العربية المتحدة فإن مجانية التعليم .. والخدمات التأمينية والصحية والإسكانية .. تزيد كثيرا عما هو موجود فى إسرائيل وبالتالى لا يمكن أن تسبب ما يدعو إلى الحسد أو الغيظ مما يدعو إلى اعتبار المجتمع الإسرائيلى جسما غريبا يجب إزالته .

ولكن المهندس الإسرائيلى يرى أن المشكلة .. مشكلة رغبة العرب فى

القضاء على إسرائيل .. هى مجرد دعوة من الزعماء العرب سببتها الغيرة والغيظ والحسد .

ولا يرى ..

أن إسرائيل .. شردت مليون عربى .. وقذفت بهم خارج وطنهم .. وحرمتهم من أراضيهم ودورهم .. وقتلت منهم من قتلت .

هل يعرف السيد المهندس الإسرائيلى هذه الحقيقة ؟ ..

هل يعرف كيف وجدت إسرائيل التى تتحدث عن مجتمعها المتمتع بالتعليم والإسكان والخدمات الطبية ؟ .

هل يعرف أن من الـ ٢,٣٠٠,٠٠٠ يهودى الذين يتمتعون بالمجتمع الذى يتحدث عنه مليونا وسبعمائة غرباء عن أرض هذا المجتمع .. وأنهم وردوا من غرب أوربا وشرقها ومن الأمريكتين ومن أستراليا وإفريقيا وآسيا ؟ .

هل يعرف أن هؤلاء المتمتعين بالمجتمع المحسود .. قد حرموا مليون عربى .. من التمتع بمجرد البيت واللقمة فى وطنهم الأصلى ؟

ولا يبعث هذا بالطبع على الضيق أو الغيظ .. أو الرغبة فى القضاء على سبب حرمانهم وضياعهم وتشريدهم .

فليس المفروض على هؤلاء أن يغضبوا أو يضيقوا ، بل المفروض — بالمنطق الإسرائيلى العجيب — أن يخرجوا فى هدوء ورضا واستسلام .. ويتركوا دورهم وأرضهم للمهاجرين من أستراليا وآسيا وإفريقيا وهولندا وأمريكا .

لأن هؤلاء المهاجرين .. كان أجدادهم من آلاف السنين يقطنون فى فلسطين .. ويتحتم عليهم الآن أن يلتم شملهم .. ويذهبوا إلى أرض الأجداد ليطردوا من عليها بقوة السلاح .. ولا عليهم إن قتلوا .. أو شردوا أو جاعوا .. فالمهم أن يجتمع الأبناء المشتتون فى أنحاء العالم فى أرض

أجدادهم الذين حلوا بها من آلاف السنين .

ولأن هؤلاء المهاجرين .. قد لا قوا من الاضطهاد والتنكيل ما يدعوهم إلى البحث عن خلاص .. لم يكن لهم من خلاص .. سوى أن ينكلوا بشعب لم يصبهم بأى أذى .. ولا أنزل بهم أى شر ..

ولست أعلم جنس صاحب الرسالة حتى أسأله .. عن تجربته الخاصة فى هذا ..

ولكنى أملك من التجربة الخاصة ما أستطيع أن أؤكد به .. أن المجتمع العربى .. وأستطيع أن أحدد بدقة أكثر المجتمع المصرى .. لم يشهد أى اضطهاد لليهود .. فنحن تعلم كيف كانوا يحيون فى مصر .. حياة كريمة حرة .. ونعرف مشاعر المودة التى كانت تسود علاقاتهم بكافة الأديان فى مصر .. قبل أن تنشب مخالب الصهيونية فى جسد الوطن العربى وقبل أن يعتدى اليهود الإسرائيليون على العرب ويكونوا فى فلسطين دولة عنصرية يهودية .. تعادى العرب بطريقة وجودها وتوسعها العدوانى عليهم وانغلاقها على الدين اليهودى .

لم ير صاحب الرسالة .. أن الصهيونية هى التى جمعت اليهود من كل أنحاء العالم لتوطنهم فى أرض علاقتهم بها أسطورية منذ آلاف السنين ليطردوا أصحابها الذين يعيشون فيها فعلا ويمتلكون أرضها ودورها .

فالمليون والآلاف الذين جمعتهم الصهيونية من أنحاء العالم.. سارقون ، بحكم أى قانون من القوانين السماوية أو الأرضية . وصاحب الرسالة إذا لم يكن من اليهود سكان فلسطين فهو سارق مثلهم . لا يبرر سرقته أن أجداده كانوا يعيشون فى الأرض التى سرقها منذ آلاف السنين . ولا يبررها أنه لاقى من النازية الألمانية أو غيرها من بلاد العالم ما لاقى من اضطهاد .

لا يرى المثقفون الإسرائيليون فى سرقة الوطن الفلسطينى وقتل أهله

وتشريدهم سببا لغضب العرب ورغبتهم فى القضاء على من تسبب فى حرمانهم من أوطانهم وتشريدهم من أرضهم .

ولا يرون فى العدوان المتواصل على الشعوب العربية والتهديد المستمر بالتوسع لاستيطان المزيد من المهاجرين اليهود فى شتى أنحاء العالم وتحقيق أحلام إسرائيل فى إمبراطورية كبرى من النيل إلى الفرات .. ما يثير غضب وقلق العرب ورغبتهم فى القضاء على سبب التهديد ومنبع العدوان .

ولا يرى المثقفون الإسرائيليون أن احتلال الأراضى العربية وتدمير المنشآت العربية التى كافح الشعب العربى من أجل بنائها لكى يحقق لنفسه المجتمع السعيد الذى يفاخر به صاحب الرسالة ويعتقد أن إسرائيل وحدها تتميز به .

كل هذا لا يرى المثقفون أنه سبب كاف لإيغار صدر العرب وأحساسهم بالعدوان الظالم والتهديد المتواصل .

ولكنه يرى أن سبب المشكلة هو غيظ زعماء العرب وحسدهم للمجتمع الإسرائيلى المتميز بالخدمات والحرية ..

لم يجد صاحب الرسالة فى الإجراءات التى تقوم بها السلطات الإسرائيلية من أجل التوسع ولا فى تصريحات الزعماء الإسرائيليين عن المطامع التوسعية التى تسعى إسرائيل لتحقيقها بالعدوان ولا وجد فى خطب ديان عن الأجيال التى تحقق مد آفاق الحدود جيلا بعد جيل ، شيئا يمكن أن يثير مخاوف العرب على مصيرهم ويحثهم على الدفاع عن أنفسهم ..

ولم يجد صاحب الرسالة فى أعمال التفرقة العنصرية التى تمارسها إسرائيل مع العرب الذين بقوا فى إسرائيل ولا فى أعمال التعذيب والتنكيل والوحشية التى تنزلها بالمكافحين فى الأراضى المحتلة ما يدعو العرب إلى الثورة على إسرائيل والرغبة فى القضاء على مصدر هذا التنكيل والتعذيب .

تلك هى الحقائق الواضحة .. التى يجب أن تحدد للمنطق الإسرائيلى .. وضع إسرائيل الحقيقى فى المنطقة . وإحساس العرب الحقيقى بوجودهم .

الحقائق التى تضع المشكلة فى شكلها الحقيقى .. صراع بين القومية العربية فى أرضها الأصيلة وبين القومية اليهودية التى تلملم الصهيونية أجناسها المتباينة من شتى أنحاء العالم لتغرسها فى أرض لا حق لها فيها وتطرد منها أصحابها .

إن الصهيونية هى التى أشعلت نيران هذه الخصومة بمحاولة خلق قومية يهودية لا تستند إلى أية ميزة مشتركة من مميزات الأمة . لا أرض مشتركة ولا اقتصاد ولا لغة ولا ثقافة ولا عادات اجتماعية.. لتواجه قومية عربية تجمعها الأرض واللغة والثقافة والعادات الاجتماعية وكل مقومات الأمة .. ومن أكبر المغالطات الإسرائيلية اعتبار التجمع العربى حركة لإبادة اليهود ونسيان أن العدوان الإسرائيلى على الأرض العربية والتهديد المستمر لها هو الذى جمع .. وسيجمع أكثر وأكثر .. القوة العربية .. لمواجهة الخطر الصهيونى الذى يهدى المصير العربى .

والمثقفون الإسرائيليون إما أنهم يتجاهلون .. النوايا التوسعية الإسرائيلية .. أو أنهم يرون أن على العرب أن يسلموا بها ببساطة وأن يتركوا أرضهم لإسرائيل بلا مقاومة ما دام المجتمع الإسرائيلى يتمتع بالخدمات الطبية والتعليم والإسكان ومساواة الرجل بالمرأة ..

إن النوايا التوسعية الإسرائيلية تؤكد أن إسرائيل لا تطلب مجرد الأمان .. وإنما تسعى إلى مد رقعة الإمبراطورية الإسرائيلية . ولم يعد المخطط الصهيونى لينحصر فى مجرد وطن الأجداد المقدس ليستقر فيه اليهود بعد أن تركه أجدادهم منذ ٤٠٠٠ سنة . وإنما هى مطامع إقليمية تريد الصهيونية اغتصابها من العرب لتجلب فيه بقايا اليهود وتشيد فيه

إمبراطوريتها .

ولصاحب الرسالة أسوق مناقشة وزير الإسكان الإسرائيلى السيد مردخاى بنتوف لمسألة التوسع الذى يدور فى أذهان القادة الإسرائيليين :

يقول السيد مردخاى :

« لقد كان حتمبا أن ترتبط الفلسفة الصهيونية بقطر معين هو فلسطين ولو اتجهت لأ وغندا لفشلت فقد كانت أرض إسرائيل رمزا ، وكان من الطبيعى أن تحتاج الحياة اليهودية إلى ما يحفزها بعد الثورة الكبيرة فى حياة الأمة اليهودية إثر عمليات الاضطهاد .. ومع ذلك فإن أرض إسرائيل لم تكن تعنى يوما حدودا معينة فلم أسمع أننا خلال تاريخنا الطويل قد فكرنا يوما أو شعرنا بالحنين إلى (بير جفجافا أو شرم الشيخ) وخلال أجيال لا حصر لها كان اليهود يقولون فى دعائهم (العام القادم فى القدس) و لم نسمع يوما أن أحدهم قال فى دعائه مثلا (العام القادم فى أريحا) . ولكن اليهود الذين يعيشون فى فيلاتهم الفاخرة شمال تل أبيب ليتمنون ضم أريحا .. ليس للهجرة إليها رغم أنها لاتبعد أكثر من ساعتين بالسيارة وإنما رغبة منهم فى أن يستغلوا أموال يهود نيويورك ليرسلوا يهودا من الكمبيوتسات إلى أريحا .

« إن أحدا من هؤلاء الذين يتحدثون عن إسرائيل الكبرى لم يقدم حتى الآن تحديدا واضحا لما يقول .

« هل يقصدون الأرض الموعودة للقبائل اليهودية فى التوراة ؟

« إذا كان الأمر كذلك فلماذا ينسون أرض القبيلتين ونصف فيضموا المساحات الشاسعة التى وعدت بها فى شرق الأردن ؟

« وإذا كان الأمر كذلك أيضا فلماذا نستولى على النقب الجنوبى بما فيه إيلات مع أنها مناطق خارجة عن الحدود التاريخية لإسرائيل الكبرى ؟ .

« هل هم مستعدون لأن يتخلوا عن كل الأراضى الواقعة خارج

حدود إسرائيل التاريخية الكبرى ؟ .

« لقد كان السهل الفلسطيني فى أيدى قبائل الفلسطينيين لا فى أيدى القبائل الإسرائيلية . فلماذا لا يتنازلون عنه ؟

« أم تراهم يريدون حدود مملكة داود ؟ إذا كان الأمر كذلك فهل يريدون عمان ودمشق وشمال سوريا والفرات ؟ وهل لديهم استعداد للتنازل عن الأراضى الواقعة جنوب يافا وتل أبيب والتى لم تكن تابعة لمملكة داود ؟ ..

« أين إذن إسرائيل التاريخية الكبرى ؟ إن منطقتى (حيفا — عكا) و(يافا — غزة) لم تجتمعا قط تحت حكم يهودى طوال التاريخ .

« هل تعتبر أن كل أرض وطئتها قدم جندى إسرائيلى خلال الـ ٤ آلاف سنة الماضية هى ملك إسرائيل ؟ » .

هذا هو مخطط التوسع الصهيونى الذى يدور فى أذهان القادة الإسرائيليين والذى يناقشه أحد وزرائها .

هل يمكن أن يضيف هذا شيئا إلى فهم المثقفين الإسرائيليين للمشكلة . وهل يمكن أن تصفو أذهانهم لحظة لترى كيف تبدو إسرائيل للعرب .. وليروا .. ما أصاب العرب من إسرائيل بوجودها العدوانى الذى شرد العرب وحرمهم من وطنهم وبتهديدها المتواصل بالعدوان وبكل ما أنزلوه بالعرب من خسائر من احتلال أرض وقتل مواطنين وتدمير منشآت .

وليروا أن كل ما فعل العرب وما يفعلون .. إنما هو رد فعل لما أوقعته الصهيونية بهم وبأراضيهم . وأنه من حقهم أن يكافحوا بكل ما يملكون من وسائل فى سبيل العودة إلى أوطانهم واستعادة حقوقهم وتحرير أراضيهم .

لو أن المهندس الإسرائيلى صاحب الرسالة الذى فسر موقف العرب من إسرائيل على أنه دعوة من زعماء العرب الذين يحقدون على إسرائيل

لمجتمعها المتميز ويريدون القضاء عليها لأنها جسد غريب — تميزه — عن بلادهم .

لو أن المهندس صاحب الرسالة.. طرد من بيته وقتل من أهله من قتل وشرد من شرد . واحتل بيته وموطنه أسرة غريبة من بلد آخر .. لأن حاكم البلد اضطهدها .. ولأن جدها كان يقطن فى هذا الوطن منذ ٤ آلاف سنة ..

ماذا كان يمكن شعوره لهذه الأسرة ؟ ..

لا أظنه المحبة والترحيب ..

إن العرب الذين شردتهم إسرائيل وأنزلت بهم القتل والدمار .. لا يمكن أن يلاموا إذا كان شعورهم .. هو الرغبة فى القضاء على إسرائيل .. التى سببت لهم كل هذا .

ومع ذلك .. فإنهم يبسطون يدهم بالتسامح ليقولوا إن أرض فلسطين يمكن أن تنفسح لدولة ديمقراطية تضم جميع الأديان .

ولكن إسرائيل — بلد المجتمع المتميز الذى يحسده الزعماء العرب ويريدون القضاء عليه لأنه جسم غريب بمجتمعه المتميز — إسرائيل تصر على تكتل اليهود فى دولة عنصرية يدفعها الغرور العسكرى الهتلرى إلى مد الحدود عدوانا بعد عدوان .. وجيلا بعد جيل لكى تكون سيفا مسلطا على المصير العربى والقومية العربية والحضارة العربية .

إن المثقفين الإسرائيليين يجب أن يفهموا حقيقة المشكلة .. ويجب ألا يهونوا الأمر على أنفسهم وعلى إسرائيل وعلى المجتمع المحسود .

إن العرب يحسون بالجرح الدامى الذى أصابتهم به إسرائيل وهم ينزفون .. والخنجر الإسرائيلى ما زال فى جانبهم .. الخنجر الذى يشهره القادة الإسرائيليون المغرورون بدعوى أنهم يؤمنون به إسرائيل .

ولن يكون هناك أمن أو استقرار وخنجر العدوان الذى تمسك به

العصبة العسكرية مغروس فى جانب العرب .

إن الذين يقولون فى إسرائيل بأنها وجدت بالقوة وستبقى بالقوة .. حمقى ..

أولا لأن القوة ليست هى العنصر الطبيعى الدائم لوجود أمة . وثانيا لأن إسرائيل لا تملك أسباب القوة من ذاتها .. وانها تستمدها من الخارج . ويوم تنقطع عنها الأسباب من الخارج سيتهاوى الخنجر المشهور ..

وثالثا — وهو الأهم — لأن العرب يملكون من أسباب القوة الذاتية والقوة بالتضامن والوحدة .. ما يمكن أن يغيروا به ميزان القوة .. ويحققوا به السلام الحقيقى العادل فى المنطقة .

١٢ فبراير سنة ١٩٦٩

لكى يكون الوقت فى صالحنا

الأيام تمر .. ومعركة الصبر تطول ..

ولكن الصبر .. لا يمكن أن تكون ممارسته مجرد هواية .. أو استعراض .. بل يجب أن تكون ممارسة الصبر لتحقيق هدف .. وتأكيد فائدة ..

وحركة الوقت .. يجب أن تكون .. حركة فى اتجاه مخطط .. لتحقيق مصلحة ما .. حتى يصبح لمرور الأيام قيمة .. بالربح والإضافة .. بدلا من أن يكون ضياعا بالتجميد .. أو الفقدان ..

ولا جدال أن طرفى أى معركة — فى لحظات التوقف — يحاول كل منهما أن يحول السكون إلى عملية فى صالحه .. بحيث يحصل بالثبات على ما لم يحصل بالحركة .

ومع معركة المصير التى نخوضها مع الصهيونية .. تحاول إسرائيل أن تكسب ما تستطيع من فترة الوقف التى تمر بها المعركة .. وأن تحول معركة الصبر التى نخوضها فى مواجهتها معركة فى صالحها .. وأن تجعل من مضى الوقت .. تثبيتا لما كسبته بالعدوان .. ومن مرور الأيام .. تحقيقا لمزيد من مطامعها .

وفى هذه الفترة التى بدا أن جهدا دوليا يوشك أن يبذل .. لتحقيق سلام عادل فى المنطقة على أساس قرار مجلس الأمن . فيتقدم الاتحاد السوفيتى ببرنامج زمنى محدد لتنفيذ هذا القرار . وتدعو فرنسا إلى اجتماع للدول الأربع الكبار لبذل الجهود لحل المشكلة قبل أن تتفاقم . وتوقف تزويد إسرائيل بالسلاح .. وفى الوقت الذى تعلن فيه الولايات المتحدة أنها تعتزم القيام بعمل إيجابى لحل أزمة الشرق الأوسط وأنها تراجع أمورها فيما

يتعلق بسياستها السابقة تجاه هذه الأزمة . ويعلن مندوبها فى الأمم المتحدة أن إسرائيل لا يمكن أن تعيش كقاعدة مسلحة فى المنطقة .

فى هذا الوقت الذى بدأت فيه الجهود تبذل من أجل العمل على حل المشكلة قبل أن تنفجر وتهدد السلام العالمى كله .

يبدو المخطط الإسرائيلى متجها إلى إطالة وقت الوقفة .. والكسب من مرور الأيام .. والتملص من المحاولات الدولية التى تبذل لحصار إسرائيل فى زاوية .. تكرهها على الانسحاب وتنفيذ قرار مجلس الأمن .. مما تعتبره إسرائيل فى نظرها عملية ضغط دولية .. تحرمها من تحقيق أطماعها التوسعية .. ومن تأكيد مكاسبها بالعدوان .

والمخطط الإسرائيلى تبدو مظاهره فى الخطوط العريضة التالية :

أولا : عرقلة اجتماع الدول الأربع الكبار . وقد بدت مظاهر هذه العرقلة بإطالة أعمال التحضير للمحادثات الرباعية بالدخول فى مباحثات ثنائية ، قيل إنها قد تستغرق عدة أسابيع ، وبمحاولة تمييع إنجلترة للهدف من الاجتماع الرباعى . والاجتماع الفاشل مع دول غرب أوروبا . بحيث أصبح الاجتماع الرباعى غير محتمل إلا بعد عودة الرئيس الأمريكى نيكسون من جولته فى العواصم الأوروبية المقرر أن تبدأ فى أواخر هذا الشهر وبحيث عاد اليأس يصيب يارنج من جديد فيلوح بالعودة إلى منصبه فى موسكو .

ثانيا : محاولة إسرائيل إيجاد أسواق للسلاح بديلة عن سوق فرنسا الذى أغلقه ديجول فى وجهها . وقد ركزت إسرائيل على إنجلترا .. وكان تزويد إسرائيل بالأسلحة هو الغرض الواضح من زيارة زفى تسور مساعد وزير الدفاع الإسرائيلى ورئيس هيئة المشتريات العسكرية فى لندن حيث أجرى محادثات مع دنيس هيلى وزير الدفاع البريطانى وغيره من المسئولين البريطانيين . ولم تحاول الحكومة البريطانية أن تنفى استمرار تصدير

الأسلحة لإسرائيل بل قدمت تفسيرات عجيبة كان من بينها أن تقديم الأسلحة الهجومية لإسرائيل هو إحدى وسائل الضغط عليها لإلزامها بتنفيذ قرار مجلس الأمن .. لست أدرى كيف .

ثالثا : محاولة إسرائيل قلب ميزان الدعاية .. بإعادة تضليل العالم بالظهور من جديد — رغم كل ما قامت به من أعمال عدوانية .. على الأراضى العربية .. ورغم كل ما قامت به من أعمال قمع وحشى لأهالى الأراضى المحتلة .. ورغم كل ما أعلنته من تصريحات تعبر عن أطماعها التوسعية — عادت إسرائيل رغم كل هذا لكى تضع نفسها أمام العالم موضع المعتدى عليه فى شكواها المتواصلة لمجلس الأمن ودعواها بأن الهجمات المصرية محاولة متعمدة ومخططة لتعكير صفو السلام الذى ساد لفترة من الوقت فى منطقة القناة وأن أعمال الحرب هذه تمثل بسبب طبيعتها وتوقيتها — أخطارا جسيمة على الأمن وتعد انتهاكا لقرار مجلس الأمن (وكأن إسرائيل قد احترمت هذا القرار أو غيره من قرارات الأمم المتحدة) وتعمل على تقويض الجهود التى تبذل لإقرار السلام .

وهكذا تحاول إسرائيل — رغم كل ما قامت به ، ورغم سخريتها بالأمم المتحدة وبقراراتها .. ورغم تبجح قادتها وصلفهم — الشكوى من العدوان .. وادعاء الخوف من المحاولات التى تعمل على تقويض جهود السلام.

رابعا : ضرب المقاومة الفلسطينية :

تحاول إسرائيل بعد التطورات الأخيرة فى منظمة تحرير فلسطين أن ترد على عملية التطور والتوحيد التى لا شك ستنقل العمل الفلسطينى من مرحلة المقاومة إلى مرحلة الثورة الشاملة وتقوم بتحركات عسكرية استعدادا لتوجيه ضربة للعمل الفلسطينى فى الوقت الذى تزيد فيه الإجراءات لمواجهة الهجمات الفلسطينية المتزايدة ومن بينها ما أذاعته الأنباء عن حفر

خنادق عميقة حول المستعمرات الإسرائيلية فى الصحراء كجزء من إجراءات إسرائيل لمواجهة الهجوم الفلسطينى فى منطقة وادى عربة . ومن بين هذه الإجراءات إقامة أسوار محكمة حول هذه المستعمرات . وتمهيد الطرق بينها لتعذر بث الألغام فى الطرق الممهدة . بالإضافة إلى ما يقال عن بداية تنفيذ مشروع إيجال ألون الذى يقضي بإنشاء حزام من ٢٠ مستعمرة و ٣ مدن على طول الضفة الغربية لنهر الأردن . وإنشاء ١٠ مستعمرات فى سيناء .

بهذا المخطط الذى يعتمد على عرقلة الجهود الدولية فى فرض أى حل سلمى على إسرائيل يحرمها من مطامعها التوسعية وعلى مواصلة التسلح وكسر أية محاولة لحظر السلاح المحظور عليها بإيجاد أسواق بديلة للسلاح المحظور وكذلك بتحويل دفة الرأى العام العالمى الذى بدأ يدرك حقيقة إسرائيل كدولة عنصرية توسعية تعتمد فى وجودها وفى تحقيق أطماعها على العدوان المسلح إلى دولة يعتدى عليها تخشى من بطش جيرانها الذين يتجمعون للقضاء عليها .. وفى نفس الوقت العمل على ضرب المقاومة الفلسطينية واتخاذ الإجراءات الدفاعية الوقائية ضدها .

بهذا المخطط تسعى إسرائيل إلى الكسب من مرور الأيام .. ومن تحويل مضى الوقت فى هذه الوقفة إلى صالحها .. لتثبت مكاسبها العدوانية وتحقق مزيدا من المطامع التوسعية .. وإلى فرض الأمر الواقع بمرور الزمن ..

وإذا كنا نحن نسعى لكى نحقق السلام العادل بالحل السلمى .. وإذا كنا نبذل كل ما فى طاقتنا من أجل دعم قوانا العسكرية لتحرير أراضينا واستعادة حقوقنا وفرض السلام العادل بالقوة إذا لم تجد المحاولات السلمية نفعا .

فإننا يجب ألا نغفل .. أمرا حيويا .. هو أننا خلال سعينا إلى هذا وذاك .. يجب أن نتيقظ دائما .. لكى نجعل الوقت الذى يمر .. حتى نحقق هدفنا ونحرر أرضنا ونسترد حقوقنا .. وقتا فى صالحنا .. ولكى نكسب

به .. ولا نفقد خلاله ..

وهدفنا المحدد الذى يمكن أن يكون وسيلتنا فى الكسب من الوقت..

هو ألا نجعل إسرائيل .. تشعر بالاستقرار .. أو بقرب الأمان .. أو باحتمال السلام ..

إن هدف إسرائيل الرئيسى .. هو أن تفرض السلام بالقوة .. وتحقق المزيد من المكاسب .. بالعدوان ..

ولكيلا ندعها تحقق هذا الهدف .. يجب أن تبقى وجودا بلا أمان .. وأن نجعل من محاولاتها التوسعية .. امتدادا بغير قرار .. وعلى غير أساس ..

وإذا كانت إسرائيل تريد أن تؤمن نفسها .. وتثبت أقدامها .. بمضى الوقت .. فيجب أن نجعل من مضى الوقت .. سببا .. لتنغيص مستمر .. وقلق دائم .. وحياة بغير استقرار ولا أمان ..

والطريقة هى المقاومة المستمرة والدائبة لا حتلالها وعدوانها .. بضربات متواصلة لا تكل .. ولا تنى ..

وأن نكون على استعداد لضرباتها المضادة .. وأن نحتملها .. بغير جزع .. بل كعمل متوقع .. يجب أن نستعد لمواجهته فى كل مكان .. ويجب أن نحتمل آثاره .. ومواجعه .

وأن نواصل مواجهتها فى معركة مرور الأيام .. والكسب من الوقت .. فى كل مجال .. وبكل وسيلة .. سياسيا .. ودعائيا ..

يجب أن يكون .. الصبر .. فى معركة الصبر .. صبرا مخططا .. مرسوما لنكسب به مع الأيام ونعزز موقعنا لمواجهة خطط العدو فى كل مجال ..

لكى نكسب معركة الصبر .. لا يكفى لنا مجرد الصبر .. بل يجب أن نجعل العدو .. غير قادر على الصبر .

١٩ فبراير سنة ١٩٦٩

فهـرس

الموضوع | الصفحة

الموضوع | الصفحة